علي رضوان أحمد الأسطل

الوفود في العهد المكي ﷺ

وأثرها الإعلامي

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء

الوفود في العهد المكي

وأثرها الإعلامي

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

مكتبة المنار شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
الأردن - الزرقاء ت ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

مُقَـدّمَة

الحمد لله رب العالمين وحده، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، خلق العالمين من آدم وحواء، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، ووضع الميزان فاصلا بين الحق والباطل، إن أكرمكم عند الله اتقاكم، وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين، أرسله الله سبحانه ليخرج الناس من الظلمات الى النور بشيراً ونذيراً، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وما ربك بظلام للعبيد.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي الأمي داعي الاسلام وامام المؤمنين في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وعلى آله وصحبه اجمعين، الذين عرفوا الطريق فاهتدوا، ونادوا غيرهم الى الهداية بالاعلام والدعوة، وابلغوا كلمة الحق والتوحيد بكل وسائل وأساليب عصرهم، فكان الاخبار السريع، وكان التكرير والتكثير بصدق ويقين وصبر، لانقاذ الناس من عبودية العباد الى شرف العبودية للخالق الوهاب.

والقدوة الاولى لهذه العبودية الصادقة الكاملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لمن كان

يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.[1]

سبب اختيار البحث:

أحمد الله سبحانه الذي هداني لصراطه المستقيم، واتباع رسوله الكريم ﷺ، وأكرمني بالإنتساب الى دعاته دون حول ولا قوة مني الا توفيقه سبحانه، وجمع لي من الاسباب التي جعلتني أبحث في الوفود المكية وأثرها الإعلامي ومنها:

١) تحقيق أعظم أمنياتي بالبحث في السيرة العطرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، تعبيرا عما يجول في نفسي من حب صادق للنبي الأمي عليه الصلاة وأفضل السلام، وأمنية التشرف بخدمته واتباع هديه، والجهاد في سبيل الله سبحانه باخلاص وصدق ويقين بمنه وفضله قال تعالى:
﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا﴾[2].

وقوله عز وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم﴾[3].

٢) نظرت من حولي فوجدت حاجة الدعاة للعودة للطرق الحقيقية والأساليب النبوية في نشر الاسلام بدلا من محاولة بعضهم الالتواء والمداهنة في اعلان كلمة الحق والتوحيد، عندئذ ازدادت رغبتي في الكتابة عن الوفود

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢١.
(٢) سورة النساء آية ٨٣.
(٣) سورة النور آية ٢١.

في العهد المكي لما لها من أثر فعال في نفوس الدعاة في كل زمان ومكان، وكيف كانت دعوة الإسلام تنتشر وهو ما زال في مهده الى أن أظهره الله سبحانه وتعالى بين الناس.

لقد كانت حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صورة صادقة للدين الجديد، وما أجمل ما وصفته به السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عنه فقالت: «كان خلقه القرآن».

أي أنه كان قرآنا حيا متحركا، ملتزما بأحكامه، متبعا لهديه، يحل حلاله ويحرم حرامه، يدعو الى نوره، ويجاهد لاعلاء كلمته وإرساء قواعده وتثبيت أركانه.

ومن أجل ذلك قال الله سبحانه فيه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (١).

﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (٢).

﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ (٣).

ان سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العطرة، سجل حافل للاعلام الرباني الصادق، مليء بالمواعظ والعبر، ومدخر للحوادث والدروس التي تنبض بالنور، وتوقظ الهمم، وترسم الطريق إلى مرضاة الله سبحانه، وتضع الأسس الإعلامية الصحيحة للبشارة والنذارة أمام الدعاة ورجال الاعلام، وتجسم القيم العليا والمبادىء الرفيعة في شخص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم،

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١.

(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

(٣) سورة الاحزاب آية ٧١.

واقعاً محسوساً، وحياة كريمة صادقة، سار على هديها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ومن اتبعهم بإحسان الى يوم الدين. فاستنارت العقول وبصرت القلوب، وزكت النفوس، وتفانت في حمل لواء الاسلام، لانقاذ البشرية من الضلال والهلاك، وأصبحت خير أمة أخرجت للناس.

٣) قد ينظر البعض لموضوع الوفود على انه جزء من السيرة النبوية أو التاريخ الاسلامي فقط، ولكنه الى جانب ذلك وسيلة اعلامية ناجحة لإيصال خبر السماء للناس أجمعين، حيث أن الوفود تمثل أهم أنواع الاتصال، وهو الاتصال الشخصي الذي لا غنى عنه للوصول الى ما نريد من البلاغ المبين لأسهل الطرق المؤثرة والفعّالة عند المدعوين لرسالة الاسلام.

وذلك بما يوجده من التعارف والتآلف، وسماع الحق المباشر من أهله، الذين حملوه بصدق، وظهرت آثاره مطبقة عليهم قولاً وعملاً وسلوكاً ومعاملة في جميع الشئون، قدوة صالحة توحي بصدق الدعوة وخيرها في الدنيا والآخرة.

٤) طمس حقيقة الاعلام الاسلامي حيث يذهب الكثير الى نفي الاعلام الاسلامي، والانبهار بالنظريات الاعلامية الوضعية، التي جاءت على أسس ومبادىء غربية وشرقية، تخالف أصول ومبادىء الدعوة الاسلامية وواجب البلاغ (١)، الذي أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (٢).

---

(١) معنى التبليغ والابلاغ أي الايصال، يقال بلغت القوم بلاغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك.
انظر الاعلام في ضوء الاسلام ص ١١، دكتور عماره نجيب، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ.

(٢) سورة المائدة آية ٦٧.

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (١).

فهي دعوة ربانية لانقاذ الناس من عبودية العباد الى عبادة الله الواحد القهار، دعوة تمنح العالمين هداية الله سبحانه دون إكراه أو بطش.

قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (٢).

ودعوة هذا شأنها لا بد أن تشمل الاعلام وكل أساليب البلاغ والانباء أي الاعلام بكلام الله سبحانه.

فالاعلام من وظيفة الانبياء والرسل قال تعالى: ﴿قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (٣).

وقال سبحانه. ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ (٤).

وكما بدأت رحلة الانسان بالإنباء ﴿أنبئهم بأسمائهم﴾ ستنتهي بالانباء كذلك، قال تعالى: ﴿يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ (٥).

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨.
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦.
(٣) سورة البقرة آية ٣٣.
(٤) سورة يوسف آية ١٥.
(٥) سورة القيامة من آية ١٠ - ١٣.

ويتفق خبراء الاعلام على أن الاعلام انما هو رسالة بما ينطوي عليه هذا التعبير من شعب مترابطة بين:

- جهة البث والارسال.
- جهة التلقي والاستقبال.
- محتوى الرسالة.
- حامل الرسالة.

والوفود بطبيعتها وبمقياس هذا المفهوم نمط اعلامي بالمعنى العلمي للتعبير، وينتظم في هذا المفهوم الاعلامي الاسلامي واجب أداء البلاغ المبين.

يقول الدكتور عمارة نجيب: (دخل الاعلام بظهور الاسلام مرحلة جديدة من مراحل التطور الهامة التي يغفلها أعداء الاسلام عن قصد سوء نية، حيث ازدوجت العلنية بالسرية في وسائل الاتصال، وانتقل الاعلام من أساليب الارتجال والتذبذب الى الصناعة التخصصية المنظمة، وتحول من اعلام لصالح بعض الافراد كالحكام أو بعض الطوائف كالسياسيين والتجار، الى اعلام بالحق المطلق لصالح الانسان في كل زمان ومكان، ومن تسلط مطلق أو فوضى مطلقة الى تحرير للعقل وللانسانية في الانسان وتطورت الوسائل القديمة بحيث تنهض بتبعة البلاغ الشامل للدنيا بأسرها، فرأينا الوفود تتوزع على الأمم والبلدان ورأينا أثرها وأثر الوسائل الأخرى في قدوم الوفود الى مكة لمعرفة الأكثر عن ما اعلموا به وهو الاسلام)[١].

وبهذا نرى أن الاسلام استطاع من خلال مصادر الحق والهدي النبوي ايجاد جماعات (كوادر)[٢] اتصال متخصصة حملت لواء الدعوة الى أنحاء

---

(١) الاعلام في ضوء الاسلام ص ٧٦، د. عماره نجيب، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ.

(٢) مصطلح اعلامي.

المعمورة. وقد كان الدعاة يقومون بالاعلام والتعليم، حيث أن الدعوة كانت تشمل الاعلام وتحتويه، كما تشمل التعليم وتحتويه بما بينهما من فروق، لاختصاص الاعلام بالاخبار السريع، والتعليم بما فيه تكثير وتكرير حتى يصل منه أثر في نفس المتعلم.

وهأنذا اليوم أكرمني الله سبحانه وتعالى بالبحث في السيرة العطرة، وأنّى لأمثالي أن يكتب في شأن رسول الله ﷺ. فالمعذرة قائمة، والقصور ثابت، ولا يكلف الله سبحانه نفساً الا وسعها، وأنّى ندرك، وأنّى نرى وقد صرنا كذي رمد غمره ضوء الشمس فلا حول ولا قوة لنا الا عون الله سبحانه.

فأرجو الله العلي القدير أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، خدمة لدينه واعلاء لشريعته، وأن يغفر لي محاولة المقارنة بين جزء من سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبين أساليب العصر الحديث، وأن يمدني بعونه وتوفيقه في هذا المقام، وأن ينير قلوب المسلمين والمؤمنين العاملين إلى الطريق السوي المستقيم... طريق رسولنا الحبيب الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين.

الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث:

لقد واجهتني صعوبات كثيرة أذكر بعضها فيما يلي: -

(١) قلة الكتب الاعلامية في مجال الاعلام الاسلامي.

(٢) هيام المتخصصين المسلمين في الاعلام بنتاج الفكر الاعلامي الوضعي سواء للغرب أو الشرق مهما كان مخالفا لما أنزل الله سبحانه في محكم كتابه العزيز.

(٣) ندرة البحوث الخاصة بموضوع الوفود في العهد النبوي.

(٤) قلة الوفود الواردة بالمـراجع التاريخية خاصة في العهد المكي والتي تكاد تنحصر في:

أ ـ الوفادة الأولى لنصارى نجران.

ب ـ الوفادة الأولى لهمدان.

جـ ـ وفود الانصار.

مما جعلني أدقق النظر بشدة متناهية في معنى كلمة وفد بمعاجم اللغة العربية، ثم البحث الجاد والتمحيص الدقيق في المراجع التاريخية وكتب السيرة النبوية الشريفة، حتى تمكنت بفضل الله سبحانه ورعايته من إضافة عدد من الوفود تدخل تحت التعريف اللغوي للوفد، وبإخراج هذا البحث بصورة لا أدعي فيها الكمال والتمام.

(٥) النظـم المتبعة في المكتبات العامـة، سـواء مـن حيـث الزمـن المحـدد للمطالعة أو عدم السماح بالإعارة الا لمن ينتسب اليها مما يسبب تتابع الارهاق على الباحث في المكتبات.

(٦) عدم توفر الكتب والمراجع اللازمة للبحث في مكتبة المعهد العالي للدعوة الاسلامية راجيا أن يتم ذلك وينظم في القريب العاجل.

منـهَجُ البَحْـث

اتبعت في هذا البحث منهج الوصف والتحليل والمقارنة بين جزء من سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في الماضي وبين بعض أساليب الاعلام في الحاضر، وأوضحت أن الوفود هي جزء من الاعلام الاسلامي، ومن أهم وسائل الاتصال التي اتبعها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في ايصال خبر السماء الصادق الى الناس داخل الجزيـرة وخـارجهـا لانقـاذهـم مـن ظلمات

الطواغيت الى نور الاسلام. مما جعل السنة الظاهرة لوفود هذه المرحلة الرغبة الصادقة للتعرف على الاسلام أو التعريف به، وانني في رسالتي هذه سأبحث ان شاء الله تعالى الوفود بطريقة تشمل كل من قام فرداً أو جماعة بمهمات متعلقة بالاسلام على سبيل الوفادة، سواء بقصد الاستعلام لمعرفة الحقيقة والايمان بها، أو بقصد الصد والجحود، أو بقصد اعلام الغير ثم التعليم والتطبيق، ونتائج ذلك على نشر الدعوة الاسلامية.

وقد اشتملت الرسالة ثلاثة أبواب وخاتمة على النحو التالي: -

البَابُ الأوّل
وُفُودُ مَكّة الدّاخِليّة

وقد تناولته في فصلين:

الفصل الأول

ذكرت فيه الوفود من قريش الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التي حاولت أن تكفّه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التعرض لأصنامهم وشتمها وايضاح حقيقتها الزائفة.

وكيف اتجهت الوفود الى صاحب الرسالة نفسه تعرض عليه مفاتن الدنيا وشهواتها من الأموال والسيادة والملك، فوجدوه ممن لا تلين لهم قناة مع الباطل.

ثم غيرت أسلوبها بعد ذلك الى التحدي فكانت وفودهم التي طلبت منه خوارق العادة من إزالة الجبال، واحياء الموتى، وارسال الملائكة وغير ذلك، وكيف رد عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم بيّنت كيف سلكت

قريش طريقا آخر ومكرا جديدا علّها تحافظ على ماء وجهها أمام قبائل العرب، وتشاطره الزعامة الدينية التي تزلزلت تحت اقدامها، فأرسلت وفد المساومة لاقتسام العبادة بين الاسلام والكفر، وكان رفضه الحازم صلى الله تعالى عليه وسلم، فردهم خائبين في كل موقعة من هذه المواقع الدعائية الخارجة عن منطق العقل السليم وسلطان الضمير الحي.

والأمر هنا ليس مصلحة ذاتية ولا رغبة عابرة، وليس الدين لله والوطن للجميع كما تزعم جاهلية القرن العشرين.

الفصل الثاني

ويشمل الآثار الاعلامية للوفود الداخلية وبيان مميزات الاعلام الاسلامي التي تتلخص فيما يلي: -

البدء بالتوحيد الخالص لله سبحانه وحده عبادة وعبودية، ثم التنبيه لصفات خلقية ضرورية كالصدق والحكمة وغيرها.

الباب الثاني

وفود مكة الخارجية

وقد جعلت هذا الباب أربعة فصول.

الفصل الأول

وفود مكة إلى الخارج

١ - وفد قريش مع أحبار يهود بالمدينة المنورة حتى تتم حلقة التآمر بين يهود والمشركين.

٢ ـ الهجرة الى الحبشة:

أ ـ الوفد الاعلامي الاسلامي.

ب ـ وفد قريش الاعلامي.

٣ ـ وفد بني مخزوم الى يثرب.

الفصل الثاني

وفود قادمة إلى مكة

١ ـ الوفادة الأولى لنصارى نجران.

حيث التقوا بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالمسجد، فجلسوا اليه وسألوه وآمنوا، ورجال من قريش في أنديتهم حول صحن الكعبة، فساءهم ذلك التصديق والايمان السريع، فاعترضهم أبو جهل مع نفر من قريش.

٢ ـ وفادة همدان الاولى.

٣ ـ قريش ووفود العرب.

وقد بيّنت كيف استمع لهم في البداية ووضع كرسفا في أذنيه حتى لا يسمع شيئا، ولكن الله سبحانه أراد له الكرامة فذهب الى بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه.

الفصل الثالث

وفود يثرب الإعلامية

لأهمية هذه الوفود وأثرها البالغ في حمل رسالة السماء، وحمايتها ونشرها

والجهاد في سبيلها جعلتها في فصل مستقل:

١ ـ وفد أبي الحيسر الى مكة.

٢ ـ وفد العقبة الأولى من الخزرج سنة ١١ من البعثة، وقد آمنوا بربهم وصدّقوا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وانصرفوا الى المدينة يحملون معهم راية التوحيد.

٣ ـ وفد العقبة الثانية وبيعة النساء سنة ١٢ من البعثة. ووفادة مصعب بن عمير رضي الله عنه معهم للمدينة.

٤ ـ وفد العقبة الثالثة وبيعة الحرب سنة ١٣ من البعثة.

وكان عدد هذا الوفد ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، منهم أحد عشر رجلا من الأوس والباقي من الخزرج، وبايعهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم عند هجرته اليهم.

الفصل الرابع

الآثار الإعلاميّة للوفود الخارجيّة

أوضحت كيف كانت هذه الوفود عبارة عن وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري في ذلك الزمان، وأنها حملت الدعوة الى دائرة اعلامية واسعة داخل الجزيرة وخارجها.

وكيف تميز اسلوب كل من الفريقين حيث اعتمد الكفار على التشويش والكذب والتضليل في حين تميز اسلوب الوفود الاسلامية بتأصيل قواعد الاعلام الاسلامي كالايمان الصادق وفنية الاسلوب وغيرهما.

البَابُ الثَّالِث

إعلام إسلاميّ في ضَوءِ الوُفُود

قسمت هذا الباب الى أربعة فصول كل منها يتمم الآخر ويعتمد عليه وهي كما يلي: -

الفَصْل الأول

مَصَادِر الإعْلام الإسْلامِيّ

وكيف اعتمدت على الوحي المنزل من عند الله سبحانه، فكان لها بمثابة المنبع العذب لكافة القواعد والاصول اللازمة للحياة الصالحة.

الفَصْل الثَّانِي

قَوَاعِدُ الإعْلام الإسْلامي وَمُمَيِّزاته

وقد ضمنتها ما يجب أن يحمله كل داعية ورجل اعلام باع نفسه في سبيل الله سبحانه. وما يتميز به الاعلام الاسلامي من الحق والشمول والثبات لكل زمان ومكان.

الفَصْل الثَّالِث

أسَالِيبُ الإعْلام الإسْلامِيّ

وهنا أكدت ضرورة الوقوف على عمد وأركان الدعوة الاسلامية التي جاء

بها القرآن الكريم، ونبهت اليها السنة الشريفة من الحكمة والموعظة الحسنة والاستقامة والوضوح في الغاية وغيرها.

الفصل الرابع

وسائل الإعلام الإسلامي

تعرضت هنا للوسائل المرتبطة بموضوع الرسالة من قريب أو بعيد وهي: -

١ - الاتصال الشخصي المواجهي المباشر.

٢ - الوفود.

٣ - تطهير وسائل الاعلام الحديثة.

الخاتمة

جعلتها كلمة عبرة وذكرى لما كان عليه السلف الصالح وما يجب أن نكون عليه الآن.

وبهذا أصل الى نهاية الرسالة، فإن أكن قد وفقت فالمنة والفضل من الله سبحانه وحده، وان أكن أخطأت فمني ومن الشيطان وعذري أنني بشر، وما أريد الا الاصلاح ما استطعت، وما توفيقي الا بالله عز وجل انه نعم المولى ونعم الوكيل.

والآن وأنا أتشرف بتقديم هذه الرسالة والتي ترجع أهميتها الكبرى في كونها قبساً من أنوار خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم، في طريق الدعوة الى الله سبحانه الواحد القهار.

لا يسعني الا أن أتقدم بعظيم الشكر، وعميق الامتنان والعرفان بالجميل الى شيخنا صاحب الفضيلة الدكتور عماره نجيب ذلك الرجل الداعية الصادق ان شاء الله تعالى، والذي فتح لي قلبه وبيته وغمرني بكرمه العلمي والمادي، وتوجني بالنصح والارشاد والتوجيه الاسلامي حتى انتهيت من كتابة هذه الرسالة، فجزاه الله سبحانه عنا خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم انك سلّطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك، وقنّطه منا كما قنّطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك، انك على كل شيء قدير.

* * *

تمهيد

معنى كلمة وفد:

لقد وردت كلمة وفد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا. ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ (١).

وجمعت هنا بين الآيتين حتى يتضح المعنى الحقيقي للوفد، وما له من مكانة وكرامة في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير رحمه الله: (والوفد هم القادمون ركباناً ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة... وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم فانهم يساقون عنفا الى النار عطاشا) (٢).

وجاء هذا المعنى كذلك في تفسير أبي السعود (٣).

وأما سيد قطب فصور الموقف بقوله: (وفي مشهد من مشاهد القيامة يصور عاقبة العد والحساب، فأما المؤمنون فقادمون على الرحمان وفدا في كرامة وحسن استقبال ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً﴾. وأما

---

(١) سورة مريم آيه ٨٥ - ٨٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.

(٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة ابي السعود بن محمد العمادي الحنفي.

المجرمون فمسوقون الى جهنم وردا كما تساق القطعان: ﴿ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ (١).

والوفود جمع وفد ووافد، وهم عادة الذين يفدون على زعماء القوم في حاجة، أو يوفدون في مهمة، ومما يجب في حقهم التكريم وعدم الاهانة من الجانب الآخر.

قال ابن سيده: «وفد فلان وفادة اذا خرج الى ملك أو أمير» (٢).

وقال الجوهري: «الوفد اسم للجمع وقيل جمع. وأما الوفود فجمع وافد. وأوفد فلان فلانا اذا أرسله» (٣).

وفي لسان العرب: (وفد فلان على الأمير أي ورد رسولا فهو وافد. وجمع الوفد: أوفاد ووفود. وأوفدته أنا الى الأمير أي أرسلته) (٤).

وفي المعجم الوسيط: (وفد على القوم وإليهم - (يفد) وفدا ووفودا ووفادة: قدم وورد رسولا فهو وافد.

جمعه: وفود، وفد، أوفاد، وفّد.

أوفد فلانا على الأمير وإليه أرسله.

والوفد: جمع الوافد، وجماعة مختارة للتقدم في لقاء ذوي الشأن، جمعه: وفود وأوفاد) (٥).

---

(١) في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب.

(٢) المخصص لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده. دار الفكر، بيروت.

(٣) الصحاح لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري.

(٤) لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري جـ ٤ ص ٤٨٠، الدار المصرية للتأليف والترجمه.

(٥) المعجم الوسيط جـ ٢، ص ١٠٥٨، مجمع اللغة المصرية.

وفي مختار الصحاح: (وفد فلان على الأمير أي ورد رسولا فهو وافد.

والجمع (وفد) مثل صاحب صحب.

وجمع الوفد: أوفاد ووفود والاسم الوفادة.

وأوفده الى الأمير أرسله)(١).

ومما سبق نرى أن كلمة الوفود تشمل الوفد والوافد ممن يكلف بحمل رسالة أو مهمة معينة، واذا كان فردا وجب تعيينه، فيقال: وفد فلان وأوفد فلان.

والاسم وافد للفرد الواحد ويقال للاثنين وفد تجوّزاً.

وقد اخترت بحث الوفود بما فيها الواحد الوافد والاثنين فأكثر، لأن الكل جمعه الوفود وهو عنوان الرسالة.

وقد تكررت كلمة وفد في السنة النبوية، وهم الذين كانوا يفدون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، واعتنق بعضهم الاسلام كوفد نصارى نجران، وأرجعهم صلى الله تعالى عليه وسلم دعاة بين أقوامهم. وكذلك الذين كانوا يوفدون من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخل الجزيرة وخارجها، لنشر الاسلام واقامة الدين.

---

(١) مختار الصحاح، ص ٧٣٠، الشيخ الامام محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي، طبعة دار المعارف بمصر.

البَابُ الأوّل

وُفُودُ مَكّة الدّاخِليّة

الفصل الأول الوُفُودُ القُرَشيَّة

الفصل الثاني الآثار الإعلاميَّة للوُفُودِ الدّاخِليّة

البَابُ الأوّل

وُفُودُ مَكّة الدّاخِليّة

تنوعت الوفود في هذا الباب بقصد ايقاف سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعوته، فلجأت في البداية الى غير ما لجأت اليه في النهاية، فلم يغنهم ذلك شيئاً، ورد كيد قريش الى نحرها، واستمرت رسالة الاعلام الاسلامي تمخر عباب محيط الكفر والعناد، بكل صبر وصدق وروية وثبات، كما سيتضح من فصلي الباب.

الفَصْلُ الأوّل

الوُفُودُ القُرَشيَّة

(١) وفد قريش الأول الى أبي طالب:

سكتت قريش في بادىء الأمر عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا خلافه، ويقول ابن هشام: [١] (ثم دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة، وتحدث به. ثم ان الله عز وجل أمر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو اليه... قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [٣]).

فأعلن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة الحق وشهادة التوحيد دون خوف أو وجل أو مساومة أو مراوغة، فعز ذلك على قريش وهم سادة العرب وسدنة الكعبة، والقوام على الأوثان والأصنام. فلما رأت قريش أن

---

(١) سيرة عبدالملك بن هشام القسم الأول، ص ٢٦٢، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥ هـ.
انظر تاريخ الطبري ص ٣١٨، انظر السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص ١٣٧، انظر سيرة سيد البشر ص ٤١، الشيخ أحمد العساف.

(٢) سورة الحجر آية ٩٤.

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ ـ ٢١٥.

محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم عاب الآلهة وسفّه الاحلام وضلل الآباء، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه حسب الاعراف العربية وحماه دونهم. فطالبوا بكفه أو التخلي عنه.

قال ابن الأثير: [1] (مشى رجال من أشرافهم الى أبي طالب، عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ومن مشى منهم فقالوا: «يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا. فاما أن تكفه عنا واما أن تخلي بيننا وبينه، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه» فقال لهم أبو طالب قولا جميلا وردهم ردا رقيقا فانصرفوا عنه).

ونلاحظ هنا أن قريشا [المصدر] [2] حاولت تغيير سلوك المتلقي باثـارة منبه جديد ومضمون مثير لأبي طالب حيث أخبرته أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم سب الآلهة، وسفّه الاحلام، وضلل الآباء. ولكن شيم العروبة في حماية الجوار وقرابة الدم أبت عليه ذلك، فقال لهم قولا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه.

(٢) وفد قريش لمنازلة أبي طالب:

لم تفلح الوفادة الأولى عند أبي طالب على الرغم أنها كانت على أكبر مستوى من الجاه والسلطان، ومضى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ما

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢، ص ٤٢، دار الفكر بيروت طبعة سنة ١٣٩٨ هـ. انظر سيرة إبن هشام ص ٢٦٥ ـ انظر الطبري جـ ٢ ص ٣٢٣ ـ انظر سيرة سيد البشر ص ٤١ الشيخ أحمد العساف ـ انظر السيرة النبوية ص ١٣٩ الشيخ أبو الحسن الندوي.

(٢) المصدر: مصطلح اعلامي يطلق على الداعي أو المرسل أو جهة البث والمتلقي يطلق على المستقبل. انظر الأسس العلميه لنظريات الاعلام ص ١٤٣، دكتوره جهان رشتي.

هو عليه، يظهر دين الله سبحانه ويدعو اليه، فاشتد الأمر بينهم وبينه، وتباعد الرجال وتعادوا، وأصبح ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم شغل قريش الشاغل، خوفاً على مكانتهم ومركزهم عند العرب، فتذامروا فيه حتى لا تضيع مكاسبهم، وتزول هيبتهم من نفوس العرب وهم حماة البيت ورعاة الأصنام.

ويقول الطبري:[1] (ثم انهم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: «يا أبا طالب ان لك سنّا وشرفا ومنزلة فينا، وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين» ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له، ولم يطب نفساً باسلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا خذلانه).

فبعث الى الرسول ﷺ وأبلغه مقالة القوم: (وقال له:[2] «يابن أخي ان قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق» فظن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء [3] وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته». ثم استعبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبكى ثم قام. فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: «أقبل يا بن أخي» فأقبل عليه فقال: «اذهب يابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا»).

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢، ص ٣٢٣ الطبعة الثالثة، دار المعارف القاهرة..

انظر سيرة ابن هشام ص ٢٦٥ ـ انظر السيرة النبوية ص ١٤٠ الشيخ أبو الحسن الندوي.

(٢) نفس المصدر السابق تاريخ الطبري جـ ٢، ص ٣٢٦.

(٣) البداء: الاسم من (بدا) يريد: ظهر له رأي وسمى الرأي بداء لأنه شيء يبدو بعدما خفي.

وبتدقيق النظر في هذه الوفادة من قريش [المصدر] نرى أنها حاولت عزل المتلقي عن الدعوة بمضمون جديد مثير ومخيف، حيث عقدت العزم بمقاتلة الطرفين، وكادت تنجح هذه الرسالة الاعلامية الماكرة في تحويل رأي أبي طالب.

وهنا تتجلى الحكمة البالغة لرجل الاعلام الصادق[1] وقوته الشخصية في اللحظات الحاسمة وثقته بربه وبنفسه التي آمنت ايمانا قويا بما تدعو اليه من التوحيد، ليكون القدوة الصالحة والمثل الأعلى لرجل الاعلام في كل زمان ومكان. في هذه اللحظات الحاسمة الحرجة تمكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم [المصدر] أن يبث رسالة أكثر اثارة وحساسية في نفس المتلقي ذاته، فتقلب الموازين على قريش حيث بدأ قوله (يا عم) ثم عرض رسالته على عمه أبي طالب [المتلقي] في بلاغة وبيان[2] وبساطة «والله يا عم لو وضعوا الشمس...» وختم الرسالة أن استعبر وبكى ثم ولى فأثار حمية [المتلقي] وقرابة الدم التي يقدرها ويجلها المتلقي ولا يعارض الاسلام في تقديرها وإجلالها ما دامت في خدمته. فربح الجولة وخسر المبطلون.

(٣) وفد قريش بعمارة بن الوليد:

ذاع أمر حماية أبي طالب لابن أخيه وتصميمه على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غما وحسدا ومكرا فمشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: («يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فلك عقله[3] ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم الينا

---

(١) يشترط كتاب الاعلام في رجل الأعلام أن يكون صادقا قوي الشخصية واثقا من نفسه. انظر الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ١٤٥، د. جهان رشتي الطبعة الثانية.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٤٥.

(٣) فلك عقله: أي ديته اذا قتل.

ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك، ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامنا، فنقتله فأنما هو رجل برجل» قال: «والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم؟ وأعطيكم ابني فتقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدا») [1].

فتحقق القوم عندئذ أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منع منهم بحماية أبي طالب شيخ قريش، وشاع القرار الحاسم بين الأندية جميعا.

وان المرء ليسمع عجبا، ويقف مذهولا، أمام مروءة أبي طالب مع صاحب الدعوة الجديدة، الذي سفّه الأحلام من وجهة نظره وضلل الآباء، وعاب الآلهة التي يؤمن بها أبو طالب نفسه، كيف حدث هذا في الجاهلية الأولى؟ بينما نسمع ونرى الآن من الجاهلية الحاضرة ما تقشعر له الأبدان من الخديعة والظلم والكذب والمراوغة، بل الهلاك لكل من تسول له نفسه، أن يتكلم كلمة حق عند سلاطين الجور وحكام الكفر، وفراعين الأمم في القرن العشرين.

ونرى هنا أن قريشا بثّت رسالة اعلامية جديدة بمضمون مادّيّ ومعنويّ هذه المرة محاولة اقناع [المتلقي] للهدف الحقيقي الذي جاءت من أجله وهو تسليم ابن أخيه لقتله مقابل أنهد فتى من قريش عمارة بن الوليد.

وكأني بأبي طالب [المتلقي] قد ثارت في نفسه حمية الدم وحب الزعامة،

---

(١) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير جـ ٣، ص ٤٨، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨ هـ.
انظر سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٢٦٧ مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - انظر تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٢٧ دار المعارف القاهرة - انظر خاتم النبيين، العهد المكي ص ٥٠٥، الشيخ محمد أبو زهره، مؤسسة دار العلوم، الدوحة سنة ١٤٠٠ هـ.

وشجاعة ابن أخيه وثباته، وموقفه الحاسم من قبل........

فعندئذ لم تؤثر فيه [الاستمالات العاطفية ولا الاستمالات المنطقية][1] لقريش وبث فيهم رسالته المنطقية الفاصلة التي تدل على أنه (مدرك لما يحيط به من ظواهر وأحداث)[2] بقوله: «أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً».

(٤) وافد قريش للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم:

قال ابن كثير:[3] (عن جابر بن عبدالله قال: «اجتمعت قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟»

فقالوا: «ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعه، فقالوا: أنت يا أبا الوليد»).

فقام عتبة حتى جلس الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال: «يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطّة»[4] في العشيرة، والمكان في النسب، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها». قال: فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «قل يا أبا الوليد أسمع» قال: «يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا

---

(١) هذه مصطلحات اعلاميه نقلتها من ـ الأسس العلمية لنظريات الاعلام، ص ٣١١، د. جهان رشتي، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٥ م.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٥٤.

(٣) انظر البداية والنهاية جـ ٣، ص ٦٢، لأبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار الفكر بيروت طبعة ١٣٩٨ هـ.

(٤) السطّة: الشرف. وفي سائر الاصول: البسطة.

حتى تكون أكثرنا مالا، وان كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وان كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه») (١).

يا له من قول خطير جدا، وعروض مثيرة يسيل معها لعاب صاحب الدنيا، ملك وسيادة ومال، من يصمد أمام هذا الاغراء؟ وهو أقصى غاية يشتهيها الانسان، ولكنها النبوة السامقة على كل متاع زائل وغرور مبين.

الرسالة المضادة:

(فقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: «أفرغت يا أبا الوليد» قال: «نعم» قال: «فاسمع مني» فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهو لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون﴾ (٢).

ومضى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في القراءة، وعتبة منصت لها حتى انتهى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك». فقام عتبة الى أصحابه بغير

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٢٩٣،
انظر البداية والنهاية جـ٣، ص ٦٣، لابن كثير.
انظر السيرة النبويه ص ١٤٩ - ١٥٠، الشيخ ابو الحسن الندوي.
انظر خاتم النبيين ص ٤٥٥ - ٤٥٦، الشيخ أبو زهرة، مؤسسة دار العلوم الدوحه ١٤٠٠ هـ.
(٢) سورة فصلت آية ١ - ٥.

الوجه الذي ذهب به، فلما جلس اليهم قالوا: « ما وراءك يا أبا الوليد » قال: « ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعته منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وان يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به » قالوا: « سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه » قال: « هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم »)(1).

نعم ترك لهم الأمر ليفعلوا ما بدا لهم وليس هذا غريبا أمام المصدر الاعلامي الأمين المتحرك الثابت على مبدئه الصادق المؤثر على المتلقي هذه المرة بعد أن كان هذا المتلقي قبل قليل مصدرا لرسالة ذات مضمون تافه بالنسبة لصاحب الدعوة الجديدة.

(وقد ذكر الباحثون: برلو، ولمبرت، ومرتز ثلاث خصائص لصدق المصدر(2):

١ ـ الاحساس بالأمان والطمأنينة بالمصدر من عدل ونزاهة وأخلاق.

٢ ـ عنصر المؤهلات من الخبرة والكفاءة والعلم.

٣ ـ عامل الحركة والطاقة والنشاط [الديناميكية] الذي يظهره المتحدث في الظرف الاتصالي).

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [المصدر] يبث رسالته وهو

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، القسم الاول ص ٢٩٤.
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٥٦ الشيخ أبو زهره.
انظر البداية والنهاية جـ٣ ص ٦٣، ٦٤، لابن كثير.

(٢) انظر الأسس العلمية لنظريات الاعلام، ص ٤٥١، ٤٥٢، د. جهان رشتي، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٥ م.

مفعم بالطاقة والنشاط والايمان مما جعل تصديقه يرتفع لدرجة كبيرة، وهو الثقة عندهم من قبل، والصادق الأمين، مما جعل المتلقي يقول لقريش: «أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه....».

والآن ماذا حدث مع هذا الوافد القرشي:

إغراء عظيم تلين معه القلوب الأرضية، وموقف حاسم للحق في وجه الباطل دون مراوغة أو مداهنة أو سياسة أو استعطاف، فكانت النتيجة صدمة عنيفة في نفس الوافد على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جعلته ينطق بالحق الذي لا يرضي أصحابه، ولكنها الفطرة السليمة التي قد تستجيب لنداء الحق الخالص لوجه الله سبحانه. فامتلأت الأسماع بذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وانتشر الاسلام في قبائل قريش بين الرجال والنساء دون خوف من العذاب والتنكيل، بل صمود كالجبال الشوامخ الراسيات.

(٥) وفد التحدي والمجادلة:

اجتمع زعماء قريش بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، وقد عزموا هذه المرة على التحدي اذا لم تفلح المحادثة، فبعثوا اليه فجاءهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا لحرصه على رشدهم. قال ابن كثير:[١] (وجلس اليهم فقالوا له: «يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك، وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، فقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الاحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة، وما بقي من قبيح الاّ وقد جئته فيما بيننا وبينك، فان كنت انما جئت بهذا الحديث

(١) البداية والنهاية جـ٣، ص ٥٠، لابن كثير.
انظر سيرة ابن هشام ص ٢٩٥، ٢٩٦.
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٥٨، الشيخ أبو زهرة.

تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وان كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيّا تراه قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك» فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله سبحانه بعثني اليكم رسولا، وأنزل عليّ كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلّغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فان تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله سبحانه حتى يحكم الله سبحانه بيني وبينكم»).
أ هـ.

موقف حاسم ويقين قوي متين في نصر الله سبحانه على قوى الشر والطاغوت، وانه لا خيار بين الحق والباطل يا زعماء قريش، هذا نور الله سبحانه أعرضه عليكم، فان أبيتم الا ظلال الباطل أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وهكذا فشلت قريش وزعامتها في اقناع المتلقي مرة أخرى، على الرغم من أن مضمون رسالتها يسيل له لعاب طلاب الدنيا حيث السيادة والزعامة، والمال، والجاه، والسلطان. فرفض دنياهم الفانية، واستغل الظرف الاتصالي مع زعماء القوم، فكرر الحقيقة على مسامعهم أنه رسول اليهم وأنزل عليه كتاب ليخرجهم من الظلام الى النور، وخيّرهم بين القبول والرفض بعرض اعلامي ممتاز، تتجلى فيه صفات رجل الاعلام الناجح من الصدق والقدرة على الاقناع بما أخبرهم، والقوة الشخصية، والثقة بالنفس أمام جمعهم، والايمان بما يدعو له باقتناع جازم، والاهتمام بالمتلقي، ونقل المعاني المطلوبة اليه ببساطة وأمانة وصبر ويقين وصراحة ووضوح.

(ويذكر ابراهيم إمام[1]: في صدد ما يجب أن يتفق مع الوظيفة الاعلامية الأولى للفن الصحفي، هو أن يقوم على تقديم الأخبار والأنباء أو اعلام الجماهير بوضوح وصراحة ودقة موضوعية مع ذكر مصادر هذه الأخبار، والالتزام بمعايير الصدق، والأمانة والنزاهة).

نعم هذا هو الاعلام الصادق الصابر، الذي لا يلين مع الباطل، فلا مراوغة، ولا مداهنة، ولا سياسة، كما تزعم وسائل الاعلام اليوم، وأبواق الشيطان من المنافقين، وأقلام الكتاب المرتدين.

يقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: «أصبر على الحق حتى يحكم الله بيني وبينكم».

فأين أنتم يا علماء اليوم من الحكام الظالمين، وأين مواقعكم التي يجب أن تملؤوها بكلمة الحق.

الحرب الاعلامية:

بدأت الحرب الاعلامية، والتعبئة الفكرية المضللة، والدعاية المضادة الكاذبة، التي خطط لها زعماء قريش بليل، تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك، فقد رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف قال تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾[2]. ولكنهم أرادوا بذلك أن ينتصروا لأنفسهم بجولة اعلامية ردا على ما أخبرهم به من قول صادق، وللدفاع عن آلهتهم الصماء البكماء، التي وقفت مهينة ذليلة أمام العيون التي تعبدها، بل بدأت

(١) انظر دراسات في الفن الصحفي ص ٦٣، د. ابراهيم امام. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م.

(٢) سورة العنكبوت آية ٥١.

الشكوك تراود قلوب القوم من هذه الآلهة التي لا تنفع ولا تضر. فلا بد اذن من مقاومة هذه الدعوة، والقضاء على صاحبها، بكافة وسائل الأكاذيب والأباطيل لتبرير عداوتهم. قال تعالى في الملأ من قريش: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد﴾ (١).

(ويذكر السيوطي (٢) في سبب نزول هذه الآية مطالبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الملأ من قريش بكلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي اليهم العجم الجزية، وهي لا اله الا الله، فقالوا: ﴿الها واحدا ان هذا لشيء عجاب﴾.

ويقول ابن جرير في تفسير قوله تعالى﴿ان هذا لشيء يـراد﴾: (أي أن الملأ من قريش قالوا: «ان هذا الذي يدعونا اليه محمد ﷺ من التوحيد وترك الآلهة لشيء يريد به الشرف عليكم، والاستعلاء علينا، ولن نجيبه لذلك أبداً») (٣).

وتآمر الملأ من القوم، واتفقوا على مطالب عرفوا أنها مخالفة للناموس الالهي، وعساهم بذلك أن يرفعوا من شأن آلهتهم، التي مرّغت في التراب، وتمرّغت معها كبرياؤهم، فطالبـوا بمطـالـب القصـد منهـا تحطيم الدعـوة، وتكذيب خبر السماء الصادق، وتعبئة الكراهية بين الناس، والحفاظ على صداقة وتأييد حلفائهم، والاستمرار على صداقة القبائل القادمة الى مكة، والابقاء على ضلالها، بل ان الهدف الاستراتيجي الذي أرادوه من ذلك هو تحطيم الروح المعنوية لصاحب الدعوة الجديدة والمؤمنين بها.

---

(١) سور ص آية ٦.

(٢) انظر لباب النقول في اسباب النزول ص ١٨٤، جلال الدين السيوطي دار احياء العلوم ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، الامام ابن جرير الطبري.

ويصدق هذا التحليل مع ما ذهب اليه هارولد لا سويل [1] (ان الدعاية لها اربعة أهداف رئيسية (استراتيجية) وهي:

١ ـ تعبئة الكراهية ضد العدو.
٢ ـ الحفاظ على صداقة الحلفاء.
٣ ـ الحفاظ على صداقة الدول المحايدة، بل والحصول على تعاونها.
٤ ـ تحطيم الروح المعنوية للعدو).

ولكن الله سبحانه أنزل في مطالبهم قرآنا يتلى الى يوم القيامة، فزاد المؤمنين ايمانا فوق ايمانهم، قال تعالى في صفاتهم: ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [2].

فكانت الآيات المنزلة في مطالب قريش ردا حاسما، وبيانا اعلاميا شافيا، رد كيدهم الى نحورهم، واغاظ قلوبهم حسدا وحقدا.

مطالب قريش:

يقول ابن كثير: [3] (فقالوا يا محمد: «فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أقل مالاً، ولا أشد عيشاً منا. فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال، التي قد ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار

---

(١) الاعلام ادولي دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ص ٢٥٨، د. أحمد بدر، مكتبة غريب القاهرة ١٣٩٧ هـ.
(٢) سورة الانفال آية ٢.
(٣) انظر البداية والنهاية جـ٣ ص ٥٠، ٥١، لابن كثير.
انظر سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٢٩٦، ٢٩٧.
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٥٩، ٤٦٠، الشيخ أبو زهرة.

الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فانه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول أحق أم باطل؟ فان فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله سبحانه، وأنه بعثك رسولا كما تقول». فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما بهذا بعثت انما جئتكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم، فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله سبحانه، حتى يحكم الله سبحانه بيني وبينكم»، قالوا: «فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة، يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم في الأسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولاً كما تزعم»، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت اليكم بهذا، ولكن الله سبحانه بعثنى بشيرا ونذيرا، فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله سبحانه حتى يحكم الله سبحانه بيني وبينكم»، قالوا: «فأسقط السماء علينا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل، فانا لن نؤمن لك الا أن تفعل». فقال: «ذلك الى الله سبحانه ان شاء فعل بكم ذلك». فقالوا: «يا محمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به. فقد بلغنا أنه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمان، وانا والله لا نؤمن بالرحمان أبدا، فقد أعذرنا اليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا»).

نتائج المعركة الاعلامية:

انتهى وفد الزعماء من حيث بدأ، إصرار على الباطل وتآمر على الحق، وفي كل مرة يقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: « ما بهذا بعثت اليكم ولكن الله سبحانه بعثني بشيرا ونذيرا ... ».

نعم هذا هو الاعلام الثابت الصادق القويّ، الذي لا يتزعزع مع الأهواء، وملاذ الدنيا، والنفاق لأهل السلطان.

وليس للحق الا وجه واحد، لا يتغير ولا يتبدل، بل صامد صمود الجبال، يقول صاحبه لهم أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم بيني وبينكم يا زعماء قريش، صبر على الحق المبين الذي بعثني الله سبحانه به، وصبر حتى نصر الله القريب، الذي يحق الحق ويبطل الباطل، ان الباطل كان زهوقا. وهنا يتفاعل تآمرهم وغيظهم الباطني، ويتوعدون بما أخفت قلوبهم من السوء، فقالوا: أنا والله لا نتركك، وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، فالحرب بيننا وبينك يا محمد، وانصرف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى أهله حزيناً أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه، ولما رأى وسمع من غيظ قلوبهم على الدعوة وصاحبها.

التحدي وطلائع النصر:

تحرك التحدي بين النور والظلام، وبين الحق والباطل، وكانت من أسرع نتائجه ما يقول ابن هشام:[1] (قال أبو جهل: « يا معشر قريش ان محمداً قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، واني أعاهد الله لأجلسنّ له غدا بحجر ما أطيق حمله، فاذا سجد في صلاته،

(١) سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٢٩٨، مكتبة مصطفى الحلبي واولاده القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥ هـ.

فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك، أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم»، قالوا: «والله لا نسلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد»).

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، وجلس ينتظر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وغدت قريش مبكرة الى أنديتها بالمسجد الحرام ينتظرون موت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على يد أبي جهل لعنه الله سبحانه، وغدا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان يغدو لبيت الله الحرام، وهو يعلم تماما ما حدث من زعماء قريش بالامس، وما يتهدده من أخطار، ولكنه الحق الذي يجب أن يصدع به ولا يخشى في الله سبحانه لومة لائم.

فقام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فلما سجد، احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه. قال ابن هشام:[1] (حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعبا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده. وقامت اليه رجال قريش، فقالوا له: «ما لك يا أبا الحكم؟» قال: «قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته[2]، ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني»).

وهكذا ظهرت بوادر النصر الإلهيّ لمن صبر لأمر الله سبحانه مع صباح اليوم التالي لوعيد وتهديد قريش، حيث اجتمع القوم متلهفين لرؤية لحظة القضاء على صاحب الدعوة الجديدة، كما اجتمع قوم فرعون يوم الزينة في

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٩.

(٢) القصرة: أصل العنق.

انتظار هزيمة موسى عليه الصلاة والسلام، والقضاء على سحره كما يزعمون. ولكن الحق انتصر في ساعة العسرة، ووجم الجمع مما حدث. رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم فخضع الباطل لحظة، وقال النضر بن الحارث بن علقمة بن عبد مناف: («يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم، أصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وقدهم، وقلتم كاهن، والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم»)(1).

القرآن ومطالب قريش:

استمرت طلائع النصر تنزل على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتطمئن به قلوب المؤمنين وتغيظ قلوب الكافرين. فنزل البيان الالهي رداً حاسماً على آثار التحدي النفسية لمطالب وفد التحدي، نزل تأمينا وبشرى للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، أمام هذا الموقف الاعلامي الرّهيب الذي قصده زعماء قريش من هذا المؤتمر بمطالبهم لخرق وتحدي الناموس الإلهي.

١ ـ قال تعالى: (2) ﴿ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) سورة الرعد آية ٣١.

الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد﴾.

يذكر الواحديّ في سبب نزول هذه الآية:[1] (مطالب قريش بأن يسيّر عنهم الجبال ويفجّر الأرض أنهاراً، ويبعث الموتى، وأن يصير الصخرة التي تحته ذهبا لتغنيهم عن رحلة الشتاء والصيف...).

ويقول سيد قطب رحمه الله:[2] (انما أرسلناك لتتلو عليهم هذا القرآن. هذا القرآن العجيب الذي لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض، أو يكلّم به الموتى، لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه الخوارق والمعجزات، ولكنه جاء لخطاب المكلّفين الأحياء فاذا لم يستجيبوا فقد آن أن ييأس منهم المؤمنون وأن يدعوهم حتى يأتي وعد الله سبحانه للمكذبين.

ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقّته وتكيّفت به أكثر من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، واحياء الموتى،.. والذين تلقوه وتكيّفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أخلد من الموتى، وهو الشعوب التي قتل روحها الطّغيان والأوهام).

٢ - ونزل قوله تعالى:[3] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً. أو يلقى اليه كنز أو

---

(١) انظر أسباب النزول ص ١٨٥، لأبي الحسن علي بن احمد الواحديّ النيسابوريّ، دار الكتب العلميه، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب.

(٣) سورة الفرقان آية ٧، ٨.

تكون له جنة يأكل منها. وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾.

وقوله تعالى:[1] ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الاّ انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾.

أخرج الواحديّ[2] من طريق جوهر عن الضحاك عن ابن عباس «قال: (لما عيّر المشركون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاقة، قالوا: «ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق». حزن رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام من عند ربه معزيا له فقال: «السلام عليك يا رسول الله، رب العزة سبحانه يقرئك السلام»، ويقول لك: «وما أرسلنا قبلك من المرسلين الاّ انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق»).

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات:[3] (يخبر تعالى عن تعنّت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق ولا حجة ولا دليل منهم، وانما تعللوا بقولهم: «ما لهذا الرسول يأكل الطعام» يعنون كما نأكله، ويحتاج اليه كما نحتاج اليه، «ويمشي في الأسواق» أي يتردد فيها واليها طلبا للتكسّب والتجارة، ﴿لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نديراً﴾ يقولون هلّا أنزل اليه ملك من عند الله سبحانه فيكون له شاهدا على صدق ما يدعيه ﴿أو يلقي اليه كنز﴾ أي علم كنز ينفق منه ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أي تسير معه حيث سار، وهذا كلّه سهل يسير على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك؛ وله الحجة البالغة).

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٠.

(٢) أسباب النزول ص ٢٥٢، لأبي الحسن الواحديّ.
انظر لباب النقول في أسباب النزول ص ١٦٢ للسيوطي.

(٣) تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ ابن كثير.

هذا البيان الالهي ايناس للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتطمين له يواجه به مشركي قريش، الذين اعترضوا على بشريته، وتطاولوا عليه بالباطل:

لماذا يأكل الطعام؟

لماذا يمشي في الأسواق مثلهم؟

لماذا لم يرسل معه ملك فيكون نذيرا؟

لماذا لم يغدق عليه ربه من المال الكثير من غير تعب ولا نصب؟

لماذا لا تكون له جنة تسير معه حيث سار؟.

لكنها الحكمة الالهية، والقدوة الكاملة لأمته، حيث ينهض بتكاليف رسالته الضخمة، وهو يسعى لرزقه كما يسعى أي رجل من أمته، فلا يقولن أحد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعاني من صراع العيش لذلك فرغ لرسالته، ولا يعوقه عائق مما أعاني منه اليوم من تكاليف الحياة.

بل أراد سبحانه وتعالى أن تتم القدوة الكاملة، بعد أن انهال المال على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يشغله أو يعطله عن الجهاد في نشر رسالته بكل صبر وشجاعة في السرّاء والضراء، ليكون المثل الأعلى لصاحب الدعوة الصادق في غناه وفقره، لا يخشى في الله سبحانه لومة لائم، ولا يخاف في سبيل دعوة الحق موتاً ولا جوعا.

وتمادت وقاحة القوم، وأساليبهم في الكذب والتضليل والبهتان؛ انه رجل مسحور وغير ذلك من الأوصاف، كما نرى اليوم في وسائل الاعلام المنافقة والأبواب الكاذبة، من تضليل الأمة المسلمة بالإشاعات التي يقذفونها حمما ملتهبة على دعاة الله سبحانه، الصادقين المخلصين في دعوتهم لجعل كلمة الله سبحانه هي العليا في الأرض، فما أسرع ما تسمع أنهم شيوعيون وملحدون تلبسوا باللحى والدين، أو أنهم خونه مارقون عملاء للاستعمار، ثم تقام لهم

المشانق بين عشيه وضحاها، أما الشيوعيون وعملاء الاستعمار حقا ما زلنا نراهم يسرحون ويمرحون في أعلى المناصب بين ربوع أمة الاسلام، ينشرون فيها ضلالا ويعيثون فسادا.

٣ ـ وتمادت الصلافة بالقوم فراحوا يطلبون الخوارق المادية، ويتبجحون في حق الذات الالهية، بلا أدب من ذاتهم البشرية، وزيادة في المعاندة والجحود، وإصراراً على الكذب والتضليل، واشاعة التزوير على الحق، حتى يكسبوا المباراة، ويغنموا الجولة من صاحب الحق، وعلّقوا ايمانهم بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بتحقيق هذه الخوارق، وتحطيم النواميس الالهية، التي جعلها الله سبحانه حاجزا بين الباطل الذي يعيشون فيه، والحق الذي ينتظرهم بعد الموت، والاّ لذهبت الحكمة من الغيب والايمان بالله سبحانه، وما خلقه لعباده من جنة ونار.

قال تعالى في مطالبهم: [١] ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا﴾.

وقال السيوطي في سبب نزول الآيات السابقه: [٢] (أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس: أن

---

(١) سورة الاسراء آية ٩٠ ـ ٩٣.

(٢) لباب النقول في اسباب النزول ص ١٤٠، ١٤١، جلال الدين السيوطي. دار احياء العلوم، بيروت، سنة ١٤٠٠ هـ.

اسباب النزول ص ١٩٨، ١٩٩، لأبي الحسن الواحديّ.

دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ.

عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختريّ والأسود بن المطلب وزمعة بـن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبدالله بن أمية، وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا فقالوا: «يا محمد ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد سببت الآباء وعبت الدين...»).

واستمر في مقالة قريش ومطالبها السابقة الذكر من الاغراء وتحويل الجبال وتفجير الأنهار، وارسال الملائكة، وجعل الجنات، وبعث الموتى وغير ذلك.

وذكر ابن كثير في تفسير الآيات: (نفس الرواية السابقة من اجتماع زعماء قريش ومطالبهم وجحودهم وانكارهم، وأن الله تعالى لو شاء لأجابهم الى جميع ما سألوا وطلبوا، ولكنه علم انهم لا يهتدون قال تعالى: [1] ﴿ولو أننا نزّلنا اليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الاّ أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾. وما على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا البلاغ والنصح وقد فعل ذلك ﴿قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا﴾)[2].

بغيتهم وفشلهم:

طلبوا ذلك لا ليؤمنوا ولكن ليحرجوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وليعلنوا قوة جدالهم، وتعنتهم لا طلبا للدليل وهم قوم خصمون كما قال تعالى فيهم، ولعل الذي يفضح حقيقة نياتهم قول الهاشمي بـن عاتكة بنت عبدالمطلب بن عبدالله بن أمية: «وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك» أي أن التكذيب سابق الدليل ولو كانوا طلاب ايمان حقا ما طلبوا

(١) سورة الانعام آية ١١١.
(٢) تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث لابي الفداء ابن كثير.

أن ينزل عليهم كسفا من السماء، لأن ذلك يبيدهم، ولا ايمان بعد هذا الانزال.

ويقول أبو زهرة رحمه الله:[1] «ما كانت هذه الاسئلة الاّ لاظهار النبي عليه الصلاة والسلام بمظهر العاجز، واذا ظهر عجزه في زعمهم اتخذوا من ذلك ذريعة لمنع الناس عن اتباعه، وللوقوف ضد ينبوع الايمان الذي يسري ولا ينقطع، ولكن هل تحقق ما أرادوا؟ لقد ثبت بذلك صدقه، وأنه لا يريد الاّ الحق، والأتباع يزيدون ولا ينقصون ولا يرتد أحد، بل يزدادون ايمانا، وانهم يحيلون موضع الجدل آيات، والقضية توحيد أو تعدد. فهل يجادلون في الله سبحانه وهو شديد المحال».

كانت مطالبهم جولة اعلامية، ومكاسب دعائية:[2] (تتقمص مصالح عامة الناس مستغلة براءتهم، وسلامة نياتهم، وسرعة تصديقهم للارتباط الكاذب الغير واعي بالافكار التي طرحت من الملأ، أكثر من ارتباط هذه الاحكام والمطالب بالتفكير العقليّ والمنطقي لدى الخاصة والعامة، بل ان الملأ من القوم استغل ظاهره غريزة القطيع الدعائية، المتمثلة في تعزيز الاجماع القائم على الباطل، أو العمل على خلقه بالافادة من العواطف والمخاوف، واثارة الأحقاد، والتحيزات والمعتقدات، والمثاليات التي بينهم، ويريدون بذلك تضليل الرأي العام في قريش والعرب، القائم على العاطفية والانفعالية، بعيدا عن التفكير المنطقي السليم).

وهذا ما يعرف اليوم: (بالرأي العام المنساق[3] الذي يصدق كل ما

---

(١) خاتم النبيين العهد المكي، ص ٤٦٤، الشيخ أبو زهرة.

(٢) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ١٧٦ - ١٧٩، د. أحمد بدر. دار القلم، الكويت، الطبعة الاولى سنة ١٣٩٤ هـ.

(٣) انظر الرأى العام ص ٦٣ د. أحمد بدر. مكتب غريب، القاهرة.

يقال، ويتأثر بكل ما يسمع أو يرى، دون محاولة التعليل أو التفسير أو التدليل، بل هم أشبه بالقطيع يسوقه الرأي العام النابه أو القائد، ويعتبر مادة دسمة لاستغلاله بواسطة الزعماء والملأ من القوم وأعوانهم).

ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل فيها قرآنا يتلى الى يوم القيامه، ليثبت به قلوب المؤمنين، ويمسح به على آلامهم ومتاعبهم، ويفيض على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الثقة والطمأنينة والايناس والرحمة، ما يجعله واسع الصدر على أعدائه، صبوراً في دعوته وجهاده. هذه الآيات كانت بيانا متسقا مع جولتهم، أغاظ قلوبهم، ورد كيدهم الى نحورهم، ويقرر في ختامه البشرية مع الرسالة، قال تعالى: ﴿قل سبحان ربي هل كنت الآ بشرا رسولا﴾ (١).

(٦) اعداد رجل الاعلام وتجهيزه للبعث والوفادة:

حمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الدعوة سرا وجهرا، وآمن به نفر قليل في البداية، أقرأهم القرآن الكريم، وبث في أرواحهم التوحيد الخالص، فامتلأت قلوبهم ونفوسهم بنور الهداية والايمان الى مشاشها، لا يضيرهم التعذيب، ولا يخيفهم البطش، ولا ترهبهم القلة أمام الكثرة الغالبة الظالمة، عرفوا الله سبحانه وتعالى وحده القادر القاهر فوق عباده، آمنوا به الهاً واحداً وبرسوله نبيا مرسلا، يخرج الناس من الظلمات الى النور.

وبهذا ربى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل الدعوة والاعلام تربية خاصة، يتميز بها عن جميع أنواع التربية الحديثة المرتبطة بموازين الأرض الهابطة، ومقاييس البشرية المادية القاصرة.

فالايمان الذي رباه عليه هو أحد الشروط الأساسية لرجل الاعلام،

---

(١) سورة الاسراء آية ٩٣.

المطلوبة في جميع النظريات الاعلامية اليوم، وان اختلف المضمون، فالايمان بالقضية يبعث على قوة الشخصية والثقة بالنفس، وعلى الصدق في القول، والعزيمة بحيث لا يخشى رجل الاعلام الاسلامي أي نوع من أنواع الباطل، ويجعله يهتم بالمتلقي ويحس بأخطاره المحيطة به، وينقل عندئذ مضمون رسالته ببساطة وقدرة فائقة مؤثرة ليكون المثل والقدوة الشخصية المباشرة.

والاتصال المواجهي الشخصي المباشر:[1] (يتميز على الاتصال بواسطة وسائل الاعلام ببعض المزايا السيكولوجية (النفسية). فالاتصال المواجهي يتم بشكل عفويّ، وغير مقصود، كما أنه أكثر مرونة حينما يواجه مقاومة من جانب المتلقي، لأن التأثير المرتد فيه كبير، ويمكن أن يتم الاتصال المواجهي على أسس شخصية أكثر من الاتصال الذي يتم بواسطة وسائل الاعلام بل يقال ان من مزايا التلفزيون الأساسية أنه أقرب وسيلة للاتصال الشخصي المباشر، لأنه يجمع بين الرؤية والصوت والحركة).

وقد كان الاتصال الشخصيّ المباشر من الطرق الرئيسية التي اتبعها رجال الاعلام والدعوة الاسلامية منذ العهد المكي لابلاغ الناس بالحق الذي عرفوه دون خوف أو وجل، ولا بد لهذا الحق أن ينتصر بأنصاره الصادقين المجاهدين الذين يضعون أرواحهم على أكفهم في سبيل اعلان كلمة التوحيد، واعلامها للناس جميعا، دون مساومة أو سياسة كاذبة بل الحق المبين الدامغ للباطل الزاهق.

قريش والوافد الاعلامي الأول من حملة القرآن:

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليرسلوا وافدا

---

(١) انظر الاسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٢٤٥، د. جهان رشتي، دار الفكر العربي ١٩٧٥ م.

عنهم لقريش وقالوا:[1] («والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط من غير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فمن رجل يسمعهموه»، فقال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: «أنا أفعل» قالوا: «انا نخشاهم عليك، انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه» فقال: «دعوني فان الله سبحانه سيمنعني»).

وهكذا تفجرت ينابيع الايمان بين أصحاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، بل قد طالبوه فيما بعد أن يحملوا السلاح وهم قلة، فلم يأذن لأنه لم يؤمر بعد بالقتال، واستمر انتقالهم معه كل يوم من روضة الى أخرى من رياض الايمان والتوحيد، والرسول ﷺ رائدهم وامامهم في فعل الخيرات والبذل والفداء، فما كان من الأنفس المؤمنة الا أن تتفاعل بقوة وعزم لعمل الصالحات والتواصي بالحق والصبر عليه، بمشاركة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دعوته.

عندئذ تقدم الفدائي الأول عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه بالاعلام الصادق، وبأعظم وسائل الاتصال الاعلامي تأثيرا في القوم، وهو الاتصال الشخصيّ المباشر، الذي اتفق علماء الاتصال على أنه أقوى وسائل الاتصال تأثيرا وفعالية، حيث ذكر الباحث الأمريكيّ روزفيلد وزملاؤه:[2] (ان درجة مساهمة الجمهور شخصيا في الظرف الاتصاليّ تصل الى أقصى مداها في حالة الاتصال الشخصي المباشر، وتقل قليلا في حالة الراديو وتقل أكثر في حالة القراءة،.... وان التلفزيون أكثر فعالية من الراديو وأقل فعالية من التأثير الشخصي.

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٣١٤ - انظر تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٣٤ - انظر سيرة سيد البشر ص ٤٦، الشيخ أحمد العساف.

(٢) انظر الأسس العلمية ونظريات الاعلام ص ٣٣٨، د. جهان رشتى، طبعة ١٩٧٥ م.

وتقول جهان رشتي تعليقا على ذلك: «يبدو أن التأثير الشخصي بشكل عام أكثر قدرة على الاقناع من أي وسيلة من وسائل الاعلام»).

كما (يعتقد كبار رجال الدعاية وعلماء الاجتماع أن استخدام عدة وسائل اعلامية علاوة على الاتصال الشخصي العادي والرسمي له فعالية أكبر في الاقناع) (١).

وهكذا تقدم عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه بشخصه المباشر دون خوف أو وجل بين الاندية القرشية القائمة في صحن بيت الله الحرام، حيث اجتمع الصناديد وعلية القوم وغيرهم من العامة، يتسامرون ويتفاخرون ويقسمون بالأصنام والأوثان، ويقدمون لها القرابين، وموكب الشيطان ينفث في صدورهم عداءً لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولدعوته. الى ذلك المكان المرهوب اتجه الفدائيّ الأول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ليعلن اسم الرحمان الذي خلق الانسان وعلّمه البيان على الملأ جهارا نهارا، ليعلم الشاهد الغائب بالقول الحق والخبر اليقين.

ويتفق خبراء الاعلام: (٢) (على أن نشر الأخبار لا بد وأن تتصف بالموضوعية والصدق والأمانة والدقة، ولا بد أن تكون الاخبار مهمة للجماهير، وذات مغزى بالنسبة لهم، ولا بأس من أن تتصف الأخبار بشيء من الاثارة والروعة والضخامة واختيار الظرف المناسب، ولا بد أن تكون الأخبار محايدة ومنزهة عن الهوى والمنفعة الشخصية).

وهل هناك صدق وأمانة ونزاهة أكثر من روعة الايثار بالنفس، والتفاني في سبيل نقل الأخبار الصادقة، في أحلك المواقف الى المتلقين الغافلين الهالكين

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٣٣٩.

(٢) انظر دراسات في الفن الصحفي ص ٥٧، د. ابراهيم امام. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م.

على أمل انقاذهم بخبر السماء الصادق وهو القرآن الكريم الذي قال عنه الدكتور عبداللطيف حمزة:[1] «قد كانت الوسيلة الاعلامية سحرا في عهد موسى عليه السلام، وكانت طباً في عهد عيسى عليه السلام، وكانت قرآنا في عهد خاتم النبيين محمد ﷺ، واذا كان القرآن هو أكبر وسائل الاعلام في الاسلام، فلماذا لا نسميه ديناً اعلاميا بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة».

وماذا وراء هذا الحدث الاعلامي العظيم:

١ - قلوب فرحة سعيدة أعلنت الحق وصبرت عليه، ولطمت الباطل.

٢ - قلوب ملأها الغيظ والغضب لمن تجرأ عليهم داخل سلطانهم، وقرأ مما جاء به محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأسمعهم ما يكرهون، وقاموا اليه يضربون وجهه، وهو يقرأ بأعلى صوته ما شاء له الله سبحانه من سورة الرحمان.

٣ - وآخرون تفاعل الحادث في جوانحهم، فكان خميرة للعطف على أصحاب الدين الجديد أحيانا، وبذرة للايمان في نفوسهم تنتظر سحائب الرحمان سبحانه.

٤ - اشتعال الحرب الباردة بين الحق والباطل في الداخل والخارج، حتى وصل خبر الدين الجديد الى نجاشيّ الحبشة.

٥ - استهانة المسلمين بأعداء الله، والاستخفاف بهم، واستعذاب العذاب في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وهكذا انطلق رجل الاعلام الأول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود

---

(١) الاعلام في صدر الاسلام ص ١٤، د. عبداللطيف حمزة.
دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٨ م.

رضي الله تعالى عنه، متحدياً جميع الأخطار التي تنتظره، واختار المكان المناسب لاعلان كلمة التوحيد، ولم يذهب الى زاوية مهجورة أو احدى أزقة مكه الجبلية، حيث لا فائدة عندئذ من الصدع بالحق في أماكن خاوية خالية من المستمع أو المجيب، بل اختار المكان الملائم في الوقت المناسب للوصول إلى ما يريد من اعلان الحق ومقارعة الباطل مهما كلّف الثمن.

وأخيراً رجع الى اخوانه وأصحابه، وأثر الدماء الطاهرة على وجهه، فقالوا له: «هذا الذي خشينا عليك» وقد عرضوا عليه من قبل أن يذهب من له عشيرة يمنعوه من القوم اذا أرادوه. فقال لهم وعلامات السرور على وجهه، وقد فاض الايمان من جوانحه: («ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم غدا بمثلها» قالوا: «لا، حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون») [1].

رحم الله سبحانه الصحابي الجليل الحافظ المجاهد الصابر المخلص الصادق لربه ودينه، وجزاه الله سبحانه عن الاسلام والمسلمين خيرا في جنات الفردوس الأعلى، وندعو الله عز وجل ان يسخر لهذا الدين من ينصره من مكر الكفار والمنافقين، انه على كل شيء قدير.

(٧) وفد المساومة لاقتسام العبادة والزعامة:

اجتمعت قريش في ناديها بالمسجد الحرام لتجد حلاً وسطاً بينها وبين صاحب الدعوة الجديدة علّها تحافظ على ماء وجهها أمام قبائل العرب، وتشاطره الزعامة الدينية التي تزلزلت من تحت أقدامها، فأرسلت اليه وفد

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٣٥، دار المعارف، القاهرة، طبعة ١٩٧٧ م. سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٣١٥، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥ هـ.

الزعامة وهو يطوف بالكعبة وهم: الأسود بن عبدالمطلب والوليد بـن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل كما يقول ابن هشام:[1] (فقالوا «يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فان كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وان كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه» فأنزل الله فيهم: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾).

ولقد أخرج السيوطي أكثر من رواية ذات معنى واحد تذكر بأن سبب نزول هذه السورة هو مطالـب وفـد الزعـامـة بـاقتسـام العبـادة فقـال في احداها:[2] (لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا: «يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد ولنشترك نحن وأنت في أمرنا» فأنزل الله سبحانه: ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ الى آخر السورة).

إعلان وبيان من الله سبحانه وأمر إلهيّ حاسم نزل على سيدنا محمد ﷺ، وسبيل واحد أمام جميع الدعاة ورجال الاعلام في كل زمان ومكان، بأن طريق الحق واحد لا عوج فيه، ولا فجاج له، انه العبادة الخالصة لله وحده رب العالمين، فنزلت هذه السورة على الرسول ﷺ للمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق. نعم نزلت نفيا بعد نفي وجزماً بعد جزم، وتوكيداً بعد توكيد، بأنه لا لقاء بين الحق والباطل، ولا اجتماع بين النور والظلام، فالاختلاف جوهري كامل يستحيل

(١) سيرة ابن هشام ص ٣٦٢، انظر الطبري جـ٢ ص ٣٣٧.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص ٢٣٧، جلال الدين السيوطي. انظر اسباب النزول ص ٣٠٧، لأبي الحسن الواحديّ.

معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق، والأمر لا يحتاج الى مداهنة أو مراوغة أو سياسة أو مصالح مشتركة، أو مسائل داخلية، كما نسمع الآن في جاهلية القرن العشرين، التي تلبس الباطل حقاً ثم تتركه يتمرغ في أوحال الشرك والانحلال والضلال.

تأملات في البيان:

قال تعالى:

(﴿قل يا أيها الكافرون﴾: أمر الهي جازم حاسم للرسول ﷺ بمناداة الكفر على حقيقته، ووصف اعداء الله سبحانه بأنهم ليسوا على دين، وليسوا بمؤمنين، ولا مواطنين صالحين، كما نسمع اليوم وانما هم كافرون. هذه الحقيقة منذ مطلع السورة وافتتاح الخطاب، انها حقيقة الانفصال الذي لا يرجى معه الاتصال أبداً الا بالدخول في دين الله سبحانه.

﴿لا أعبد ما تعبدون﴾: فعبادتي غير عبادتكم ومعبودي غير معبودكم.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾: فعبادتكم غير عبادتي ومعبودكم غير معبودي.

﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾: توكيد للآية الأولى ودليل على ثبات الصفة واستمرارها مستقبلا.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾: تكرار لتوكيد الفقرة الثانية كي لا يبقى مظنّة ولا شبهة بعد هذا التوكيد المكرر بكل وسائل التكرار والتوكيد.

وبعد ذلك جاء الاجمال لحقيقة الافتراق الذي لا التقاء فيه، والاختلاف الذي لا تشابه فيه، والانفصال الذي لا اتصال فيه.

﴿لكم دينكم ولي دين﴾: أنا هنا وأنتم هناك فلا معبر ولا جسر ولا

طريق. مفاصلة كاملة شاملة)[1].

نعم فالأمر هنا ليس مصلحة ذاتية، ولا رغبة عابرة، ولا سم في عسل، وليس الدين لله والوطن للجميع كما تزعم الجاهلية المعاصرة، ويدّعي المنافقون من أمة الاسلام، والمستغربون الذين يتبعون الضّالين والمغضوب عليهم، والملحدين أعداء الله سبحانه في كل مكان. كان الرد حاسماً على زعماء قريش في الجاهلية الأولى، لا مساومة ولا مشابهة، ولا حلول وسط، ولا ترضيات شخصية، ولا اخاء ديني، كما نسمع ونرى من المنافقين في هذا الزمان.

فان الجاهلية جاهلية، والاسلام اسلام، في كل زمان ومكان، والفارق بينهما بعيد كالفرق بين التبر والتراب. والسبيل الوحيد هو الخروج عن الجاهلية بجملتها الى الاسلام بجملته عبادة وحكما، والاّ فهي البراءة التامة والمفاصلة الكاملة، والحسم الصريح بين الحق والباطل في كل زمان ﴿لكم دينكم ولي دين﴾.

وما أحوج رجال الاعلام الاسلامي اليوم لهذه البراءة والمفاصلة بين الحق والباطل، فانهم ينشرون الاسلام بين أقوام عرفوا عقيدته، ولكنهم تمادوا في باطلهم وكفرهم وإلحادهم، أو بين جموع من المسلمين مردوا على المعاصي والنفاق، يدّعون الخير والصلاح، وباطنهم الشر والضلال الا من رحم الله سبحانه.

فيا رجال الاعلام اتقوا الله في أنفسكم، وفي مصير أجيال الأمّة المسلمة، فما نرى من أكثركم الا تجارة خاسرة، سلعتها الغالية الصورة الفاضحة، والكلمة الماجنة، والمقالة الضّالة أو المنافقة. وطمستم حقيقة

(١) في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب.

الاسلام بالأخبار الكاذبة، والسياسة الشيطانية القائمة على أن الغاية تبرر الوسيلة، على كلا المفهومين الاشتراكي والرأسمالي.

ولكن للايمان بيوتاً وللنفاق بيوتا، وان مضمون اعلام اليوم في جملته بيت من بيوت النفاق، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (١)

(١) سورة البقرة آية ١١، ١٢.

الفصل الثاني

الآثار الإعلامية للوفود الداخلية

مقدمة عن الاتصال:

ظاهرة الاتصال بين الأفراد والأمم والشعوب ظاهرة قديمة قدم الانسان والأمم، ولكن الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة دراسة منهجية منتظمة، قد اتضح فيما بعد الحرب العالمية الثانية. ولقد أشادت الكتب المقدسة منذ القدم بالاتصال والتفاهم بين الأمم والشعوب، كما جاء في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير﴾ [1].

أهداف الاتصال الأساسية:

تذكر جهان رشتي: [2] (ان هدف الاتصال من وجهة نظر الفرد القائم بالاتصال (المرسل) هو في أغلب الاحوال:

١ ـ الاعلام.
٢ ـ أو التعليم

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) انظر الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٥٤، ٥٥، د. جهان رشتي، دار الفكر العربي ١٩٧٥ م.

٣ ـ الترفيه.
٤ ـ الاقناع.

أما هدف المتلقي في عملية الاتصال:

١ ـ فهم ما يحيط به من ظواهر وأحداث.
٢ ـ تعلّم مهارات جديدة.
٣ ـ الاستمتاع والاسترخاء والهرب من مشاكل الحياة.
٤ ـ الحصول على المعلومات الجديدة لتساعده على اتخاذ القرارات والتصرف المقبول.

أما هدف الاتصال الذي يؤديه للمجتمع:

١ ـ توفير المعلومات عن الظروف المحيطة (الأخبار).
٢ ـ نقل التراث الثقافي من جيل الى جيل.
٢ ـ الترفيه وتخفيف اعباء الحياة.
٤ ـ مساعدة النظام القائم وذلك بتحقيق الاجماع عن طريق الاقناع وليس العنف).

وأود أن أشير هنا بأنه يجب أن يكون مضمون الأهداف الاساسية للاتصال ينطلق من مبدأ الحق والصلاح والفلاح الذي أنزله الله سبحانه وتعالى لعباده، قال تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا﴾ [1].

---

(١) سورة الاسراء آية ١٠٥.

الاتصال وأنواعه:

يقول الدكتور ابراهيم امام: [1] («الاتصال هو عملية نقل الأفكار والمعلومات والمشاعر بين الأفراد والجماعات، ومن الطبيعي أن تتخذ هذه العملية عدة أشكال أو أنماط، تختلف باختلاف النظام الاجتماعي والطراز الثقافي التي تتم فيه».

وذكر في كتابه أنواع الاتصال كما يلي:

١ ـ الاتصال الشخصي الحميم في الجماعات الأولية المتمثلة في الأسرة والأقارب، وما ينشأ بين أفرادها من علاقات شخصية حميمة، على أساس المواجهة والاحتكاك المباشر وجهاً لوجه.

٢ ـ الاتصال الجمعي بين الجماعات الثانوية التي تنشأ عادة لتحقيق أهداف مادية معينة، كالأحزاب السياسية، والجمعيات التعاونية، والشركات التجارية، والأندية والنقابات وغيرها، والعلاقات بين أفراد هذه الجماعات ليست شخصية حميمة كالنوع الأول على الرغم من أن الاتصال بين أفرادها قد يجري أيضاً عن طريق المواجهة والاجتماع والمناقشة، أي أنه اتصال جمعي يتم أحياناً على أساس التفاعل المباشر.

٣ ـ الاتصال الجماهيري: ويتصف بعموميته وشموله لأنه يتم بين عدد كبير من الناس، حيث أن جماهير الاتصال العام عريضة غير متجانسة، وتتكون من ملايين البشر الذين لا يعرف بعضهم بعضا، وليست بينهم أيّ علاقات مباشرة، لأن المرسل في الاتصال الجماهيري يخاطب أفراداً وجماعات، لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يستطيع أن يتلقى منهم

(١) انظر الاعلام والاتصال بالجماهير، د. ابراهيم امام، الطبعة الثانية ١٩٧٥م. صفحة ١٠٣، ١٠٤.

ما يفيد تقبّلهم أو رفضهم لرسالته، لأنه لا يتصل بهم اتصالا مباشراً).

بين الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري[1]:

يذكر الدكتور ابراهيم امام تحت هذا العنوان ما يلي:

(فاذا كانت الجماعات الأولية كالجزر المتباعدة والمتنافرة، فان الاتصال الجماهيريّ يلعب أهم الأدوار في التجمع ونقل الأفكار والمعلومات بطريقة توسع الآفاق وتؤدي الى تجاوز حدود الزمان والمكان، فتحرر القرى من عزلتها، وتطلقها من أسار المجتمع التقليديّ، لتدخل في عالمنا العصري، فتقل الهوة بين الريف والحضر، وتستطيع الأمة أن تصل الى اتفاق فيما بينها، ويشارك الأفراد في قضايا الوطن السياسية والاجتماعية، ويعرفون ما يجري من أحداث وأفكار... فليس الأفراد شظايا أو بقايا أو شذرات متناثرة، ولكنهم ينتظمون في جماعات أولية وأخرى ثانوية، ويمارسون أنواعاً من الاتصالات الشخصية والجمعية، ولا يمكن للاتصال الجماهيري أن يعمل الا من خلال هذه الانماط الاتصالية).

ولا ريب أن النمط الجماهيري قد لقي من الاهتمام والتقدير والعناية ما جعله يمثل المرتبة الأولى في الاتصال، ليعبر عن آراء الحكام والساسة، وليقوم بدور احباط الأنماط الأخرى لما تمتاز به من قدرة وفعالية وحرّية، فكان الصراع بين نمط الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيريّ خاصة في بلاد الاسلام حيث تستخدم الدعوة الى الله سبحانه نمط الاتصال الشخصي، ويستخدم أعداؤها نمط الاتصال الجماهيريّ، الذي نعيشه ليلاً ونهاراً، والقائم

---

(١) الاعلام والاتصال بالجماهير، ص١٠٦، ١٠٧، د. ابراهيم امام، مكتبة الانجلو المصرية، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٥ م.

على أساس الضغط والقهر والاكراه والقسر والالزام، والكذب، والتضليل، والخداع، لأن أجهزة الاعلام ووسائله لا تعطي الناس الا ما تريده الطبقة الحاكمة لتعزيز سلطانها وتدعيم ظلمها، اما الآراء والافكار والاتجاهات المعارضة، فمصيرها الاهمال والمعاداة، حتى لو كانت هذه الاتجاهات من عند الله سبحانه العزيز الحكيم.

ولقد أصبح تشكيل الرأي العام نظرياً صناعة براقة تبهر العيون والعقول بأساليب الخداع والكذب المستمر (حتى يصبح الحق باطلا والباطل حقاً، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم). وأصبح الفرد والمجتمع دمية تلعب بها وسائل الاعلام الحديثة ملبية لرغبات أسيادها الحاكمين (وبطل اليوم وأمل الأمة وروحها في ديار الاسلام يصبح في الغد القريب عدوها اللدود). وبالطبع على لسان نفس وسائل الاعلام السنية.

يقول وليام ريموند: «أصبح الاعلام نفسه صناعة شعارها كل شيء يمكن أن يقال بشرط أن نقوله بطريقة تدر الربح على الهيئة الاعلامية»[1].

وقال عبداللطيف حمزة في كتابه الصحافة والمجتمع:

(ان الرأي العام ليس رأي الشعب بأكمله بل يصح أن يكون رأي طبقة الأغلبية أو السلطة على طبقات الشعب الأخرى. والأرجح أن يكون رأي الطبقة المتسلطة في الأمة هو الرأي الغالب، أو الرأي الذي له السيادة والنفوذ والتفوّق على آراء الطبقات الاخرى).

والآن وقد اتضحت لنا أنماط الاتصال وطرقه وكيفية استخدام كل نمط بطريقة إجمالية.

---

(١) انظر الاعلام والاتصال بالجماهير، د. ابراهيم امام، طبعة ثانية ١٩٧٥ م. صفحة ١٠٥.

فما هو النمط الذي استخدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في إبلاغ دعوة الاسلام؟ وما هي الطريق التي سلكها في ايصال هذا البلاغ المبين.

لقد نزل خبر السماء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وجعله الله سبحانه بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين.. فالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في عملية الاتصال لا ينقل أفكاراً ومشاعر أرضية بين الافراد والجماعات كما يقرر علماء الاتصال في تعريفهم لمعنى الاتصال، ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينطق عن الهوى انما هو وحي يوحى، علّمه شديد القوى، ونزلت آيات قرآنية تؤكد هذا المفهوم لرسالة الاسلام الاعلامية العالمية:

قال تعالى:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ (١).

﴿انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾ (٢).

﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا﴾ (٣).

﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا﴾ (٤).

﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ (٥).

---

(١) سورة الفتح آية ٢٨.
(٢) سورة البقرة آية ١١٩.
(٣) سورة النساء آية ٧٩.
(٤) سورة الاحزاب آية ٤٥، ٤٦.
(٥) سورة سبأ آية ٢٨.

﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى اليّ أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[1].

ومن هذه الآيات البيّنات وغيرها يتضح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل الرسالة المنزلة عليه بشيراً ونذيراً للناس أجمعين ورحمة للعالمين.

ولقد سلك صلى الله تعالى عليه وسلم في ابلاغها أنماط الاتصال الفرديّ والشخصي المباشر والجمعي والجماهيريّ، بهدف واحد ثابت لا يتغير، هو التوحيد لإخراج الناس من عبودية العباد الى عبادة الله سبحانه الواحد القهار.

ويقول عبداللطيف حمزة:[2] (كان الاتصال الشخصي هو العامل المشترك بل الوسيلة الأولى التي مارسها الرسول ﷺ في نشر الدعوة واتبعها في جميع أنماط اتصاله لإبلاغ الحق المبين).

ويذكر ابراهيم إمام:[3] (ان اتجاهات البحوث الحديثة تؤكد أهمية الاتصال الشخصي، وتنسب اليه مقدرة عظيمة على التأثير في الجماهير أكثر بكثير من بقية وسائل الاعلام العامة).

كما (يعلل الباحثون من أمثال لازرسفيلد وكارتز وغيرهما سر تفوق الاتصال الشخصي في التأثير بأنه اذا كان من السهل ان ينصرف الناس عن المواد الاعلامية التي لا تتفق مع آرائهم وميولهم فانه ليس من السهل أن يتجنبوا الحديث مع زميل أو قريب أو صديق لهم، وخاصة اذا كان موضوع الحديث غير معروف لديهم سلفا، كما يتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في

---

(١) سورة الانبياء آية ١٠٧، ١٠٨.

(٢) انظر الاعلام في صدر الاسلام ص ٧٧ - ٨١، د. عبداللطيف حمزة.

(٣) الاعلام والاتصال بالجماهير ص ١٠، د. ابراهيم امام.

عرض وجهات النظر والتأثير في الناس)[1].

ويقول جوزيف كلابر عن تأثير وسائل الاعلام:[2] (اذا كانت جميع الظروف الاخرى متساوية كما هو الحال في المعمل، فان الاتصال المواجهيّ يكون أكثر كفاءة في الاستمالة والتأثير من الراديو وهذا يكون بدوره أكثر تأثيرا من الكلمة المطبوعة، وربما كان التلفزيون والسينما يقعان في مكان ما بين الاتصال المواجهي والراديو).

لذلك نراه صلى الله تعالى عليه وسلم اتصل شخصيا بالأفراد والجماعات والجماهير، وهو يدعو الى الله سبحانه، اتصل بالرعيل الاول الذي آمن من الصحابة رضوان الله عليهم، وأبلغ جماعات قريش بالحق المبين، وعرض نفسه على القبائل والوافدين في المواسم والأسواق العامة الشاملة، بل وأمر صحابته بالهجرة الى الحبشة ومعهم أنوار الدين الجديد، وبعث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه معلما وهاديا لجموع يثرب، وفيما بعد أرسل الرسل الى ملوك وأمراء ذلك التاريخ لعرض الاسلام بالاتصال الشخصيّ المباشر.

ويتفق عبداللطيف حمزة، وابراهيم إمام في تأكيد ما لهذه الوسيلة الأصيلة من أثر فعّال في جميع أشكال الاعلام والدعاية للوصول الى الهدف المنشود (لأن الناس يتأثرون بطريق الاتصال الشخصي المباشر، أكثر مما يتأثرون من جميع وسائل الاعلام الأخرى، وذلك أنهم مثلا مع الصحف والاذاعة والتلفزيون لا يعيرون انتباههم الا للأشياء التي تهمهم، ولكنهم مع الاتصال الشخصي مضطرون الى الاستماع لمن يحدثهم فيما لا يعلمون من قبل.

---

(١) الاعلام في صدر الاسلام ص ٧٥، د. عبداللطيف حمزة.
الاعلام والاتصال بالجماهير ص ١٢، د. ابراهيم امام.

(٢) الاعلام الدولي ص ٢٨٧، د. أحمد بدر، مكتبة غريب القاهرة ١٣٩٧ هـ.

وكذلك في حالة الاتصال المباشر يسهل على المتحدث أن يقدر رد الفعل المباشر على من يحدثهم، كما يسهل عليه أن يكيّف نفسه تبعا لذلك، وهذا ما لا يتيسر بالتأكيد لوسائل الاعلام الاخرى. ويضاف الى ذلك الآثار المترتبة على المواجهة المباشرة بين المرسل والمستقبل من أخلاقيات كريمة، ومروءة إنسانية، وسمات صادقة تساعد على الاقناع والقبول أحيانا، مع أنه ليس من السهل أن نقتنع بوجهة نظر الكتاب والمذيعين الذين لا نلتقي بهم أو نخالطهم) (١).

فعلى رجل الاعلام الاسلامي أن ينقل خبر التوحيد الحقيقي لجميع الناس بأي نمط من أنماط الاتصال التي يراها مناسبة، على أساس تحقيق الاتصال المباشر قدر الامكان، دون تمييز أو إكراه أو خداع وكذب، فالناس أمامه سواء، والإسلام اليهم جميعا في مشارق الأرض ومغاربها يوآخي بينهم الايمان في سلام وأمان.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم. الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (٣).

---

(١) انظر الاعلام والاتصال بالجماهير ص ١٢، د. ابراهيم إمام.
انظر الاعلام والدعاية ص ١١٠، ١١١، د. عبداللطيف حمزة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٨ م.

(٢) سورة الحجرات آية ١٠.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦، ٢٥٧.

مميزات الاعلام الاسلامي في النمط والرسالة:

النمط الشخصي:

تميز الاعلام الاسلامي في هذه الفترة بالنمط الشخصي في سلوك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخلاقه الكريمة وأفعاله الحميدة وصفاته العالية، مع كل من يدعوه لعبادة الله سبحانه، ولقد قضى على كل شبهة أثيرت أمام صدق الداعية، وأحقية ويقين ما يدعو اليه من النور والهداية، وان الملأ هم الذين يثيرون الشبهات ويزينونها للناس، ويكررونها على مسامعهم حتى تألفها النفوس، ويصدقها البسطاء، فعندئذ تصبح عندهم حقائق ثابتة، يندفعون للدفاع عنها ومخاصمة الحق وأهله بكل الوسائل والأساليب الشيطانية التي لا تخطر على بال بشر.

والملأ هم الملأ في كل زمان ومكان، يقفون في وجه كل دعوة الى الله تعالى، ويحاربونها بدافع الكبر وحب الرئاسة والزعامة والافساد في الأرض، فلا بد من وجود النمط الشخصي المؤمن الصابر على البلاء، المخلص في القول والعمل، المستهين بالقوى المادية ولغة الأرقام، المستخف بالجبابرة والطغاة، لا يخشى الموت في سبيل الحق الذي يجاهد من أجله ليلاً ونهارا.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى بالله حسيبا﴾ (١).

مميزات الاعلام الاسلامي في الرسالة:

يمكننا أن نحددها بالخطوط العريضة التالية:

---

(١) سورة الاحزاب آية ٣٩.

١ ـ البدء بالتوحيد الخالص لله سبحانه عبادة وعبودية، والايمان العميق بالدعوة والالتزام الكامل بتطبيق منهجها الاسلامي المنزل من عند الله عز وجل دون مداهنة أو مراوغة أو سياسة أو حلول وسط. فالأمر هنا هو العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص لله رب العالمين ونبذ الآلهة من دون الله سبحانه، وتسفيه الأحلام الجاهلية وتحقير الحجارة وغيرها مما يعبد من دون الله سبحانه.

نعم إنها المواجهة الصريحة وتسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية، لأن كل تسوية تتم على حساب العقيدة والشريعة في سبيل الحصول على مكاسب وقتية، هي في الحقيقة خطر عظيم على الدعوة، وجناية كبرى على العقيدة الصحيحة، التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده ليخرجهم من الظلمات الى النور. فها هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يرفض كل تسوية تعرضها عليه قريش حتى يكف عن شتم الآلهة، وسب الآباء، وتسفيه الأحلام في نظر الملأ من قريش.

حتى أننا نراه عندما قال له عمّه أبو طالب: «يا ابن أخي فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق»، عندئذ تصدى لعمه بكل قوة وعزم في بيان اعلامي صادق مثير فقال: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله سبحانه أو أهلك دونه».

فيا دعاة الحق هذا هو الطريق الحقيقي، والسبيل الصحيح والخط المستقيم لدعوة الله سبحانه في كل زمان ومكان. لا بد من تهيئة النفوس واعدادها على الصبر وتحمل المشاق حتى يظهر الله سبحانه الحق عاليا حاكما على الأرض، أو الشهادة المباركة، والسباق اليها بنفوس مطمئنة وقلوب هانئة لما أعده الله سبحانه لها من جنات الفردوس الأعلى الى جواره الحبيب. ومن هو صاحب هذا الجوار الكريم الا من كان ذا حظ عظيم.

وأنتم يا رجال الإعلام اليوم نراكم كشعراء الضلال في كل واد تهيمون، الا من رحم الله سبحانه، تقولون هذه السياسة الناجحة والمصالح الوطنية والمبادىء القومية، والارتباط الارضي، بالطبع الغاية تبرر الوسيلة. ما هذا يا رجال الاعلام، نرى للحق عندكم عجبا، نراكم اليوم تعضون اليد التي قبّلتها أفواهكم بالأمس، مع أن اليد هي هي لم تتغير، ولم تتبدل وصاحبها غارق في باطله. ولكن الجواب عندكم اذا سئلتم بسيط بديهيّ: هذه السياسة والحكمة البالغة، وتبتعد ألسنتكم عن ذكر كلمة النفاق، فأنتم منه براء على حد ظنّكم.

بئس القوم المراوغ والأبكم عن الحق، الذي يخشى الناس من أجل متاع زائل، والله سبحانه أحق أن يخشى، والحق عنده واحد لا ينقسم، والغاية واحدة لا تنفصم عن اخلاص العبودية له عز وجل، والوسيلة ثابتة لا تتغير عن منهجه سبحانه.

قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون﴾[1] نعم توحيد خالص عبادة وعبودية من المهد الى اللحد، فانتبهوا يا رجال الاعلام من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة والظالمون هم الخاسرون.

٢ ـ التزام الصدق: الصدق هو جوهر الدعوة الاسلامية وصمام الأمن فيها، الصدق صفة بالغة الاهمية في الاعلام الناجح والدعوة الى الله سبحانه، فإن تحرّي الحقائق والوقائع والالتزام برواياتها الصادقة، هي الضمانة الأساسية للفوز بثقة الناس الذين هم غرض المادة الاعلامية، وهدف الدعوة الى الله سبحانه.

لذلك كان من أعظم صفات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه الصادق الأمين ما جرّب الناس عليه كذباً قط. وها هو يقول لقريش (« يا

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

بني عبدالمطلب... يا بني عبد مناف... يا بني فلان... هل تعرفونني؟ » فيقولون « نعم »... « هل جرّبتم عليّ الكذب، وعلمتم الخيانه » فيجيبون.. « كلا بل أنت الصادق الأمين » قال.. « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي » قالوا.. « ما جرّبنا عليك كذبا » قال.. « فإني نذير اليكم بين يدي عذاب شديد »)[1].

فليس أمامهم الا أن تعروهم الحيرة، هذا الرجل لم يكذب عليهم قط في خبر الأرض، فهل يفتري الكذب في خبر السماء؟، ولكن الله سبحانه يضل من يشاء فيبقى على كفره، ويهدي من يشاء فيشرح صدره للإسلام.

لقد جاءهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في مؤتمره الإعلامي الأول بخبر صدقه الذي يعرفونه عنه، ولم يجربوا عليه كذبا أبدا. مما جعل النضر بن الحارث فيما بعد ينادي قريشاً ناصحا: (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، واعظمكم أمانة، حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلّها هزجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا بوسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم)[2].

ولقد استمرت اخبار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صادقة مع قريش، ولا يصدر عنه بيان الا كان تصديقاً ودعماً لرسالته، فأصدقهم الخبر

---

(١) انظر تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣١٩.

(٢) سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٢٩٩، ٣٠٠.

عن الأرضه التي أكلت وثيقة مقاطعتهم له، وانحيازه الى الشعب ما عدا باسمك اللهم ولفظ الله سبحانه، فوجدوا الأمر كما أخبر، فكان لهذا الخبر الصادق الأثر الأكبر في زعزعة النفوس، وزلزلة القلوب الجاحدة المعاندة. فانفرج الضيق واتسعت الابواب للدعوة، وانشقت صفوف الباطل.

وان الأسى يحز في النفس عندما نعلم ان إعلامنا اليوم في الدول الاسلامية قائم بشكل عام على الكذب بدلا من الصدق، وعلى الخيانة بدلا من الأمانة، وعلى الخداع والتضليل بدلا من النصح والارشاد، فلا نرى الا الإشاعات المغرضة والدعايات الكاذبة، والبيانات الخادعة واختلاق الأباطيل، والترويج الزائف، ومحاربة دعاة الله سبحانه بكل وسيلة، واتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وتدبير المؤامرات الشرقية والغربية لهم حتى تنصب لهم المشانق، وتمتلىء بهم السجون حيث تقام عليهم التجارب للوصول الى أحدث أساليب التعذيب في عصر الجاهلية والظلام.

فأين الكلمة الصادقة يا حملة الشريعة الاسلامية ويا رجال الاعلام وأين البيان الأمين؟ اي والله ما قدرتم الله حق قدره سبحانه، واستهزأتم بكتابه وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الا القليل منكم..... فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة واعلموا أن طريق الاسلام لاعلام العالمين هو الصدق، الذي يهدي الى البر، والبر يهدي الى الجنة. لذلك يجب أن يكون الصدق سمة رجل الاعلام الاسلامي بالوسيلة النظيفة الطاهرة السامية، والرجولة الكاملة التي لا تخشى في الله سبحانه لومة لائم، هذا هو الطريق الوحيد للوصول الى العزة والكرامة والقيادة، فالمؤمن لا يكذب أبدا، ولا يفتعل أعذاراً لكذبه.

قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [1].

﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون﴾ [2].

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [3].

﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما﴾ [4].

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

«آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا أؤتمن خان» [5].

٣ - أسلوب الكشف عن واقع الضلال:

اتبع الاعلام الاسلامي في بدء الدعوة أسلوب التشكيك، المستمد من الواقع والحقيقة في معتقدات العرب وآلهتهم التي لا تملك لهم ضراً ولا نفعا، بل ينحرون لها الإبل وهي تنظر اليهم خرساء بلهاء، لا ترى ولا تبدي ولا تعيد، وهم في أقصى الحاجة لما يقدمون.

فجاءت المناقشة واقعية، تمس معتقداتهم في الصميم، أسئلة عليمة لما في الآلهة من نقص وضعف وعجز كامل لمسايرة العقول السليمة.

قال تعالى: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين

---

(١) سورة التوبة آية ١١٩.
(٢) سورة يس آية ٥٢.
(٣) سورة الشعراء آية ٨٤.
(٤) سورة الاحزاب آية ٢٤.
(٥) متفق عليه.

يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿انما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون﴾ (٢).

هذا هو أسلوب الدعوة العليم بأسرار الباطل الموجود أمامه، فعلى رجال الاعلام أن يسلكوا هذا الأسلوب العظيم في الدعوة الى الله سبحانه، بالاطلاع على كل خبايا النظريات والدعوات الباطلة، حتى يستطيعوا الرد عليها بحجج دامغة من عليم خبير بالعيوب الكامنة فيها، وتمزيق ثوبها الصفيق الرقيق حتى تظهر علامة الأوساخ والأدران والأقذار.

ويجب أن يقوم الاعلام الاسلامي على إثبات فساد ما يؤمن به الخصوم من أعداء الاسلام وتأكيد عدم صلاح ما يعتقدون به بالأدلة والحجج القاطعة البالغة.

٤ ـ أسلوب الشمول الاعلامي:

ويقصد بالشمول الاعلامي عموم أساليب القرآن الكريم وطرقه المتعددة في الأداء للوصول الى ما يريد، وتقرير الحقائق الناصعة الواضحة، من خلال قواعد ومبادىء عامة وشاملة، لا تدع شيئا مفيدا الاّ واستوعبته، حتى أصبح العمل بهذه الاساليب والطرق وفي ضوء هذه القواعد والمبادىء كفيلا بالفصل بين الحق والباطل لا يدع مجالاً للشك.

---

(١) سورة الاعراف آية ١٩٥.

(٢) سورة العنكبوت آية ١٧.

فعندما أرادت قريش الاستفسار عن ذات الله سبحانه، نزل قوله تعالى:
﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ (١).

(انه التوازن بين المعنى والمبنى، والتناسق الكامل بين البيان والوصف المعبر عن الحق، فليس هناك حقيقة الاّ حقيقته، وليس وجود حقيقي الاّ وجوده، وكل موجود آخر فانما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية.

انه التنوع في التعبير فجاء بمنهج كامل سابق، لعبادة الله سبحانه وحده، الذي لا حقيقة لوجود الاّ وجوده، ولا حقيقة لفاعلية الاّ فاعليته، ولا أثر لإرادة الاّ إرادته سبحانه وتعالى. فابيضت وجوه لهذا المنهج واسودت وجوه للتنزيل الصاعق لما في قلوبهم من الباطل) (٢).

واتبع القرآن الكريم أسلوباً آخر، هو طريق التكرار لتعميق التوعية بالمعنى المقصود، والمفاصلة بين الحق والباطل، دون مداهنة ولا نفاق، فلا لقاء بين نور وظلام أبدا، ولا مجال لأنصاف الحلول، فان التوحيد منهج والشرك منهج، فلا اجتماع بين الاسلام والجاهلية حتى لا تلتبس الحياة في أي صورة من صور الشرك الظاهر والباطن على المتلقين.

هذه المفاصلة ضرورية لكل داعية في دعوته، وله في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسوة وقدوة، فعندما عرضت عليه قريش الحل الوسط ـ تبادل العبادة ـ وترضية الخواطر، وسياسة المفاهمة الباغية على الحق، وكما يقولون الاعتراف بالأمر الواقع والتمسك بالأعراف والعادات والتقاليد

---

(١) سورة الاخلاص.
(٢) انظر في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب.

الجاهلية... كما نسمع ونرى اليوم في سياسة العالم المنكود والجاهلية الحاضرة.

عندئذ نزلت عليه المفاصلة بين الحق والباطل... قال تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾ (١).

نعم هذه البراءة والمفاصلة والحسم القاطع. فالجاهلية جاهلية كافرة، والاسلام اسلام، ولا سبيل بينهما أبدا، الاّ الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها، والايمان بالاسلام بكل ما فيه. الانسلاخ الذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق، والانفصال الذي يستحيل معه التعاون بأي أسلوب الاّ اذا انتقل أهل الجاهلية من ضلالهم بكلّيتهم الى نور الاسلام وهداية الحق المبين.

٥ - الإلزام بالحجة:

لقد اشتمل القرآن الكريم على جميع أنواع الحجج والأدلة التي تخضع لها رقاب المكابرين المعاندين، لأن الله سبحانه علم أزلاً ما يلجأ اليه أهل الزيغ والهوى والباطل والضلال من مغالطات وحيل وجحود.

فجاء القرآن الكريم على لسان سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حجة دامغة في وجه الكفر والعناد في كل زمان ومكان، وتسلح به أهل الإيمان ودعاة الخير بما ينصرهم على أهل الباطل، حيث أن الانتصار بالحجة الدامغة والمنطق المقنع لا يقل أهمية عن الانتصار في ميدان القتال.

فالحجة والبرهان القاطع من أهم الأصول الثابتة في أسلوب الاعلام الاسلامي، حيث لا يقوى أهل الباطل الا الخضوع للحق، والاستجابة له عن

(١) سورة الكافرون.

طواعية واختيار أو البقاء على العناد والمكابرة والاستعلاء دون دليل، وبألسنة خرساء، ووجوه مسودة، وقلوب تحترق، وأنفس تكاد أن تزهق من هول ما ترى وتسمع من الحجج الدامغات البالغات.

قال تعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون. ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون. أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون. انا لمغرمون. بل نحن محرومون. أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون. أفرأيتم النار التي تورون. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير﴾ (٢).

وهناك الكثير من الآيات التي تربط الغائب بالمشاهد المحسوس الذي لا مرية فيه، لأن هذه الحقيقة أعرب عنها الماديون من الشيوعيين والوجوديين وغيرهم من المنكرين الجاحدين لحقيقة الحياة الآخرة ويوم البعث والحساب. فما أحوج رجل الاعلام الاسلامي للفهم الواعي للقرآن الكريم وحججه للرد على الباطل ان الباطل كان زهوقا.

ان قوة الحجة تبعث في نفس رجل الاعلام الاسلامي التزام الحق مع القريب والبعيد، والصدق في كل حال، والعدل في كل حين، والاستهانة بالقوى المادية، لأنه يسير بمعونة الله سبحانه، وينظر بنور الله عز وجل،

---

(١) سورة الواقعة آية ٥٨ - ٧٢.

(٢) سورة فصلت آية ٣٩.

رابط الجأش ثابت الهمة لا تتزلزل له قدم، وتبعث فيه كذلك الاخلاص في القول والعمل، فيحارب الشر ويدعو لله سبحانه دون أن يكون لنفسه نفع مادي أو هوى شخصي، فلم يعد يخاف الا من ذنبه ومن سخط ربه.

نعم انها قوة الحجة التي تجعل رجل الإعلام الإسلامي أشد قوة من الجبال الراسيات على الأرض كالأوتاد ومن الحديد القوي الذي يقطع الجبال، ومن النار المتأججة التي تذيب الحديد، ومن الماء المتدفق الذي يطفىء النار، ومن الريح العاصف الذي يسوق الغيث فتنبت الأرض الجرداء من كل زوج بهيج.

٦ - تكوين المجتمع المحصن ضد الدعاية المضادة:

انتشر خبر الدعوة الجديدة في كل بيت من مكة، وأصبحت بعض البيوت يذكر في جنباتها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله، وسخرت من المعتقدات الوثنية وتعظيم الآلهة. فثار الملأ من قريش وعظم الأمر في نفوسهم، فعقدوا العزم على محاربة دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والقيام بدعاية مضادة لإثارة الشك والارتياب في صدق صاحب الدعوة، وصحة ما يدعو اليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له.

ويرى الدكتور أحمد بدر:[١] (ان هذه الدعاية تخلق جواً من الاستهواء والاغراء والكذب، بصرف النظر عن الموضوع ومنطقيته، فالهدف ليس الاقناع المنطقي، بل الاغتصاب النفسي واستمالة الجماهير بأي ثمن).

وأسلوب أهل الباطل وكيدهم لا يختلف في جوهره عما اختلقه الأولون، باثارة العادة الموروثة، والمصلحة القائمة، والرئاسة الدنيوية أو الحمية الجاهلية. فتلتهب النفوس الضعيفة وتتمسك بها وتحسبها حجة وبرهانا لتدفع

(١) الاعلام الدولي ص ٢٢، د. أحمد بدر. مكتبة غريب، القاهرة. سنة ١٣٩٧ هـ.

به الحق، وتخاصم الدعاة الى الله تعالى، ولقد تفنن الحكام الطغاة في القرن العشرين بأساليب جديدة وأكاذيب كثيرة للقضاء على الدعوة وأصحابها، باثارة مفاهيم شيطانية خبيثة مثل الحضارة والرجعية، والعملاء، وفصل الدين عن الدولة، وقول الدين لله والوطن للجميع، والتزمّت والتعصب، والمؤاخاة بين الأديان، والتعاون الحضاري، واشتباك المصالح والمنافع وغير ذلك من الشعارات الزائفة، والدعايات الباطلة، ليطفئوا نور الله سبحانه بأفواههم وأيديهم المتلبسة بالخزي والعار، ولكن الله سبحانه وتعالى متم نوره ولو كره الكافرون والمنافقون.

والآن ما هي الدعاية المضادة والأكاذيب الباطلة التي أثارها الملأ من قريش ضد رسالة الإسلام وصاحبها ليخرجوا الناس من النور الى الظلمات، ويحافظوا على زعامتهم وتجارتهم؟:

أ - الرد على الطعن في ذات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم:

هذا الاسلوب الماكر يتكرر على جميع العصور، بالطعن في أشخاص الدعاة وأمانتهم وعقولهم، بالسحر والجنون والخيانة والهوس والضلال والكذب حتى يزلزلوا القاعدة الاولى التي يقام عليها البناء الشامخ لكلمة التوحيد الخالص، فقال مشركو العرب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كل وصف كاذب والدليل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (١).

وكان رسل الله سبحانه يردون على هذا الافتراء باسلوب عال رفيع، يحمل في طياته الرحمة والشفقة على القوم الضالين المفترين. وينزل البيان الالهي من القرآن الكريم ليثبت الذين آمنوا، ويبني المجتمع المسلم لبنة لبنة

(١) سورة ص آية ٤.

على الصلاح والفلاح، فيقص عليهم أخبار الأمم السابقة مع رسلهم عبرة وموعظة لتطمين القلوب. وتربية النفوس على تحمل المشاق والصبر على السفاهة والأذى، قال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون. قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين. قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين. أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ (٢).

ب ـ الرد على ادعاء العلو في الأرض والافساد فيها:

ومن الأكاذيب والأضاليل التي تثار حول الداعي الى الله سبحانه، أنه يريد الرئاسة على الناس، وتغيير العقائد والتقاليد، وان ما جاء به بدعة، ومضرة مفرقة بين الناس ما سمعوا مثلها من قبل، تشتم الآباء، وتسب الآلهة، وتسفه الأحلام، وانها تؤدي الى الافساد في الأرض، وقلب الموازين، لذلك يجب أن تقاوم لأن صاحبها ما أراد بها الا العلو والسيادة والزعامة على الناس، وقد أراد الملأ من قريش أن يثبت هذا الزعم والادعاء أمام العامة من الناس، بتخطيط ماكر حيث عرض المتاع الزائل السابق الذكر (٢) على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرفضه بقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير. وأنزل الله سبحانه على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يطمئن به قلوب عباده المؤمنين، وما ينير لهم الظلمات، ويقمع الشبهات، بما يوافق أحوالهم من قصص الأمم السالفة مع رسلها، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا

---

(١) سورة الاعراف آية ٦٥ ـ ٦٩

(٢) انظر الوفد الرابع ص ١١ من الرسالة.

الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكه ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (١).

فهم يزعمون أن نوحا عليه الصلاة والسلام انما يريد العلو في الأرض، والمنزلة العالية عليهم، والتفضل عليهم بدعوته الى الله سبحانه. لأن ميزان أهل الباطل مرتكس الى الأرض وما فيها من متاع الغرور الزائل الفاني، واحتجوا بأن الرسالة لا تنبغي الا لملك كريم.

وقال فرعون وملؤه لموسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين﴾ (٢).

وقالت قريش في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ (٤).

نعم هذه مفتريات المترفين من القوم في كل زمان ومكان، «انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون» ولكن الأمة هذه تختلف في مفهومها عبر العصور، فهي عبادة الحجارة أو الحضارة، أو الحكام الطغاة الظالمين،

---

(١) سورة المؤمنون آية ٢٤.
(٢) سورة يونس آية ٧٨.
(٣) سورة الانعام آية ٨، ٩.
(٤) سورة الزخرف آية ٢٣ ـ ٢٤.

وغير ذلك من نفثات الشيطان الرجيم. ويرد عليهم الرسل الكرام برد منطقي سليم كريم بقوله تعالى: ﴿أوَلَوْ جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾.

جـ ـ الرد على ادعاء العمالة والاتصال المشبوه:

ان الدعاية بأن حامل الدعوة عميل أو له اتصال مشبوه يعينه على التلفيق والدس والكذب كل هذه الأمور يلجأ اليها المبطلون للوقوف في وجه الحق، وتفريق جماعته والحط من شأنه، لإضعاف الدعوة وصاحبها والقضاء عليها.

ولقد ادعت قريش بأن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ دعوته عن رجل اسمه الرحمان ولن يؤمنوا به أبداً، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وقال الذين كفروا ان هذا إلا إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض انه كان غفورا رحيما﴾ (١).

وأما أكثر أساليب الحكام الطغاة اليوم وهم يحاربون الله سبحانه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، بإلصاق تهمة العمالة والخيانة على الدعاة المخلصين، مع أنهم هم العملاء والخونة للأمة والدين. فالشرقي الاشتراكيّ منهم يكسو أصحاب الدعوة الاسلامية لباس الاستعمار والرأسمالية وحب المال. وأما الغربي منهم فيتهمهم بالشيوعية والإلحاد والتستر بمظاهر الدين، وقد تكال تهم أخرى من كلا الطرفين على رجل الدعوة ظلما وبهتانا وزورا، حتى يقضوا على الحرية التي يدعون أنها موجودة مع أنها في الحقيقة موءودة ومدفونة في آبار الظلم والطغيان.

---

(١) سورة الفرقان من آية ٤ ـ ٦.

د ـ الرد على ادعاء عدم الشهرة والأتباع الفقراء:

الملأ من كل قوم هم الكبراء والأغنياء وذوو المناصب والجاه في المجتمع، لذلك نجد من أعظم وسائل التضليل عندهم ان الدعاة لا في العير ولا في النفير، ليس في يدهم نفع ولا اصلاح، بل هم الجديرون بالقيادة ودعوة الناس من دونهم لأن الدعاة فقراء أذلاء لا قوة لهم ولا مال يدعمهم، فقال تعالى حكاية عن مشركي العرب فيما قالوه عن سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ (١).

كما يثير الملأ من القوم أن أتباع صاحب الدعوة من الفقراء والمساكين وأنهم أصحاب حرف خسيسة، لذلك فانهم ليسوا جديرين بارشاد الناس الى الخير ولا قيادتهم الى الهدى. بل ان الملأ هم وحدهم الذين يستحقون القيادة والزعامة، لأنهم أهل الرأي والنظر والمشورة والجاه والمال والقوة والسلطان.

فقال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ (٣).

فأهل الباطل يضيقون ذرعاً بالدعاة وأتباعهم في كل زمان ومكان،

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١، ٣٢.

(٢) سورة سبأ آية ٣٥.

(٣) سورة هود آية ٢٧.

ويأنفون أن يكونوا مثلهم أتباعاً لدعاة الحق، وهكذا نرى أشراف قريش طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يطرد الفقراء والمساكين من مجلسه، فأنزل الله سبحانه: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ (١).

كانت هذه الآية رداً حاسماً على مطالب أهل الباطل، وأخذاً بخاطر الصفوة من المؤمنين الذين جمعتهم كلمة التوحيد على صعيد واحد لا فرق بين غني وفقير وعظيم وحقير، وأبيض وأسود، كلهم لآدم وآدم من تراب. فميزان المفاصلة والمفاضلة بين الناس هو التقوى، ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. هذا الميزان الإلهي قضى على خبثهم ومكرهم ورد كيدهم إلى نحورهم، فليست العظمة والكبرياء بالغنى والفقر والجاه والسلطان أو بأي مقياس أرضي هابط تعارف عليه المبطلون، واعتادته الشهوات الضالة، والأفكار الخبيثة المريضة، والقلوب العمياء عن جلال كلمة التوحيد الخالص لله رب العالمين.

واذا أمعنا النظر في دعاية الملأ من القوم وجدناها لا تخرج عن قواعد وحدود الدعاية التي وصفها وليم البيج، وعرض لها الدكتور أحمد بدر (٢) ونتناولها هنا ببعض تصرف يتطابق مع أهل مكة:

١ - استغلال الجمهور الأمي حيث اعتمدت الرسالة الدعائية على معلوماته وخبراته المحدودة والظروف المحيطة به.

٢ - التنفيس عن جمهور مكة واعادة توفيق أفكاره وصياغتها بعد أن

---

(١) سورة الكهف آية ٢٨.

(٢) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ١٨٤، ١٨٥، د. احمد بدر.

تزلزلت أمام صمود الدعوة الجديدة.

٣ ـ اتباع أساليب الكذب والخداع وحملات التشكيك والإشاعة.

٤ ـ اختراع القصص وتلفيقها على الجمهور الساذج حتى يصدقها كقولهم أنها أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا.

٥ ـ ان احدى الوسائل الحديثة في تطويع الرأي العام هي تشتيت فكره وصرف اهتمامه عن الموضوعات الاصيلة الى موضوعات تافهة فرعية بقصد تحويل اهتمام الجمهور الى الأشخاص بعيداً عن القضايا الأساسية، لذلك نراهم طعنوا في ذات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالسحر والجنون والخيانة تارة، وبالعلو في الأرض والافساد فيها تارة أخرى، وغير ذلك من المفاهيم الضالة القائمة على مقاييس الأرض الهابطة وموازين الانسان العفنة.

لذلك كان القرآن الكريم ينزل آيات إعلامية قاطعة البيان في كل أمر وحادث يعترض الدعوة الى الله عز وجل فيزداد المؤمنون إيمانا حيث تنير قلوبهم، وتأخذ بخاطرهم، وتمسح كل ضلال يعترضهم، وتقمع كل حرب دعائية مضادة يثيرها أهل الكفر والشرك والضلال. فتبقى حسرة في قلوب الماكرين وقد رد كيدهم الى نحورهم، وهو يرون بأعينهم ان شجرة الإيمان تنمو وتترعرع سامقة إلى السماء بفضل الله سبحانه.

وكأني بالآيات القرآنية التي نزلت رداً على دعاية الملأ من قريش بها اشارة الى قواعد الدعاية المضادة التي عرفها إنسان القرن العشرين. ويعرضها الدكتور أحمد بدر في كتابه [1] ونقتبسها لموضوعنا بتصرف وهي:

---

(١) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ١٨٦، د. أحمد بدر.

١ ـ سلخ الدعاوى الرئيسية للخصم وتجريدها من أسلوبها العاطفي المثير وكشف تناقضاتها، ويتجلى ذلك في قوله تعالى عندما رد على دعواهم لماذا لم ينزل القرآن على رجل عظيم من مكة أو الطائف:

﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ (١).

٢ ـ تحديد القضايا الواردة في دعايات الخصم وفصلها عن سياقها الانفعالي حتى تفقد فاعليتها، كقولهم إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ (٢).

٣ ـ التنديد بالخصم والقضاء على اعتباره ووضع دعايته في تناقض مع الوقائع كقولهم وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون. وقالوا لولا أنزل عليه ملك.... عندئذ نزلت الآيات القرآنية وقصمت ظهورهم بقوله تعالى:

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانّا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ (٣).

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١، ٣٢.

(٢) سورة الفرقان من آية ٤ ـ ٦.

(٣) سورة الزخرف آية ٢٣، ٢٤.

﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[1].

وهكذا نرى أن القرآن الكريم هو الحصن المنيع والماء السلسبيل لكل رجل إعلامي يحمل لواء الإسلام في كل زمان ومكان حتى لا يضل عن الصراط المستقيم.

وقد افترقت السبل بأصحابها الآن إلى مهاوي الفسق والفجور والضلال.

قال تعالى:

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[2]

﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[3]

«صدق الله العظيم»

---

(١) سورة الانعام آية ٨، ٩

(٢) سورة الانعام آية ١٥٣.

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨.

البَابُ الثّاني

وُفُودُ مَكّة الخارِجيَّة

الفصل الأول: وفود مكة إلى الخارج
الفصل الثاني: وفود قادمة إلى مكة
الفصل الثالث: وفود يثرب الإعلامية
الفصل الرابع: الآثار الإعلامية للوفود الخارجية

الباب الثاني

وُفُودُ مَكّة الخارجيَّة

صمدت الدعوة الاسلامية أمام الطغيان المكّي صمود جبالها الراسيات، ولم يتغير هدفها ولم يتبدل أمام الاغراءات والتهديدات على السواء، لذلك كان لا بد أن يستمر الصراع بين الحق والباطل في الداخل والخارج، فخرجت وفود من مكة ودخلتها وفود بسبب الدعوة إلى الله سبحانه، إما حرباً عليها أو تأييدا لها. فكانت هذه الوفود الداخلة بمثابة النتائج للأخبار الإعلامية للدعوة في كل مكان، حيث اشرأبت الأعناق لمعرفة الحقيقة والبحث عنها، واتصفت هذه المرحلة بالحركة والحيوية التي أثارت العقول، ولفتت اليها الأنظار البعيدة بعد أن عجزت عيون قريش عن القضاء عليها، والابقاء على سيادتها وزعامتها على سائر عرب الجزيرة. ولكن الدعوة الاسلامية قفزت بقوة في صدر الأخبار التي تناقلها الرواة في ذلك الوقت حتى كانت حديث الوفود الخارجة والداخلة، مما يدل على قوة التأثير الإعلامية للأسلوب الإسلامي المتميز في كل شيء، في عظمة الرسالة، وثبات المصدر وصبره وحلمه، ومعرفته بحالة المدعو، وعناده ولجاجه، فكان استعماله لأقوى أنماط الإعلام تأثيرا، وهو الإتصال الشخصي.

ولا ريب أن الاسلام قد جعل من هذه الوسيلة أفضل الطرق الى الدعوة والاعلام بالحق، لما لها من أساليب مقنعة وبما فيها من حرية السؤال

والجواب، والأخذ والرد، والحوار والمجادلة، وامكانية الاقناع والمرونة أمام مقاومة المتلقي. وقد جمع القرآن الكريم سلسلة من الاتصال الشخصي بين الرسل وأقوامهم مبينة كيفية الدعوة وأساليبها ووسائلها ونتائجها ومناهجها، وكانت الرسالة الخاتمة جامعة لجميع وسائل الاعلام والتبليغ التي أثبتت جدواها، وأثبتت فعاليتها، فكانت وسيلة الاتصال الشخصي أساس البلاغ والاعلام في دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

الفصل الأول

وفود مكة إلى الخارج

(١) وفد قريش من أحبار يهود بالمدينة المنورة.

عجزت قريش أمام الحجج القوية الدامغة للدين الجديد الذي يدعو إليه محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم. واستنفذت قواها ومكرها للوقوف أمام التيار الجارف للحق المبين الذي أذل كبرياءهم، وزلزل باطلهم، وقضى على كذبهم وخداعهم وأهان آلهتهم، حيث أثبتت الاحداث بأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها عندما يجدونها وقد قلبت على أنوفها.

عندئذ اتحدت وساوس الانس والجن وعقدت العزم على الاستعانة بأشر خلق الله سبحانه في كل زمان ومكان وهم يهود، الذين قتلوا الانبياء وكذبوا على الله سبحانه وتعالى، وغيّروا وبدلوا حسب أهوائهم، وزعموا أنهم شعب الله المختار مما جعل الحسد والغيرة والمكر والدهاء وامتصاص الدماء أقل أوصافهم التي ينعتون بها، ويتميزون بها عن غيرهم، وهل يتجرأ أحد أن يقول يد الله سبحانه مغلولة غيرهم، غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا.

فتحرك وفد قرشي من مكة يضم النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة، وقالت قريش لهما:[1] (« سلاهم عن محمد، وصفا لهم

(١) سيرة ابن هشام ص ٣٠٠، ٣٠١، القسم الاول، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية عام ١٣٧٥ هـ.

صفته وأخبراهم بقوله، فانهم أهل الكتاب الاول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء » فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: « انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا » فقالت لهما أحبار يهود: « سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم:

١ - سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فانه قد كان لهم حديث عجب.

٢ - سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه.

٣ - سلوه عن الروح ما هي.

فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي مرسل، وان لم يفعل فهو متقول فاصنعوا به ما بدا لكم »).

ولنا بعد هذه المحادثة بين أهل الباطل وقفة نظر وتدبر وخشوع وخضوع لحكمة الله سبحانه وتعالى، حيث ينقل خبر الاسلام من مكة الى المدينة مئات الكيلومترات على لسان الكافرين به والى المعاندين الجاحدين.

وورد في حديث مرفوع « ان الله ليؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله » (١).

= انظر البداية والنهاية لابن كثير ص ٥٢، ٥٣، جـ٣، مكتبة الرياض الحديثة عام ١٣٩٨ هـ.

انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٦٥ - ٤٧٠، الشيخ أبو زهرة.

(١) رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وان المرء ليعجب أشد العجب من قول أحبار يهود، يضعون الشروط لصحة الدين وصدق النبوة، ويطلبون من قريش الاتباع له، وكأني بهم قد أخرجوا أنفسهم من واجب اعتناقه، ودبروا في قلوبهم كيدا للدين الجديد وصاحبه حيث وجهوا النصيحة لقريش فقط باتباعه ان أجابهم على الأسئلة، أما هم وكأن الأمر لا يهمهم ولا يعنيهم من قريب أو بعيد.

ورجع الوفد الى مكة ومعه فصل الخطاب فقالا: (يا معشر قريش قد جئناكم بما يفصل بينكم وبين محمد: قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبراهم بها، فجاءوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه عما أمر أحبار يهود)[١].

ويظهر أنهم ظنوا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيردهم بتكرار دعوة الحق لهم كما فعل أول الأمر، ولكن خاب ظنّهم، فقد أمهلهم ولم يردهم، لأن ذلك مما يمكن أن تشمل معجزته الكبرى وهي القرآن الكريم، ولذلك وعدهم بالاجابة، لأنه يتكلّم من عند الله سبحانه، فلا علم له الا من عند الله سبحانه العلي القدير. فقال لهم: «أخبركم بما سألتم عنه غدا». ولم يستثن أي لم يعلّق الاجابة على مشيئة الله تعالى فانصرفوا عنه.

فانقطع عنه الوحي خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة وأشاعوا الأخبار الكاذبة، ونشروا الأضاليل، وقالوا: «وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه»[٢]. فاشتد حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وشق عليه ما يتكلّم به أهل مكة حتى جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بسورة أصحاب الكهف فيها اكرام

---

(١) دلائل النبوة جـ ٢ ص ٤٧، للبيهقي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الاولى عام ١٣٨٩ هـ.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

وعتاب، وفيها الخبر اليقين لما سألوه، فأسكت الاشاعات وأخرس الألسنة.

وكأني بعملية العتاب تزيد من ذيوع أمر الاسلام ونشر أخباره على لسان أعداء الاسلام، فيجيء الرد في الوقت المناسب، وقد تأهب له أكبر عدد من الناس بعد طول انتظار، وارجافهم في الأرض، واشاعتهم عجز محمد عليه الصلاة والسلام، فتكون الإجابة أوقع على النفس، ويكون التحدي أشد تثبيتاً، وأقوى لتكذيبهم ورد كيدهم في نحرهم، ويكون أيضاً دعوة لتصديق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن التأخير يدل على أن محمدا عليه الصلاة والسلام، لا يأتي بهذا الكتاب من عنده، انما يأتيه من الله سبحانه وتعالى علّام الغيوب الذي يعلم ما خلق وهو السميع البصير.

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا. ماكثين فيه أبدا﴾.

ويقول السيوطي في سبب نزول هذه السورة:(١) (أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: «بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهما: «سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول........») وتابع خبر الوفد حتى رجع الى مكة، وما أحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، من مكث الوحي عنه حتى جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام من الله سبحانه بسورة الكهف وخبر ما سألوه عنه.

نعم الحمد كله لله سبحانه وتعالى فهو صاحب الحمد وحده لا شريك له

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ص ١٤٣، جلال الدين السيوطي دار احياء العلوم بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

الذي أكرم وأعز عبده محمداً بن عبد الله صلى الله تعالى عليـه وسلم، وجعـل هذه العبودية عزا وفخارا للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام بجانب اكرامه بالرسالة للانذار والتبشير، وتقرير أن ما على الأرض من زينة انما هو للابتلاء والاختبار والنهاية الى الزوال والفناء.

نزل البيان الالهي قرآنا يتلى على أسماعهم وهو في ذاته دعوة الى الحق، والى صراط مستقيم، وبتلاوته يدركون معنى الإعجاز فيه، وكذلك ردا على أسئلتهم يحمل بين جوانبه الانذار والتبشير، ويوافق الزمان والمكان المناسب للابلاغ، ويلفت الانظار للغرض الرئيسي من انزال الكتاب وهو الانذار بالبأس الشديد للمعاندين، والبشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات.

ومنذ الآية الأولى تتضح معالم الدعوة الاسلامية دون لبس أو غموض، فالله سبحانه وتعالى وحده الذي أنزل الكتاب، وهذا تكذيب للملأ من قريش الذين يزعمون أن محمدا ﷺ يتلقى ذلك عن رجل من اليمامة. ثم يلي ذلك اقرار بأن الحمد كلّه لله سبحانه لأنه هو وحده صاحب النعم الظاهرة والباطنة، ومن أظهرها إنزال الكتاب المبين ليخرج الناس من الظلمات الى النور، وينقذهم من الباطل الى الحق. ويتبع ذلك ميزان السماء العادل السامق الذي يخرج الناس من عبودية العباد الى عبودية الله سبحانه الواحد القهار، فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو عبد لله سبحانه فالكل اذن عبيد للسيـد الأوحد الله سبحانه رب العالمين الذي ليس له ولد ولا معين ولا شريك.

وتستمر الآيات صارمة على الكفار حتى تأتي إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الذي اشتد حزنه لعدم ايمانهم بما جاء في القرآن الكريم، فيخاطبه بما يشبه الإنكار لأن الهدى من الله سبحانه وحده لا ينازعه فيه أحد، لذلك لا يستحق المعاندين أن يحزن عليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو أي داعية لله سبحانه في أي زمان أو مكان، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر،

وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور، وما زينة الأرض الا للابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا. انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا. وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ (١).

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبيان التحدي، واجابات الحق التي دمغت الباطل، وأخضعت أعناقه. فتأتي قصة أصحاب الكهف نموذجا جميلا بليغا لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها، انها قصة القلوب التي تؤثر الايمان الخالص على زينة الأرض ومتاعها الزائل، بل لجأت به الى الكهف حين عز عليها أن تعيش به وسط الناس، وكيف يرعى الله سبحانه وتعالى هذه النفوس المطمئنة الخاشعة، ويقيها من الفتنة ويحيطها برحمته الواسعة، وذلك عبرة وموعظة لجميع الدعاة في كل زمان ومكان بأن الله سبحانه يسمع ويرى معهم أينما كانوا، وانا ناصرهم ما داموا على الحق حيث يقول سبحانه: ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (٢).

فكان الجواب الحق على النحو التالي:

١ ـ لقد بدأت قصة أصحاب الكهف بالاجمال البلاغيّ ثم العرض التفصيلي أخيرا، قال تعالى: (٣) ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا. اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيّىء لنا من أمرنا رشدا. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾.

---

(١) سورة الكهف من آية ٦ الى ٨.

(٢) سورة غافر آية ٥١.

(٣) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، سورة الكهف آية: ٩ ـ ٢٦.

لقد سردت هذه الآيات قصة أصحاب الكهف وأجابت على السؤال الأول، ورسمت الخطوط العريضة لأصحاب الكهف بأنهم فتية لا نعلم عددهم أووا إلى الكهف وهم مؤمنون، وناموا سنين عديدة لا يعلم عددها ولكنهم بعثوا بعد ذلك من رقدتهم الطويلة.

وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يأخذ السياق في التفصيل بالقول الحق اليقين فيبدأ بقوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق. انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى...﴾ الى قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من وليّ ولا يشرك في حكمه أحد﴾.

٢ ـ وتتابعت الآيات الكريمة حتى خبر الرجل الطواف: فقال تعالى فيما سألوه من أمر الرجل الطواف: (١) ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلُواْ عليكم منه ذكرا. إنّا مكنا لهُ في الأرضِ وآتيناهُ من كلّ شيءٍ سببا فأتبع سببا. حتى إذا بَلَغَ مغربَ الشمس وجدها تغرب في عينٍ حمئةٍ ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تُعذِّبَ وإمّا أن تتّخذ فيهم حسنا .... حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلُعُ على قومٍ لم نجعل لهم من دونها سِترا. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا. ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا..........﴾ حتى قوله تعالى: ﴿قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقـا﴾.

بالتأمل في هذه الآيات القرآنية نجد أن لذي القرنين ثلاث رحلات واحدة الى المغرب، وثانية الى المشرق، والاخيرة الى مكان بين السدين. ومجمل القصة أن الله سبحانه وتعالى مكّن له في الأرض، فأعطاه سلطانا قوي

---

(١) سورة الكهف آية ٨٣ ـ ٩٨.

الدعائم، وييسر له أسباب الفتح والحكم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يضيع أجر من أحسن عملا. وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع، وسائر ما يلزم البشر لعمارة الأرض في هذه الحياة الفانية مهما عظم السلطان وامتدت حبائل الشيطان).

٣ - وجاءت الاجابة عن السؤال الأخير في سورة الاسراء بقوله تعالى: [١] ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾.

يقول الواحديّ في سبب النزول: [٢] (قال عكرمة عن ابن عباس:

« قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فنزلت هذه الآية ».

وقال المفسرون: إن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله، سلوا محمدا عن الروح، وعن فتية فقدوا في الزمان الأول، وعن رجل طوّاف بلغ شرق الارض وغربها، فان أجاب في ذلك كله فليس بنبي، وان لم يجب في ذلك فليس نبيا، وان أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعض فهو نبي. فسألوه عنها فأنزل الله تعالى في شأن الفتية والرجل الطواف في سورة الكهف، ونزل في الروح قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح....﴾ الآية من سورة الاسراء).

صدق الله العظيم حيث أثبت في كتابه الكريم شدة عداوة اليهود

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٥.

(٢) اسباب النزول ص ١٩٧، ١٩٨، لأبي الحسن الواحديّ.

انظر لباب النقول في اسباب النزول ص ١٤٠، للسيوطي.

انظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٩٤، مقبل الوادعي، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ.

والمشركين في كل زمان ومكان، وتعاونهم على الشر للقضاء على المسلمين قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذي أشركوا...﴾ [١].

فكان سؤال اليهود عن الروح هدفه الأول هو تعجيز الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واثارة الشك في دعوته، وامعانا في هذا المكر والدهاء أتبعوه بسؤال أكثر خبثا وحقدا بقولهم: «كيف تعذب الروح التي في الجسد وانما هي من روح الله سبحانه؟» [٢]

فجاء البيان الالهي في هذه الآية الكريمة ردعاً لهم على تطاولهم على الذات الالهية، ودليلا عن جهلهم، وجعل الروح سرّا في علمه إلى يوم القيامة، يتحدى تخمينات الانسانية الضالة المرتبطة بحدود العقل القاصر، حتى عن معرفة كنهه. فقال تعالى ردا على سؤالهم: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾.

صدق الله العظيم، فلا حول ولا قوة للانسانية جميعا على مر الدهور الا بما يشاء الله سبحانه أن يهبه اياها من علم. وما أوتيناه من العلم القليل الذي نراه بمنظار الشيطان عظيما، الا كغمسة دبوس في محيط متلاطم غير محدود من علم الله سبحانه، هل يأخذ منه شيئا يا من غركم الشيطان بفتنة العلم. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [٤].

---

(١) سورة المائدة آية ٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٦١، لابن كثير.

(٣) سورة الكهف آية ١٠٩.

(٤) سورة لقمان آية ٢٧.

انتهت هذه الجولة من الصراع بين الحق والباطل وخسرت قريش ومن والاها من يهود، وازداد المؤمنون إيمانا، وفرحت قلوبهم بزوال الغم والحزن عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد أن استمر انقطاع الوحي خمسة عشر يوماً حيث أرجف المشركون بوساوسهم وإشاعاتهم ودسائسهم وأكاذيبهم.

ومما ساعد على انتشار الإشاعات أهميتها وغموضها في ذلك الوقت وساعد عليها مكر اليهود ودهاؤهم. ويقول البورت وبوستمان في كتابهما عن سيكولوجية الاشاعة:[1] (ان انتشار الشائعة لا بد أن يخضع لشرطين أساسيين هما الأهمية والغموض، وهذان الشرطان يرتبطان ارتباطاً كميا بدرجة انتشار الاشاعة وتصاغ المعادلة المعبرة عن ذلك كما يلي:

ش دالة أ. غ

حيث ش هي شدة سريان الاشاعة.

أ هي أهمية الخبر.

غ درجة غموض الخبر.

أي أن شدة سريان الاشاعة هي محصلة أهمية الموضوع بالنسبة للأشخاص المعنيين ودرجة غموض المتعلق بالحدث أو الخبر، وشدة سريان الشائعة هي حاصل ضرب الاهمية × الغموض بمعنى أنه اذا كانت الاهمية صفرا أو اذا كان الغموض صفرا فلن تكون هناك شائعة).

لذلك كانت هذه الشائعات حرباً نفسية قاسية على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى المؤمنين، واشتركت في أهدافها الأساسية مع ما يذكره بعض كتاب الإعلام حول أهداف الحرب النفسية. وقد رأينا أن نربط بين

---

(١) ترجمة صلاح مخيمر وعبده مخائيل ورزق، انظر الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٤٧، ٢٤٨، د. ابراهيم امام، مكتبة الانجلو المصرية، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٥ م.

الحربين الحرب الماضية والحرب الحاضرة في الاهداف المشتركة باقتباس ما ذكره أولئك الكتاب ليتبين لنا مدى ارتباط مناهج الباطل ببعضها حتى في الصورة الظاهرة فضلا عن الأهداف والغايات.

وفيما يلي نورد بعض هذه الاهداف التي تتفق مع موقف الدعوة:

١ - هدف الدعاية والاشاعة المباشر والسريع تحطيم الروح المعنوية لصاحب الدعوة الجديدة، وزعزعة الايمان من قلوب أصحابه.

٢ - الهدف الاستراتيجي هو تحطيم ارادة الاستمرار في إعلام الحق والبلاغ المبين.

٣ - أما الهدف الدفاعي فهو المحافظة والابقاء على الشرك وأهله ورفع معنويات الباطل(١).

وفي اللحظات الحاسمة والوقت المناسب أنزل الله سبحانه الآيات البيّنات فأخزاهم، ورد كيدهم الى نحورهم، وأخرس ألسنتهم فلم تنطق شيئا مما يوجد في قلوبهم من الحقد والغيظ، ولكن الله سبحانه متم نوره ولو كره الكافرون. حيث نزل جبريل عليه السلام بالآيات البينات للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وبالخبر الصادق الصحيح الذي عرفوه من يهود يثرب، فزلزل أقدامهم، وأعمى أبصارهم وقلوبهم، وأحرق أكبادهم، وخلع الاشاعات الكاذبة من جذورها بالخبر الصادق.

ويقول الدكتور أحمد بدر:(٢) (من قواعد مقاومة الاشاعة افقادها أحد

---

(١) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ٢١٦، د. أحمد بدر، دار القلم بالكويت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤ هـ.
انظر الاعلام الدولي ص ٣٠١، د. أحمد بدر، مكتبة غريب بالفجالة بالقاهرة ١٣٩٧ هـ.

(٢) الرأي العام ص ١٣٧، د. أحمد بدر.

عنصريها وهما الغموض والاهمية، أي أننا يمكن أن نحارب الاشاعة بالخبر الصحيح على أساس أن الإشاعة تنتشر مع عدم توفر الأخبار الصحيحة.... ان نشر الحقائق المباشرة المختصرة من شأنه أن يفقد الاشاعة قدرتها على احداث الانطباع بمحتواها البسيط الذي يقبل الاضافة أو الحذف أو التحريف.... وأسلوب نشر الحقائق المختصرة أفضل من تكرار الاشاعة وتكذيبها).

وعند افتضاح الاشاعة وظهور كذبها تكون قد لعبت دورا هاما في ابراز أهمية الرد، واعداد أكبر عدد من النفوس لتلقي الحقيقة، فيكون تأثير الرسالة في مثل هذه الحالة أقوى وأشد فعالية.

وهكذا كان التنزيل العظيم هو الحصن المنيع والوسيلة الاعلامية الكبرى[1]، والطريقة المثلى للدعوة الاسلامية، ولوضع الأساس المتين للمجتمع الاسلامي الجديد.

(٢) الهجرة الى الحبشة ووفودها:

عجزت قريش في كل ما أرادت به كيدا للاسلام، فلم يخذل أبو طالب ابن أخيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فيتركه لهم، وفشلت مؤامرتهم مع يهود الشر بالمدينة، فثار حقدهم فعمدوا الى الفتنة، فصبوا البلاء على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بأقسى ألوان التعذيب التي لا تخطر على قلب بشر من الضرب والجوع والعطش في حر الرمضاء حتى لا يقدر أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، فيعطيهم ما سألوه من الفتنة وقلبه مطمئن بالايمان.

---

(١) انظر الاعلام في صدر الاسلام ص ٤٢ ـ ٤٧، د. عبداللطيف حمزة.

فلما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب، وما هم فيه من فتنة شديدة الزلزال، حيث ائتمر زعماء قريش أن يفتنوا من تبعه على دين الله سبحانه، ومن أولادهم وإخوانهم وقبائلهم، فافتتن من افتتن، وعصم الله سبحانه منهم من شاء، وما هو فيه من حماية عمه أبي طالب، عند ذلك أمرهم الرسول ﷺ أن يهاجروا الى أرض الحبشة بدينهم، فكانوا الوفد الإعلامي الأول للاسلام خارج الجزيرة العربية.

الوفد الاعلامي الاسلامي الأول:

يقول ابن كثير:[1] (قال محمد بن اسحاق: «فلما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانة من الله عز وجل، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء» قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فان فيها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»).

ويقول الطبري: (خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سرا وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعيبة منهم الراكب والماشي، ووفق الله سبحانه للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من حين نبيء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر، حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا)[2].

---

(١) البداية والنهاية جـ٣ ص ٦٩، لابن كثير - سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٢١ - انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ١ ص٢٠٣، انظر الكامل في التاريخ جـ٢ ص٥١، لابن الأثير.

(٢) تاريخ الطبري جـ٢: ص ٣٢٩ - الطبقات الكبرى جـ١ ص ٢٠٤ لابن سعد، دار بيروت للطباعة.

ويقول ابن الأثير: (فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارا الى الله سبحانه بدينهم، فكانت أول هجرة في الاسلام)(١).

أسماء من هاجر الهجرة الأولى للحبشة: (٢)

١ - عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

٢ - أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة رضي الله تعالى عنه ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو.

٣ - الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه.

٤ - مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه.

٥ - عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه.

٦ - أبو سلمة بن عبدالاسد رضي الله تعالى عنه ومعه امرأته أم سلمة.

٧ - عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي رضي الله تعالى عنه.

٨ - عامر بن ربيعة رضي الله تعالى عنه ومعه امرأته ليلى بنت أبي خثمة.

٩ - أبو سبرة بن أبي رهم العامري رضي الله تعالى عنه.

١٠ - أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس رضي الله تعالى عنه.

١١ - سهيل بن بيضاء رضي الله تعالى عنه.

١٢ - (عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه)(٣).

---

(١) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٥١ لابن الأثير دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ.

(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٢٢، ٣٢٣. - تاريه الطبري جـ ٢ ص ٣٣٠ - الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٠٤ لابن سعد.

(٣) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٠٤ لابن سعد - انظر الطبري جـ ٢ ص ٣٣٠.

(وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر بعض أهل العلم)[1].

وهنا يتبادر للذهن تساؤلات:

لم الحبشة بالذات؟ وهل اختيار الزمان والمكان مستهدف؟ وهل كانت الهجرة للمستضعفين من الناس فقط؟.

التفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما يحيط به من الداخل والخارج، وما ينتظر دعوته من أخطار، فوجد أن جذورها قد امتدت في أعماق الجزيرة العربية، بين مؤمن قوي الايمان، وبين معاند كافر شديد الحرص على زعامته، عظيم الحقد والحسد على الدعوة وصاحبها.

أما خارج الجزيرة، فتوجد امبراطورية فارس وقد أعماها دخان النار، وامبراطورية الروم وقد عبدوا الملوك ودنياهم. أما الحبشة فما يزال بها بعض وميض من صدق رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام، وان بها ملكا لا يظلم أحد بأرضه، وكان يشيع عنه مع ذلك صلاح، (وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، حيث يجدون فيها توسعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا)[2].

وهل توقف الأمر عند ذلك؟ أمن ورخاء فقط، كلا، فما زالت قصة أبرهة الحبشي مع عبدالمطلب جد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ماثلة في الاذهان الحبشية، عامرة بها مجالسهم، حيث قال عبدالمطلب: «اني أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه»[3].

فكان عقابهم الطير الأبابيل كما أخبر الله سبحانه وتعالى: ﴿ألم تر كيف

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٢٣ - أنظر الكامل في التاريخ جـ٢ ص ٥٢ لابن الأثير.

(٢) انظر الطبري جـ ٢، ص ٣٢٨ - انظر الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٥١ لابن الأثير.

(٣) سيرة ابن هشام القسم الاول ص ٥٠.

فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾[1].

وهل يعقل أن ينسى هذا الحدث العظيم، وما وجد فيه الاحباش من العبر والمواعظ على لسان جد صاحب هذه الدعوة، وما عرفوا للبيت العتيق من بركات واقعية فعلية وقعت أمام أعينهم، وقولية نقلية وجدت في كتبهم المقدسة عن نبي آخر الزمان.

قال أبو زهرة: (قد وجدنا النصوص في التوراة حتى بعد تحريفها وبعد أن نسوا حظا مما ذكروا به، تومىء أو تشير باشارة واضحة تكاد تكون عبارة لا اشارة مبشرة بنبي الله تعالى محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم، واليك النص الذي يكاد يكون صريحا، ولكنه نص في دلالته سواء أكان بالاشارة أم بالعبارة: «جاء الله من سينا وأشرق في ساعير واستعلن من فاران».

وقد فسر ابن ظفر من كتاب المسلمين في السيرة الطاهرة معنى النص فقال: «مجيئه من سينا تكليمه لموسى عليه السلام واشراقه من ساعير هي جبال فلسطين وانزال الانجيل على عيسى عليه السلام، واستعلن من جبال فاران وهي جبال مكة، انزال القرآن».

وقد جاء في الأناجيل على لسان عيسى عليه السلام: «ان أجبتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب الى أبي (تحريف النصارى) فيعطيكم بارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر».

فهذا النص يبين أن الله تعالى سيبعث من بعده رسولا هو أحمد يقوم بتبليغ رسالة، كما يقوم عيسى عليه السلام، وأن شريعته باقية مع الدهر أي

---

(١) سورة الفيل.

أنها خالدة لا شريعة بعدها، وأن صاحبها هو خاتم النبيين)[١].

ومما سبق ورد التبشير بالبارقليط في الإنجيل وأن الترجمة الحرفية لهذه الكلمة العبرية هو أحمد. وهذا مطابق من حيث المعنى التبشير بأحمد في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى:[٢] ﴿واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾.

وفيما قبل السنة الخامسة من البعثة قد آمن الكثير من ذوي الحسب والنسب وغيرهم، وتعمق الايمان في قلوبهم، وتحملوا في سبيله أشد أنواع العذاب وعلى الرغم من ذلك لم يؤمروا بالهجرة والخروج في تلك الفترة حتى يكونوا القدوة والأسوة في تحمل الأذى وأقسى ألوان العذاب في سبيل انتشار الدعوة وذيوعها بين الناس.

فلما انتشر خبر الاسلام ودخل معظم بيوت قريش، فالهجرة عندئذ تبعث في نفوس المشركين حمية قطيعة الرحم، وتثير أشجان البعد على من حملوا العقيدة من ذويهم، وفروا بها من بطشهم، حتى أصبح عددهم فيما بعد اثنين وثمانين رجلا ومعهم من نسائهم سبع عشرة امرأة سوى من خرج معهم من أولادهم الصغار، وكانوا من جميع بطون قريش[٣].

ولنا فيما ترويه أم عبدالله بنت أبي حثمة الدليل الواضح والحجة القاطعة على رقة قلوب أشد الناس قسوة في تلك الفترة حيث تقول:

---

(١) خاتم النبيين العهد المكي ص ٣٣٢، ٣٣٣، الشيخ أبو زهرة.
(٢) سورة الصف آية ٦.
(٣) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٢٢ - ٣٣٠.

(« والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة إذ أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وقف عليّ وهو على شركه، وكنا نلقي منه أشد البلاء والعذاب» فقال: « إنه الانطلاق يا أم عبدالله »، وقد ارتسم على وجهه الأسى والحزن، قالت فقلت له: « نعم والله لنخرجن في أرض الله سبحانه، آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا ». فقال عمر رضي الله عنه: « صحبكم الله »... وقالت: « رأيت له رقة وحزناً لم أكن أراها من قبل ثم انصرف ») [1].

هذه الرقة وهذا القول يخرج من رجل بلغ من قسوته وشدته حدا جعل زوجها يقول لها: « أطمعت في اسلامه » فقالت له: « نعم » فقال لها: « فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ». وذلك يأسا لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام والمسلمين.

ويقول الدكتور عبداللطيف حمزه: [2] (والحق أن الهجرة في ذاتها كانت وسيلة من أبلغ وسائل الاعلام في الاسلام، ذلك أن مجرد خروج المسلمين من بلد كانوا فيه منذ النشأة، يخلق تساؤلا كبيرا في المجتمع الذي فيه تزييف وتشويه لأخبار الدين الجديد. وقد جعلت هذه الهجرة أهل مكة رغم التزييف والكذب والتشويه يشعرون في داخل نفوسهم بأنه ما لم يكن هؤلاء المهاجرون على حق لما تركوا أموالهم وأهليهم وممتلكاتهم ووطنهم الذي نشأوا فيه، فلا بد اذن أن يكون الذي دعاهم إلى هذه التضحيات الجسيمة هو الحق والحق وحده).

نعم خرج الوفد الإعلامي الاسلامي الأول للحبشة بخطة محكمة وتدبير مقصود لنشر الدعوة الاسلامية واعلانها في كل مكان. حيث أن الرسول

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٤٣
البداية والنهاية جـ ٣ ص ٧٩.

(٢) الاعلام في صدر الاسلام ص ١٣٥، دكتور عبداللطيف حمزة.

صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل كتاباً للنجاشي [1] يشير فيه الى البر بالمسلمين ويأمره بالاسلام معاً وهذا نص كتابه كما جاء في رواية البيهقي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة:

سلام عليك فاني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه. وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فاني رسول الله، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين، فاذا جاؤوك فأقرهم، ودع التجبر فاني أدعوك وجنداك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى [2].

وهكذا نرى أن اختيار الزمان والمكان لم يكن لمجرد الصدفة والهروب من شدة العذاب فقط، بل كان بعضهم في حماية عصبية قوية يستطيع البقاء في مكة دون ايذاء مهلك، ونظرة الى أسمائهم السابقة تجعلنا نعرف مدى قوة هذه العصبية، ومكانة أصحابها وشرفهم ونسبهم. وما هم فيه من منعة اذا رغبوا فيها، ويظهر لنا جليا عندما روجت خديعة حادثة الغرانيق حيث رجع

---

(١) خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٩٢، الشيخ أبو زهرة.
طبقات ابن سعد جـ٣، ص ١٥ ـ البداية والنهاية جـ٣، ص ٨٣ لابن كثير دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ.

(٢) دلائل النبوة جـ٢، ص ٧٨، ٧٩ للبيهقي تحقيق عبدالرحمن عثمان، طبعة أولى المكتبة السلفية المدينة المنورة سنة ١٣٨٩ هـ.

المهاجرون من الحبشة وعرفوا أن خبر اسلام أهل مكة لا أساس له من الصحة.

(فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار أبي احيحه سعيد بن العاص بن أمية فأمن بذلك، ودخل أبو حذيفة بن عتبة بجوار أبيه، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة حتى رد جواره بنفسه...... وأقام المسلمون بمكة يؤذون فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين الى الحبشة ثانيا، وخرج معهم جعفر بن ابي طالب وهو أميرهم وتتابع المسلمون الى الحبشة، فكمل بها اثنين وثمانين رجلا سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا أو ولدوا بها)[1].

كان الوفد الاعلامي الاسلامي الأول أشبه بسفارة في أيامنا الحاضرة لكنها تحمل شعار لا اله الا الله محمد رسول الله، وتعمل جاهدة على نشره. وكان الصحابي عثمان بن مظعون رضي الله عنه أمير الزمرة الأولى وأصحاب الهجرة الأولى ثم انتقلت الامارة إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يقول ابن كثير:[2] (وما ذكره ابن اسحاق من خروج جعفر في الرعيل الأول أظهر لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولا، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره).

وقال ايضا ابن كثير:[3] (عن أبي موسى قال: «أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب الى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدايا........»).

---

(١) انظر الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٥٣ لابن الأثير.
انظر تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ ص ٦٧ لابن كثير.

(٣) المصدر السابق ص ٧٠.

وأوصاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتقوى الله سبحانه وحسن العبادة، والتمسك بالحق وقول الصدق ولا يخشون في الله سبحانه لومة لائم. وكانت دعوتهم هي حسن عبادتهم، والقدوة الطيبة للناس وعدم التعرض المباشر للآخرين بأسلوب جاف ومنفر عن الاسلام. فاختلطوا في أسواقهم وأحسنوا المعاملة، مما لفت الأنظار اليهم فعرفوا حقيقة دينهم. وكأني بهم وقد أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشيّ فارتفع صوتهم بالتكبير الله أكبر مجلجلاً بين جنبات القوم، يعبدون الله سبحانه لا يخافون على ذلك أحدا، واتبعوا كل وسيلة ممكنة في اعلان كلمة الحق شُعرا ونثرا، فها هو عبدالله ابن الحارث يرتقي الوسيلة الكبرى للإعلام في ذلك الزمان لنقل الأخبار حيث يقول شعرا:

يا راكبا بلّغن عني مغلغلة ... من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرىء من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون
أنّا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجي من الذل والمخزاة والهون

وفد قريش الاعلامي للحبشة:

فزعت قريش من انتشار الدعوة في الداخل والخارج، وزاد حزنها وغيظها لما رأت أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وطاب لهم القرار.

عندئذ تآمرت قريش فيما بينها بالكيد لمن هاجر إلى الحبشة من المسلمين. وتشاورت القبائل فيمن تختار من الرجال الأشداء الماكرين لحمل رسالة قريش للنجاشي، وقد ملئت ظلما وبهتانا وزورا، كسائر الرسائل الاعلامية التي تحملها وكالات الانباء العالمية في جاهلية القرن العشرين عن الاسلام.

وأخيرا تم الاتفاق على اختيار رجلين جلدين من قريش هما عمرو بن

العاص بن وائل وعبدالله بن أبي ربيعة، وجمعوا لهما الهدايا الثمينة للنجاشي وبطارقته، ووضعوا الخطة معهما، وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما: «ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما اليه هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم»(١).

سبحان الله: إن المرء ليعجب عندما يجد أساليب الكفر لا تختلف في أي زمان ومكان، مؤامرات في الخفاء، ورشاوى كثيرة تعمل على قلب الموازين، وتزييف الحقائق وإلباس الباطل رداء الحق، ولكن الله سبحانه رد الكيد الى نحور أصحابه وأزهق الباطل أمام النجاشي إن الباطل كان زهوقا.

وقدم رسولا قريش أمام النجاشي فنطق حال الظلم بلسان الاعلام الكافر فقالا له: («أيها الملك انه قد ضوي الى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشيرتهم لتردهم اليهم لينالوا جزاء ما كسبت أيديهم». فقال البطارقة حوله: «صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم ونسلم نحن من شرّهم». فغضب النجاشي من بطارقته وكأني به وقد رأى علامات الحقد والحسد في عيونهم وقال: «لا والله حتى أسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه، قوم نزلوا بداري واختاروني على من سواي لا أسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم»)(٢).

---

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٤
انظر البداية والنهاية جـ٣ ص ٧٢ لابن كثير.

(٢) انظر البداية والنهاية جـ٣ ص ٧٣ لابن كثير.
انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٥
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٩٣ - ٤٩٦، الشيخ أبو زهرة.

المهاجرون أمام النجاشي:

أرسل النجاشي الى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عندئذ اجتمع المهاجرون ثم قال بعضهم لبعض: (« ما تقولون للرجل اذا جئتموه » فقالوا: « نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كائنا في ذلك ما هو كائن » واختاروا جعفر بن أبي طالب ليتكلم عنهم)[1].

فاجتمعوا عند النجاشي وقد دعا أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، فقال النجاشي: (« ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ ». عندئذ بدأ الصحابي جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في اعلان بيانه الاعلامي على الملأ من القوم فقال: « أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله سبحانه الينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا الى بلادك، واخترناك على

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٥
خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٩٥، الشيخ أبو زهرة.
انظر السيرة النبوية ص ١٥٣، ١٥٤، الشيخ أبو الحسن الندوي.

من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك)[1].

فتأثر النجاشي من قوله وقال: « هل معك مما جاء به عن الله من شيء » فقال له جعفر: « نعم » فقال النجاشي: « فاقرأه عليّ » فقرأ عليه صدراً من سورة مريم ﴿كهيعص﴾. فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

خيبة وفد قريش:

لقد كان للبيان الاعلامي الذي ألقاه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بصدق وأمانة الأثر الأكبر على النجاشي مما جعله يقول: (« ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة » وقال للرسولين: « انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما »)[1].

فانتصر الحق وزهق الباطل وخابت آمال قريش، وظهرت ملامح الايمان في وجه النجاشي وَالتأثر بما سمع من قول الحق الصادح بالصدق واطمأنت نفسه للدين الجديد.

البيان الصادق:

غضب الرسولان وقد خابت الآمال، فأقسم عمرو بن العاص فقال: « والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم فقال عبد الله بن أبي ربيعة: « لا تفعل فان لهم أرحاماً ». فقال عمرو: « والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ». فغدا عليه من الغد، وقد عقد العزم على القيام بالدعاية

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٦.
انظر البداية والنهاية جـ ٣، ص ٧٣، لابن كثير.
انظر السيرة النبوية ص١٥٣، ١٥٤ للشيخ أبي الحسن النبدوي.

(٢) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٦.

المضادة الكاذبة التي لا تزال قواعدها ومنطلقاتها منتشرة في جاهلية القرن العشرين سارية المفعول في مختلف وسائل الاعلام فقال: «أيها الملك، انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيما فأرسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه»[1].

فأرسل اليهم ليسألهم، وقد علموا بالخبر، فاجتمع القوم من المهاجرين وتساءلوا: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟، فاتفق الرأي على قول الخبر الصادق، لأن رجل الدعوة والإعلام لا بد أن يلتزم بالصدق، فهو الأصل الأول للإعلام الاسلامي في جميع المواقف ومختلف الحالات، فرجل الإعلام الاسلامي يلتزم بصدق القول واعلان الحق دون التواء أو نفاق وليكن بعد ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا على النجاشي قال:[2] («ماذا تقولون في عيسى بن مريم». فقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: «نقول فيه الذي جاءنا به نبيّنا ﷺ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول»).

وهكذا التزم جعفر رضي الله عنه بواجب الإعلام الذي يقتضي الالتزام بالدقة والموضوعية والصدق في نقل الأخبار والحقائق من مصادرها، فأعلن رضي الله عنه ما سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رداً على سؤال النجاشي دون مداهنة أو مواربة أو نفاق وغير ذلك مما تلجأ اليه وسائل اعلام هذا العصر، رغم أن كتّاب الإعلام يقررون ما يجب أن يكون فيقولون:

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣، ص ٧٤، لابن كثير.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٧.

(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٧.
البداية والنهاية جـ ٣ ص ٧٤ لابن كثير
خاتم النبيين في العهد المكي ص ٤٩٧ الشيخ أبو زهرة
السيرة النبوية ص ١٥٥ الشيخ أبو الحسن الندوي.

(ان الإعلام الدولي يعني بالدقة والموضوعية والصدق في نقل الأخبار والحقائق عن الدولة، على اعتبار أن الاعلام يخاطب العقول لا الغرائز والعواطف...... والمقصود بالإعلام الدولي هو تزويد الجماهير في الدول الأخرى بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة بقصد التأثير على تلك الجماهير واقناعها بعدالة القضايا وبالتالي تبني الدفاع عنها) [1].

فأين هذا مما يجري في الواقع؟ اننا لا نرى مثل هذه الفضائل الا في الإعلام الاسلامي.

وبعد البيان الاعلامي الذي ألقاه جعفر رضي الله عنه ضرب النجاشي بيده الى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال: «والله ما عدا عيسى بن مريم عليه السلام ما قلت هذا العود» [2].

وقد تلألأ وجهه بالايمان الصادق دون بطارقته وقال للمهاجرين: (اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي (آمنون). من سبكم غرم كررها ثلاثاً، ما أحب أن لي دبرا [3] من ذهب، واني آذيت رجلا منكم ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه) [4].

فرجع وفد قريش خائبا بالذل والهوان والخذلان والخسران، وقد امتلأت القلوب حقدا وغيظا على الاسلام والمهاجرين، الذين اطمأنوا في عبادتهم

---

(١) الاعلام الدولي دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ص ١٧ مكتبة غريب القاهرة ١٣٩٧ هـ.

(٢) الكامل في التاريخ جـ ٢، ص ٥٥ لابن الأثير.

(٣) الدبر: الجبل بلسان الحبشة سيرة ابن هشام ص ٣٣٨.

(٤) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٧، ٣٣٨ الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ دلائل النبوة جـ ٢ ص ٧٣ للبيهقي المكتبة السلفية بالمدينة طبعة أولى ١٣٨٩ هـ.

ونشر دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد آمن النجاشي ملك الأحباش وعند وفاته صلّى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب واستغفر له [1].

(٣) وفد بني مخزوم الى يثرب:

قال ابن اسحاق: (حدثنا نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم انه قال: «لما أردت الهجرة الى المدينة اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة المخزومي وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني الغفار [2] فوق صرف على بعد ستة أميال من مكة»، وقلنا: «أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه.». قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فأصبحت أنا وعياش وحبس عنا هشام وفتن فافتتن») [3].

واستمر عمر رضي الله عنه وصاحبه حتى قدما المدينة المنورة ونزلا في بني عمرو بن عوف بقباء.

فأزبد وأربد أبو جهل زعيم بني مخزوم، وقد دخل الايمان بيته، وتآمر القوم على إحضار عياش الذي صبأ في زعمهم. فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام الى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما و أخاهما من الأم حتى قدما المدينة، فقالا له: («ان أمك قد نذرت الا تمتشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك». فرق لها فقلت له: «انه والله ان يردك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٤١.
(٢) اضاة بني غفار: اسم مكان كثير الأشجار على بعد ١٠ أميال من مكة.
(٣) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٧٤.

ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت». فقال: «أبر قسم أمي ولي هنالك مال فآخذه»)[1].

وهنا يتجلى صدق الايمان، وصدق الأخوة في الله سبحانه، أقوالا وأعمالاً يبتغون وجه الله عز وجل، وتصديقا لقوله: ﴿انما المؤمنون أخوة﴾.

نعم انها الأخوة الصادقة في السراء والضراء، التي ارتوت من منهل الاسلام العذب الصافي، انها البيان الإعلامي الصادق للترابط الوثيق بين أفراد الأمة المسلمة بالتوادد والتعاطف والتراحم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له باقي الأجزاء بالحمى والسهر.

انظروا يا أمة الاسلام كيف تربت تلك النفوس الطيبة والأرواح الطاهرة على حصباء مجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في جامعة الاسلام، فكانت ليّنة ألين من الريح المرسلة وأطيب من صبا الصباح. وان الأسى ليحز في النفس لما نسمع ونرى الآن من جاهلية القرن العشرين، ممن تربع على آرائك الجامعات وارتوى من سموم حضارة الضلال، التي فرّقت بين الامة المسلمة الواحدة: عربي وعجمي، سعودي ومصري، وشامي وسوداني، وغير ذلك من أفكار العنصرية والعصبية والأنانية الفردية الذاتية مما جعل المسلمين ألعوبة هزيلة تركلها أقدام الغرب والشرق.

ماذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟:

أعلن البيان الصادق دون تردد من نوازع النفس، وتلافيف الهوى وحب الدنيا فقال: «والله انك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً فلك نصف مالي ولا تذهب معهما»[2].

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٧٢ لابن كثير.

(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٧٥.

البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٧١ لابن كثير.

حسبك الله يا أبا حفص يا فارق الحق عن الباطل، تدفع نصف مالك مرة واحدة لأخيك في الله حتى تنقذه من الفتنة.... فداك أبي وأمي يا ابن الخطاب. ماذا كنت تفعل لو رأيت المآسي والتدمير بأمة الاسلام اليوم؟. وقد أغفل الحكام كتاب ربهم، وانغمسوا في شهواتهم، وغيروا وبدلوا، وذلوا لنواميس الارض الهابطة باسم التقدم والمدنية والحضارة والمصالح المشتركة فعميت الأبصار والبصائر ولا حول ولا قوة الا بالله.

وماذا حدث بعد ذلك؟

قال عمر رضي الله عنه: «فأبى عياش الا أن يخرج معها». فعندئذ قال له: «أما اذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها» (1).

فنعم الفراسة هذه، التي يجب أن يتحلى بها دعاة الإعلام الاسلامي لأن الغفلة مرض عضال، تعطي اعداء الاسلام الفرصة للانقضاض عليه، والقبض على زمام الدعاية المضادة بنشر الأكاذيب والضلال في طريق الاسلام. ولقد حدث مثل هذا مع غفلة عياش: (فلما خرج مع الوفد راجعاً من مكة قال له أبو جهل وهم في الطريق: «يا ابن أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك»، فقال: «بلى» فأناخ، وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة نهارا موثقا، وقالا: «يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا») (2).

وقد كان لهذا الخبر ردة فعل عظيمة في جنبات مكة، وكان لا بد من فعل مضاد تغطي اخباره الإعلامية الصادقة الأثر الذي تركه الخبر الأول في نفوس المؤمنين والكافرين على السواء.

---

(1) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٧٥.

(2) انظر المصدر السابق ص ٤٧٥

فما كان من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هجرته الا أن يقول: (« من لي بعياش بن ربيعة، وهشام بن العاص؟ »، فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: «أنا لك يا رسول الله بهما» فخرج الى مكة مستخفيا فوجدهما محبوسين في بيت لا سقف له)[1]. وفي الليل تسور عليهما، وأخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه، ومنذ ذلك الوقت يقال لسيفه (ذو المروة)، ثم حملهما على بعيره، وسار على قدميه، فعثر في الطريق فدميت أصبعه فقال:

هـل أنـت الا اصبـع دميـت   وفي سبيـل الله مـا لقيـت

حتى قدم بهما على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة المنورة.

فهذا درس عملي أمام رجال الإعلام والدعوة في الاخلاص والايثار بالنفس في سبيل نشر الاسلام لتكون كلمة الله سبحانه هي العليا على الباطل في كل زمان ومكان.

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٧٦.

الفصل الثاني

وفود قادمة إلى مكة

(١) الوفادة الأولى لنصارى نجران:

كان لنصارى نجران وفادتان الأولى قبل الهجرة، والثانية بعد الفتح في السنة العاشرة من الهجرة. ولقد تضاربت الآراء بين علماء السير هل الوفادة كانت لنصارى نجران أم لنصارى الحبشة.

فقال ابن هشام: [١] (قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا اليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة..... ويقال ان النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان). ويفهم من ذلك انه لم يقطع لنا برأي.

ويقول ابن حجر العسقلاني: (ان أول من قدم على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة هم نصارى نجران وكانت لهم وفادتان احداهما قبل الهجرة في السنة التاسعة بعد البعثة والثانية بعد الفتح) [٢].

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٩١، ٣٩٢

(٢) فتح الباري لشرح البخاري جـ ٨ ص ٦٧ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. القاهرة ١٣٨٠ هـ.

الوفود في العهد النبوي ص ١٧، دكتور محمد جاد.

وبتدبر القول أميل الى تحقيق ابن حجر العسقلاني وذلك لتردد ابن هشام في رأيه، وكذلك للمنطق العقلي والنقلي حيث أن الوفود الاسلامية ذهبت متتابعة لتقيم مع نصارى الحبشة منذ السنة الخامسة بعد البعثة النبوية، وتحمل اليهم البشري بدين الله سبحانه وبخاتم النبيين، فأكرم النجاشي ملك الحبشة وفادتهم بعد مناقشات مثيرة ودخل على اثرها في الاسلام[1].

فلا داعي اذن لقدوم وفد نصارى الحبشة للاستفسار والمناقشة، بل الأولى ان يكون القدوم لنصارى نجران.

المحادثات التي دارت بين الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا الوفد:

لما قدم الوفد على الرسول عليه الصلاة والسلام وجدوه في المسجد، فجلسوا اليه وكلّموه وناقشوه. ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، واطلع رجال الوفد على صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأحواله التي ذكرت في كتابهم.

فلما فرغوا من سؤال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: (دعاهم الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن الكريم، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله سبحانه وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره)[2].

وفد قريش ومسلمي نجران:

فلما قام وفد نجران المسلم من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم،

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٤١.

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ ص ٨٢ لابن كثير.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٩١.
خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٨٧ الشيخ أبو زهرة.

اعترضهم أبو جهل مع نفر من قريش بخبثه وكذبه ومكره وأضاليله فقالوا لهم: (« خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم، لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم». فقالوا لهم: « سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً)[1].

وهكذا أبواق الشر لا يرضيها أن ترى الحق منتصراً ويحزنها تدعيم قوته وبناء كيانه، فنرى أبا جهل ومن معه يقولون لمن أسلم من نجران ما نعلم ركبا أحمق منكم، فكان رد عباد الرحمان طيباً جميلاً بما وصفوا به في القرآن الكريم. قال تعالى في وصف عام لعباده: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[2].

ما نزل فيهم من القرآن الكريم:

قد ذكر الله سبحانه وتعالى خبر هؤلاء في القرآن الكريم مبيّنا له بالاشارة في وصف عام لبعض أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾[3].

قال السيوطي: (أخرج ابن جرير عن علي بن رفاعه قال: « خرج عشرة

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٩٢
البداية والنهاية جـ ٣ ص ٨٢ لابن كثير.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٣

(٣) سورة القصص آية ٥٢ ـ ٥٦.

رهط من أهل الكتاب منهم رفاعة » ، يعني أباه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فآمنوا فأوذوا ، فنزلت ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الآية)[1] .

وقد رجح الأكثرون أن هذه الآيات نزلت في نصارى نجران[2] . نزلت هذه الآيات اعلانا صادقاً وحجة دامغة على صدق الدين الجديد الذي جاء به محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم ، هذا البيان الالهي عبارة عن جولة أخرى ، تعرض على قريش دلائل الصدق فيما جاءهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكيف يتلقاه فريق من أهل الكتاب بالايمان واليقين ، بينما هم يتلقونه بالكفر والجحود . والقرآن الكريم يرجع المشركين الى حادث وقع أمام أعينهم يعلمونه ولا ينكرونه ، وقف بهم هنا وجهاً لوجه أمام نموذج من النفوس الخالصة التي آمنت بالحق ، ولم تكابر حيث وجدته مطابقاً لما لديها من الكتاب ، فلم يصدها عنه صاد من هوى ولا من كبرياء أو استعلاء أو جحود كما فعلت قريش ، بل احتملت في سبيل الحق الذي آمنت به أذى المشركين ، وتطاول الجهلاء ، وهو من الوضوح والتأثير بحيث لا يحتاج إلى أكثر من تلاوته لمن أراد الله سبحانه أن يهديه سبيل الرشاد وطريق الاسلام الذي هو الاستسلام لله سبحانه والخلوص من الشرك بجميع أنواعه ، انه دين الأنبياء جميعاً من آدم عليه الصلاة والسلام الى خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، لذلك قال تعالى في الآيات السابقة : ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين﴾ .

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ص ١٦٥ جلال الدين السيوطي .

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ ، ص ٨٢ لابن كثير .
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٩٢ .
خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٧٩ الشيخ أبو زهرة .

نعم انه من نفس المعين الذي عندهم ومن نفس مشكاة عيسى عليه السلام. وهنا يستمر البيان الالهي بترغيب أمثالهم من أهل الكتاب في الايمان حيث يقول الله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾. مرة على ايمانهم بكتابهم الأول، ومرة على ايمانهم بالقرآن الكريم، وفي الحالتين كان الصبر على الاسلام الخالص، وذلك بمغالبة الهوى والشهوة والالتواء والانحراف والضلال، والاستقامة على الدين والصبر على السخرية والايذاء والاحتقار من المجتمعات الضالة المنحرفة في كل زمان ومكان. وقد يصيبهم الايذاء من المشركين بمكة أو من قومهم اذا رجعوا اليهم، لاتباعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ويتابع البيان القرآني في أوصاف المؤمنين والدعاة الى الله سبحانه وحملة راية الاعلام الإسلامي كما يلي:ـ

١ ـ ويدرأون بالحسنة السيئة: انها قمة الصبر والتحمل في اعلان الحق، والاستعلاء على كبرياء النفس، ورغبتها في دفع السخرية بمثلها على الأقل. ولكن ماذا يصدر عنهم؟ انه الصفح والعفو والنفس الراضية التي ترد القبيح بالجميل وتقابل الجاهل الساخر بالطمأنينة والرحمة والاحسان، وتدخل في سويداء نفسه، فتفجر منها عيوناً وأنهاراً بإذن الله سبحانه.

٢ ـ ومما رزقناهم ينفقون: وهنا تتجلى سماحة النفس بالمال الذي تحبه حباً جماً، فتنفق من أطيب الكسب فيما يرضي الله سبحانه، ويعلي كلمته طلباً لمغفرة الله عز وجل وفضله وسعته.

٣ ـ واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين: نعم فالقلوب المؤمنة لا تلغو، ولا تستمع الى هذر الكلام ولا بذر القول والحديث، بل انها مشغولة بتكاليف الايمان، ولطائف أنواره، ولا تهيج ولا تغتاظ بل يصدر منها طيب

الكلام، ورد السلام. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

وهكذا كان هذا الوفد المسلم الذي آمن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على مسمع ورؤية من قريش صفعة قوية في وجوههم، ولبنة طيبة في صرح الدين الجديد، أثار حقدهم وحسدهم، لأنه شهادة اليقين أمام أعين الناس على صدق ما جاء به رسولهم صلى الله تعالى عليه وسلم وأنهم مهما ضيقوا على دعوة الله سبحانه وعذبوا أصحابها وتآمروا على عدم انتشارها، فلا بد لها أن تنتصر على الباطل، وسيأتيها الولاء والتأييد من الداخل والخارج، وكأني بأبي جهل عليه لعنة الله سبحانه قد عرف هذه الحقيقة، فتجلّت آثارها في نفسه الخبيثة ولسانه القذر بقوله: «ما نعلم ركبا أحمق منكم»، ولكن ماذا عساه أن يصنع هو وأمثاله من الحاقدين المتآمرين على الإسلام في كل زمان ومكان. ما دام دعاة الله سبحانه من الصادقين المخلصين، المجاهدين الصابرين، حتى تكون الحاكمية لله عز وجل رب العالمين.

(٢) وفادة همدان الأولى:

كانت لهمدان وفادتان، الأولى قبل الهجرة بمكة، والثانية في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة بعد فتح مكة. ونحن الآن بصدد الكلام عن الوفادة الأولى.

نسب همدان: [١]

تنتسب همدان إلى بطن من كهلان من القحطانية وهم: بنو همدان بـن

---

(١) المذاهب اللدنية في المنح المحمدية جـ ٤ ص ٤٠، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني.

مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. وكانت ديارهم باليمن من شرقيه، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق وبقي من بقي باليمن.

أشخاص الوفد:

كان وافد قبيلة همدان هو:[1] (قيس بن عمرو بن مالك بن سعد بن لؤي الهمداني الأرحبي) ممثلاً لقومه للقاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة.

سبب مجيء الوفد:

عندما سمعت همدان عن ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة أوفدت اليه نيابة عنها قيس بن عمرو الهمداني الأرحبي، فجاء إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع الحق، وأعلن اسلامه، وبايعه على قومه.

محادثات الهجرة:

دارت المحادثات التاريخية بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيس ابن مالك، حيث طلب عليه الصلاة والسلام منه نصرة قومه والهجرة اليهم. ولكنهم بعدم استجابتهم لطلب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خسروا أعلى رتبة في الإسلام، وأعظم لقب يناله قوم وهو لقب الأنصار.

ويقول محمد بن سعد في طبقاته:[2] (قدم قيس بن عمرو بن مالك بن سعد بن لؤي الأرحبي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٣٤٠ دار بيروت للطباعة سنة ١٣٧٦ هـ.
أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٣٤٠ دار بيروت للطباعة سنة ١٣٧٦ هـ.

فقال: « يا رسول الله أتيتك لاؤمن بك وأنصرك» فقال له: « مرحبا بك، أتأخذوني بما فيّ يا معشر همدان». قال قيس: « نعم بأبي أنت وأمي». فقال رسول الله ﷺ: « فاذهب إلى قومك، فان فعلوا فارجع أذهب معك »).

وفرح وافد القوم كثيراً، للشرف العظيم الذي أحاطه به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الهجرة معه إلى بلاد قومه، وشرط ذلك بقبول قومه أن يمنعوه، وأن يأخذوه بما عنده من الحق والبلاغ المبين لاعلان كلمة التوحيد وحمايتها من الباطل، فأوجس الشيطان في قلوب قومه خيفة على الرغم من أنهم دخلوا الإسلام باختيارهم دون اكراه ورضوا بأدنى الخير وتركوا أفضله مع أن قيساً رغّبهم في ذلك لنصرة الدين الجديد وحماية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولكن لم يكن لهم في التشريف نصيب ولا في الخلود التاريخي حظ، حيث رجع قيس باسلامهم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه فقط ولم يفد معه أحد لاتمام المبايعة والنصرة اللازمة في مثل هذه الظروف الصعبة الخطرة، حيث قال قيس رضي الله عنه: « قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك »(١).

فيستفاد من قوله هذا أنه لم يحضر معه أحد، ولكنهم طلبوا من وافدهم احضاره دون مواثيق وعهود، للاستمرار في دعوة الحق، واظهار دين الله سبحانه في كل مكان، وتحمل جميع الوان الأخطار من الدمار والهلاك والموت.

وهذا خلاف مبايعة الأنصار رضوان الله عليهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث بايعوه على حمايته ومنعه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم غير مبالين بهلاك الأموال وقتل الأشراف. لذلك نرى أن الرسول

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٣٤٠.

عليه الصلاة والسلام لم يرجع مع قيس رضي الله عنه وقد أسلموا لأن شرطه للرجوع والذهاب معه لم يتمم بالمبايعة والمواثيق والعهود التي يجب أن تكون في مثل هذه الأحوال والظروف الصعبة التي تتطلبها الدعوة الجديدة من اخلاص وفداء. وبما فيها من قول الحق واظهار كلمة التوحيد على الدين كله ولو كره الكافرون.

عندئذ اكتفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتكريم الوافد وتشريفه والدعاء له ومباركته حيث قال: (« نعم وافد القوم قيس وقّيت وقّى الله بك » ومسح على ناصيته وكتب عهده على قومه همدان) (١).

وهكذا خسرت همدان أن تكون بلدهم موطن الهجرة وأن يكونوا هم الأنصار الأبرار الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ (٢).

وخسرت همدان أن تكون محط الأنظار ومحل شد الرحال وأن تتشرف بلادهم وأرضهم باحتواء جثمانه الطاهر صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين.

وعندما أراد قيس رضي الله تعالى عنه العودة إلى قومه أجازه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وجعله أميراً على قومه نيابة عنه وكتب له كتاباً هذا نصه: (سلام عليكم أما بعد ذلك، فاني استعملتك على قومك:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٣٤١.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٠.

غربهم[1] وحمورهم[2] ومواليهم، وأن لهم ذمة الله سبحانه وذمة رسوله، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأقطعتك من ذرة نسار مائتي صاع، ومن زبيب خيوان مائتي صاع، جار لك ذلك ولعقبك من بعدك أبداً من مال الله) [3].

هكذا نجد من الحكمة النبوية البالغة الاثر في تمهيد السبل أمام اعلاء راية التوحيد، اكرام الوافدين وملاطفتهم والدعاء لهم وارسال من يعلمهم. واذا كان الوافد من رؤساء القوم أمّره عليهم، وكلّفه باقامة الحق والعدل بينهم، كنموذج صالح أمام الأنظار لنشر أخبار الإسلام: يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ولا يخشى في الله سبحانه لومة لائم، يلين للناس في الحق ويشتد عليهم ضد الظلم والباطل، ويعلمهم القرآن الكريم والصدق في القول، فهو النجاة الحقيقية من كل مصيبة، والطريق السوي لإخراج الناس من الظلمات إلى النور. وأن للناس جميعاً ذمة الله سبحانه وذمة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة طائعين راغبين.

(٣) قريش ووفود العرب:

اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة، وقد قرب موسم الحج فقال لهم: [4] (« يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم وستقدم وفود العرب عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، فلا تختلفوا فيكذب

---

(١) غربهم: هم أرحب ـ ونهم ـ وشاكر ـ ووداعه ـ ويام ـ ومرهبة ـ ودالان ـ وخارف وغيرهم.

(٢) حورهم: أي أهل القرى مثل: قدم ـ وآل ذي مران ـ وآل ذي لعوه ـ واذواء همدان.

(٣) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٤ ص ٤٤٢ لابن الأثير.
انظر الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٣٤١.
انظر الوفود في العهد النبوي ص ٤١ د. محمد جاد جامعة الأزهر سنة ١٣٩٤ هـ.

(٤) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٢٧٠.

بعضكم بعضاً » قالوا: « ما رأيك أنت يا أبا عبدشمس »، قال: « بل أنتم قولوا فأسمع ». قالوا نقول: « كاهن »، قال: « لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعة »، قالوا نقول: « مجنون »، قال: « ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته »، قالوا فنقول: « شاعر »، قال: « ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر »، قالوا فنقول: « ساحر »، قال: « ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم »، قالوا: « فما تقول يا أبا عبدشمس » قال: « والله ان لقوله لحلاوة، وان أصله لعذق[1]، وان فرعه لغدق[2]، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وأن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته » فتفرقوا عنه بذلك).

فانطلق أولئك النفر من قريش إلى وفود العرب القادمة، ويقولون ذلك في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:[3] (يعرض نفسه في المواسم قبيلة قبيلة، ويقول: « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة ». وأبو لهب وراءه يقول: « لا تطيعوه فانه صابيء كاذب »، فيردون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقبح الرد).

---

(١) عذق: يشبه النخلة التي ثبت أصلها وطاب ثمرها.

(٢) غدق: كثير الماء.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٢١٦.
انظر دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٥٨، ١٥٩ للبيهقي.

وصدرت قبائل العرب بأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها، وبلغ البلدان، وذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار يهود، وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم، فكانوا إذا كانوا بينهم شيء قالوا: «إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم مثل قتل عاد وارم») [1].

لذلك آثروا الإيمان به قبل اليهود، وبهذا كان الأوس والخزرج أول من رحب به في ديارهم لنصرته في السراء والضراء.

(٤) وفد قريش والطفيل الدوسي:

قدم الطفيل إلى مكة، فسار اليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً في قومه وشاعراً لبيباً، فقالوا له: [2] («يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا وقد اشتد أمره، وفرق جماعتنا، وشتت شملنا، وسب الآلهة، وان قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وابنه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وبين الرجل وعشيرته، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلّمه ولا تسمعن منه شيئاً»، فقال الطفيل:

---

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٢٨٢.
انظر خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ص ٧٣ للشيخ أحمد العساف.
انظر خاتم النبيين في العهد المكي ص ٥٨٨ - ٥٩٢ الشيخ أبو زهرة.

(٢) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٨٢.
انظر البداية والنهاية جـ ٣ ص ٩٩ لابن كثير.
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٧٧ الشيخ أبو زهرة.
انظر السيرة النبوية ص ١٦٢ الشيخ أبو الحسن الندوي.

« والله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[1]، فرقا من أين يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن اسمعه ».

فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فاقتربت منه، فأراد الله سبحانه أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: « والله اني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع كلامه، فان كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته »).

ذهاب الطفيل إلى بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم:

فلما انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بيته، تبعه الطفيل ودخل عليه بيته وقال: (« يا محمد، ان قومك قالوا فيك قولاً عظيماً، فوالله ما برحوا يخوفوني منك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع، ولكن الله سبحانه أبى الا أن يسمعني قولك، فسمعته حسناً، فاعرض عليّ أمرك، قال: فعرض عليّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الإسلام، وقرأ القرآن الكريم فما سمعت قولاً قط أحسن منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق. وقلت: « يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي، فادع الله سبحانه أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم »، فقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: « اللهم اجعل له آية ») [2].

---

(١) الكرسف: القطن.

(٢) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٨٣.
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٧٧، ٥٧٨ الشيخ أبو زهرة.
انظر البداية والنهاية جـ ٣ ص ٩٩ لابن كثير.

الآية التي جعلت له:

خرج الطفيل إلى قومه حتى اذا كان في فرجة بين جبلين أطل منها على قوم نازلون على الماء، وقع نور بين عينيه مثل الصباح، فقال: (« اللهم في غير وجهي اني أخشى أن يظنوا أنها مثله وقعت في وجهي لفراق دينهم. فتحول النور إلى رأس سوطه». وقال الطفيل رضي الله عنه فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط اليهم من الثنية حتى أصبحت عندهم) [1].

فلما وصل إلى قومه أعلن إسلامه على الملأ وأنه آمن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبالدين الجديد الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالى وأنه بريء من كل من يخالفه حتى والده وزوجه وأقرب المقرّبين إليه حتى يدخل الإسلام. أما الحلول الوسط والأمر الواقع والمصالح المشتركة فلا طريق لها عند المؤمنين حقاً وصدقاً، ولا خيار لطريق ثالث، فاما سبيل الحق والرحمان واما سبيل الباطل والشيطان، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ [2].

ويقول السيوطي في سبب النزول: [3] (أخرج ابن أبي حاتم، أنها نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه عندما قتل والده في بدر الكبرى.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٨٣.

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٣) لباب النقول في أسباب النزول ص ٢٠٨ للسيوطي.
انظر أسباب النزول ص ٢٧٧، ٢٧٨ للواحديّ.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، عندما سب والده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فصكه أبو بكر صكة فسقط فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «أفعلت يا أبا بكر»، فقال: «والله لو كان السيف قريباً مني لضربته به»).

وقد استشهدت بهذه الآية لأنها موافقة لحال الطفيل الدوسي رضي الله تعالى عنه مع أهله وعشيرته، وأقرب المقربين إليه. يرحمك الله سبحانه يا طفيل وكم نحن بحاجة لأمثالك اليوم لابلاغ كلمة الله سبحانه وتعالى وإعلام الناس بها، وبحقها، دون نفاق أو مراوغة أو خوف من دائرة القوم كما نسمع ونرى اليوم في جاهلية القرن العشرين.

قال الطفيل رضي الله عنه لوالده وكان شيخاً كبيراً:[1] («إليك عني يا أبتي فلست منك ولست مني»، قال: «ولم يا بني»؟ قال فقلت له: «أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم»، قال: «أي بني فديني دينك»، ودخل الإسلام. وفعل كذلك مع زوجته وقال لها: «اليك عني فلست منك ولست مني، لقد فرق بيني وبينك الإسلام»). فآمنت بالله سبحانه رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبياً ورسولا.

واستمر في دعوة قومه باخلاص ويقين، فلما أبطأوا عليه استعان برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: «اللهم أهد دوساً»، فحسن اسلامهم وجاهدوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وثبتوا في حروب الردة ورفعوا راية التوحيد فوق فارس والروم.

تأملات اعلامية:

الافتراء هو الاسلوب الأول والدائم للإعلام المعادي للإسلام في كل

---

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص٣٨٣، ٣٨٤.

زمان ومكان. فتآمرت قريش على دين الله سبحانه واخترعت الأكاذيب والأضاليل في صاحب الدعوة، ورموه بالكهانة والجنون والشعر والسحر، وأنه يفرق بين المرء وأبيه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته. وزادت جاهلية القرن العشرين في دعاة الحق: العمالة، والرجعية، والتعصب، والتزمت، والهوس، والشعوذة، والانتهازية، والتخفي بلباس الدين وأفيون الشعوب وغير ذلك من الافتراءات والأكاذيب. ويمكرون ويمكر الله سبحانه وهو خير الماكرين، فأكثرت قريش الافتراء على قبائل العرب تريد أن تطفىء نور الإسلام، فرد الله سبحانه كيدها إلى نحرها، حيث صدرت الوفود العربية من موسم التجارة والحج ومعها خبر دعوة الإسلام، وخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي أبلغها بصدق وإخلاص وجهاد من لا يخشى الموت في سبيل الله سبحانه.

ويقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله:[1] (وكذلك كان الأمر، فان أخبار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوته إلى الحق، وإلى صراط مستقيم، كانت تتجاوب أصداؤها في البلاد العربية، ومن العرب من كان يجيء إلى مكة متعرفاً أمر الدين الجديد، ومنهم من يرسل إليه من يتعرف دعوته، ونقل خبرها، كما فعل أكثم بن صيفي حكيم العرب، إذ أرسل بنيه إلى النبي ﷺ، يتعرف ما يدعو إليه، فلما حضروا وسألوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، تلى عليهم قوله تعالى: ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[2].

فلما بلغه ما تلي عليهم قال: «إنه إن لم يكن ديناً فهو خلق كريم، وأمر حسن، يا بني كونوا في هذا الأمر أولاً ولا تكونوا آخرا»).

---

(١) خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٧٦، ٥٧٧ الشيخ أبو زهرة.

(٢) سورة النحل آية ٩٠.

الفصل الثالث

وفود يثرب الإعلامية

تمهيد

لم يكن أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، عند استحكام العداوة بينه وبين قريش، واصرارهم على حربه، واباء أهل الطائف نصرته أو الدخول في دعوته، واستكبارهم عليه، وتركهم صبيانهم وعبيدهم يرجمونه بالحجارة، ونفخ الشيطان في أنوفهم فتأخذهم العزة بالإثم، الاّ أن يعرض نفسه على القبائل الاخر في مواسم الحج وأسواق التجارة يتلو عليهم كتاب الله سبحانه ويدعوهم للتوحيد، وأن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة (ويقول: « يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، واذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة » وأبو لهب وراءه يقول: « لا تطيعوه فانه صابيء كاذب » فيردون على الرسول صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ويؤذونه) (١).

وكانت يثرب بأحوالها وأهلها وأرضها هي المكان المناسب لقبول الدعوة الاسلامية، وذلك أن اليهود كانوا يحاربون أهلها سرّا وعلانية، وينشرون

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٤٢٣
انظر سيرة سيد البشر ص ٧٢، ٧٣ للشيخ احمد العساف.
انظر السيرة النبوية ص ١٧١ لأبي الحسن الندوي

بذور الفتن كشأنهم حيثما كانوا وأينما ثقفوا.

وكان أهل المدينة وثنيين واليهود أهل كتاب، يتوعدونهم بنبي أظل زمانه يقتلونهم به قتل عاد وارم. وفوق ذلك كان أهل يثرب منقسمين الى الأوس والخزرج وكان الخلاف والقتال بينهم شديدا، وفيهم من يهم بالاستنصار بقريش على الآخرين، وقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها قالت: «كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم. قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة، وقد افترق ملؤهم وقتل سراتهم».

مقدمة اعلامية:

أبو الحيسر أنس بن رافع والاسلام

كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغتنم أي وسيلة لنشر دعوته بين الناس، ويعرض نفسه على كل قادم لمكة باتصال شخصي مباشر، عسى أن يجد عنده النصر لدين الله سبحانه. فلا يترك مناسبة صالحة لنشر الدعوة الا ويذيع حقيقة الاسلام على الوفود والركائب التي تحمل خبره في الحل والترحال.

فلما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع الى مكة، ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف مع قريش على قومهم من الخزرج بالمدينة المنورة.

سمع بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاهم وجلس اليهم، فقال لهم: («هل لكم الى خير مما جئتم به؟» قالوا: «وما ذاك» قال: «أنا رسول الله بعثني للعباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل عليّ الكتاب» ثم ذكر لهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن، واستشعر

بعضهم بصدق الدعوة. فقال إياس بن معاذ: «يا قوم هذا والله خير مما جئتم له» فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال: «دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا» فصمت إياس)(١).

عندئذ قام عنهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما رأى أن من الحكمة عدم الاكثار عليهم تركهم، لأنه يعلم أن الهداية بيد الله سبحانه وحده وليست بكثرة الجدال والتباهي بالكلام كما يفعل بعض دعاة اليوم.

وانصرف القوم الى المدينة المنورة ومعهم شعلة من نور الاسلام حماها إياس بن معاذ وبقي كذلك حتى توفي بعد وقعة بعاث. وقال محمود بن لبيد: «فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما»(٢).

وهكذا كانت المدينة المنورة تربه صالحة لانتشار الاسلام، فاليهود يهددون بنبي أظل زمانه يتبعونه ويقتلون الأوس والخزرج قتل عاد وأرم والعرب أهل فراسة ونحوه أضاءت بعض شموع الحق بينهم، وكأنها ارهاصات للنصرة والنجدة ورسائل اعلامية أذيعت في وقتها على الملأ من القوم في يثرب.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٤٢٧، ٤٢٨
انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٩٠ الشيخ أبو زهرة.
انظر دلائل النبوة ج ٢ ص ١٦٢، ١٦٣ للبيهقي الطبعة الأولى المكتبة السلفية بالمدينة ١٣٨٩ هـ.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٢٨

(١) وفد العقبة الأولى[1] من الخزرج سنة ١١ من البعثة:

اراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وإنجاز وعده بالعز والتمكين للاسلام. فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه رهط الخزرج من الأنصار عند العقبة، وعرض عليهم الاسلام، فأراد الله سبحانه بهم خيرا فرقت قلوبهم لما سمعوا فآمنوا وصدقوا بدين الاسلام.

أشخاص الوفد:

قال ابن اسحاق هم:[2]

١ - أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبه بن غنم بن مالك بن النجار (أبو أمامه).

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار (ابن عفراء)

٣ - رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق.

٤ - قطبة بن عامر بن حديده بن عمرو بن غنم بن سواد.

٥ - عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

٦ - جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد.

---

(١) من نظر الى المبايعة عد العقبات اثنتين ومنهم ابن هشام وابن سعد.
ومن لم ينظر للمبايعة عد العقبات ثلاث مثل صاحب المذاهب اللدنية القسطلاني وكذلك ابن عبد البر.

(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ٤٢٩، ٤٣٠
البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٩ لابن كثير

وكان سبب مجيء الوفد طلب النصرة والنجدة من قريش ضد بني عمهم من الأوس، ودارت المحادثات بين سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين أعضاء هذا الوفد يحدثنا عنها ابن اسحاق فيقول:(١) (حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم: «من أنتم» قالوا: «نفر من الخزرج»، قال: «أمن موالي يهود»، قالوا: «نعم» قال: «أفلا تجلسون أكلمكم»، قالوا: «بلى». فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام، وتلى عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله بهم في الاسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم: «ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم»، فلما كلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم الى الله سبحانه قال بعضهم لبعض: «ياقوم تعلموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه،» فأجابوه فيما دعاهم اليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، وقالوا: «انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك، وسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك»).

ونظرة فاحصة في هذا النص نجد أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتح حواراً اعلاميا حقيقيا مع رهط الخزرج يدل على أنه خبير بمواقع الناس

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٤٢٨، ٤٢٩
تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٥٣، ٣٥٤
دلائل النبوة ج ٢ ص ١٧٣، ١٧٤ للبيهقي.
البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٨، ١٤٩ لابن كثير.

ومشاعرهم. بدأ حواره معهم بالتعرف عليهم لما يجلب ذلك من بالغ المحبة وعظيم الألفة بين القلوب، بل استأذنهم في الحديث معهم وهذا من تمام اللطف وحسن الخلق مع الناس حتى يفتح قلوبهم لما يقول من الحكمة، ويتلو عليهم قول الله سبحانه الصادق.

وتتكرر الأسئلة الاعلامية حتى يستكمل جوانب الاستجواب، ثم ينطلق من قاعدة سليمة لما يعرض عليهم من الحق حيث يقول لهم: «أمن موالي يهود»[1]. وهذا سؤال يدل على علم وخبرة بأخبارهم المتداولة بينهم في يثرب، حيث كان اليهود أهل كتاب وعلم والعرب أهل شرك وأصحاب أوثان. وذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كتبهم، وهو وصية نبيهم بالاتباع، وقالوا للأوس والخزرج: «ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم».

عندئذ انتهت المحاورة الإعلامية بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين رهط الخزرج، بالدخول في الدين الجديد، ونطقوا كلمة التوحيد، وقد آمنوا بربهم وصدقوا رسوله محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وانصرفوا الى المدينة وفدا يحملون معهم هذه المرة راية الاسلام السامقة داعين الله سبحانه وتعالى أن يجمع قومهم المتطاحنين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نخرت مكائد يهود ودسائسهم عظامهم، بحروب طاحنة حتى تبقى لهم السيادة، فيعيثوا في الأرض فساداً كما نراهم اليوم وقد ملؤوها فسقاً وظلماً وجورا.

فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار الا

(١) موالي: حلفاء لأنهم كانوا تحالفوا معهم على التناصر

وفيها ذكر من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخبر التوحيد.

هكذا دخل الاسلام علانية دون ستار وانطلق الوفد بين ربوع يثرب يبشر بالدين الجديد حتى انتشر بين أهلها ذكره، وتناقلته الألسنة وهيأت له الظروف والأحوال المواتية لاعتناقه ونشره، ونصرته بالمال والولد والأنفس الطاهرة المجاهدة. فنشأ الأساس القوي والقاعدة الأمنية لانتشار الاسلام في مدينة الأنصار.

(٢) وفد العقبة الثانية وبيعة النساء سنة ١٢ من البعثة:

لما رجع وفد العقبة الأولى الى قومهم بالمدينة لم يتركوا نادياً ولا مجتمعاً ولا مجلساً دخلوه الا ذكروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودينه، ورغبوا فيه، وبشروا به، فازدادت نفوس هذا الوفد شوقا للقائه والتعرف عليه فالتقوا بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في العام المقبل، وقرأ عليهم القرآن ودعاهم للاسلام فآمنوا وبايعوه بيعة النساء [١]. والمقصود ببيعة النساء البيعة المشتملة على قواعد التربية النفسية، والتطهر من الأرجاس حيث لم يفرض القتال لأول وهلة من دخول الاسلام، فالانفس لم تتهيأ بعد للحرب والفداء. فلا بد أولا من تطهير القلوب مما علق بها من الشرك وحب الدنيا والشهوات والمعاصي.

بيعة العقبة الثانية (بيعة النساء) [٢]:

قال ابن اسحاق عن عبادة بن الصامت قال: (كنت فيمن حضر العقبة

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٣١
تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٥٥
البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٠ لابن كثير.
(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٥٥، ٣٥٦

=

وكنا اثني عشر رجلا، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فان وفّيتم فلكم الجنة، وان غشيتم من ذلك شيئا، فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله عز وجل، ان شاء عذب وان شاء غفر) [1].

ونلاحظ أن هذه التسمية كانت كذلك لأنها كانت على الأمور التي وردت في سورة الممتحنة خاصة في بيعة النساء قال تعالى: ﴿يـا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم﴾ [1].

يقول السيوطي في سبب نزول الآيه: [3] (أخرج الطبراني بسند صحيح عن عبد الله بن أبي أحمد قال:« هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بـن أبي معيط في الهدنة، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله

= سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٣٣
دلائل النبوة ج ٢ ص ١٧٥ للبيهقي

(١) البداية والنهاية ج٣ص ١٥٠، ١٥١ لابن كثير.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٣٤
الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٢٢٠
تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٥٦.
وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق الزهري والليث بن سعد وورد في البخاري / باب وفود الأنصار ج ٥ ص ٦٩.

(٢) سورة الممتحنة آية ١٢

(٣) لباب النقول في أسباب النزول ص ٢١١ للسيوطي

صلى الله تعالى عليه وسلم وكلماه في ردها فنقض الله سبحانه العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء ومنع أن يرددن الى المشركين، فأنزل الله سبحانه آية الامتحان » .) .

وفي تفسير ابن كثير يقول: (قال البخاري عن عروة أن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية: يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك... الى قوله غفور رحيم». قال عروة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قد بايعتك ». كلاماً ولم تمس يده يد امرأة قط).

ولقد نزلت هذه الآية بعد صلح الحديبية بلا خلاف في جميع التفاسير.

ولكن أين بيعة العقبة الأولى [1] من الحديبية، لذلك سلك العلماء المحققون في مقالة ابن اسحاق عن ابن شهاب الزهري على بيعة النساء مسالك:

١ ـ قال ابن كثير [2]:

وقوله على بيعة النساء يعني: على وفق ما نزلت عليه آية بيعة النساء بعد عام الحديبية، حيث أن هذه الآية نزلت على وفق ما بايع عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا بعجيب فان القرآن الكريم نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن، وفي التفسير وان كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

٢ ـ الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني:

يرى أن المبايعة المذكورة في حديث عبادة لم تقع ليلة العقبة، وانما كانت

---

(١) نقصد بها المبايعة التي حدثت في العقبة الثانية لأن العقبة الأولى لم يحدث فيها مبايعة.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥١ لابن كثير.

المبايعة هذه الليلة على الايواء والنصرة والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره....

ويستدل بذلك ما أخرجه أحمد والطبراني من وجه آخر عن عبادة بن الصامت أنه حدثت له قصة مع أبي هريرة عند معاوية رضي الله عنهم بالشام فقال: « يا أبا هريرة انك لم تكن معنا اذ بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول الحق ولا نخاف في الله لومة لائم وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها »[1].

وفي حديث عبادة عند البخاري: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره... الحديث، لذلك يرى أن المبايعة على الصفة المذكورة في رواية ابن اسحاق، انما وقعت بعد فتح مكة بعد أن نزلت الآية الخاصة ببيعة النساء في سورة الممتحنه وانه لا يوجد خلاف أن نزول هذه الآية بعد غزوة الحديبية. ثم قال: فهذه الأدلة ظاهرة في أن البيعة انما صدرت بعد نزول الآية الخاصة بالنساء، بل بعد فتح مكة، وانما حصل الالتباس من جهة أن عبادة بن الصامت حضر البيعتين معا: العقبة، والبيعة على مثل بيعة النساء يوم الفتح، وكانت بيعة العقبة من أجل ما يمتدح به، فكان يذكرها اذا حدث تنويها بسابقته، فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء عقب ذلك توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن البيعة الأولى وقعت على ذلك[2].

---

(١) الوفود في العهد النبوي ص ٢٧ د. محمد جاد.

(٢) الوفود في العهد النبوي ص ٢٨ د. محمد جاد.

فتح الباري جـ ١ ص ١٢، ١٣ طبعة الحلبي القاهرة ١٣٨٧ هـ.

ولكني أميل الى رأي ابن كثير رحمه الله تعالى وغيره من المؤرخين وهو أن بيعة وفد العقبة الثانية كانت على مثل بيعة النساء يوم الفتح وانما وقع الالتباس من ناحية أن عبادة بـن الصـامـت رضي الله عنـه حضر البيعـات الثلاث[1] بيعة وفد العقبة الثانية سنة ١٢ من البعثه، وبيعة وفد العقبة الثالثة سنة ١٣ من البعثة، وبيعة النساء يوم الفتح سنة ٨ هجرية، عندئذ حدث توهم لمن لم يقف على دقة الحديث الصادر من عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فوقع الخلط بين بيعة وفد العقبة الثانية التي قامت على تربية النفوس وطهارتها وتعمير القلوب بالايمان الخالص وبين بيعة وفد العقبة الثالثة التي قال فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « الدم الدم، والهدم الهدم. بمعنى أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »[2].

أشخاص الوفـد: [3]

١ - أسعد بن زراره بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بـن النجار (أبو أمامة).

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار (ابن عفراء)

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٣١ حيث يقول: وكان عبادة نقيبا شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة وشهد بدرا والمشاهد كلها.

(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤٢.
البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦١ لابن كثير.
الطبري جـ١ ص ٣٦٣.

(٣) البداية والنهاية جـ٣ ص ١٥٠ لابن كثير.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٣١ - ٤٣٣.

٣ ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار (ابن عفراء).

٤ ـ رافع بن مالك بن عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق.

٥ ـ ذكوان بن عبد قيس بن خلده بن مخلد بن عامر بن زريق.

٦ ـ عباده بن الصامت بن قيس أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم.

٧ ـ يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة (أبو عبدالرحمن).

٨ ـ العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن عجلان.

٩ ـ عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

١٠ ـ قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد.

١١ ـ أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك.

١٢ ـ عويم بن ساعده.

الدور الاعلامي لهذا الوفد:

أصبح الشغل الشاغل لهذا الوفد بعد رجوعه الى المدينة عقد الاجتماعات المتتالية للدعوة الى الاسلام واظهار محاسنه وضرورة المسارعة اليه والحظوة به قبل يهود يثرب الذين أعلنوا مراراً عن نبي قد أظل زمانه يتبعونه ويقتلونهم معه قتل عاد وارم. (وقد وجدوه مكتوبا في كتبهم المقدسة[١] حتى بعد تحريفها، وبعد أن نسوا حظا مما ذكروا به، تومىء أو تشير اشارة واضحة

(١) انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٣٣ الشيخ أبو زهرة.

تكاد تكون عبارة لا اشارة واليك نص من التوراة يكاد يكون صريحا: « جاء الله من سيناء وأشرق في ساعير واستعلن من فاران». ولقد ورد تفسير هذا النص صفحة ١١٢ من الرسالة).

وهذا النص وغيره جعل اليهود يهددون الأوس والخزرج بنبي قد أظل زمانه يقتلونهم معه، مع أن قلـوبهم تضمر له الكيد والشر. وهذا مما جعل الأوس والخزرج يسارعون بالاستجابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والدعوة الى نبذ الخلافات بينهم والاجتماع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصرة والتمكين.

وفادة مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه:

فلما انصرف وفد العقبة الثانية أوفد معهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابي الجليل مصعب بن عمير بن هاشم رضي الله عنه يؤمهم في الصلاة ويعلمهم الإسلام، ويقرئهم القرآن الكريم، ويفقههم في الدين وكان يسمى في المدينة بالمقرىء وهذا يدل على أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قد فطن الى أهمية الشرح والتفسير باعتباره جزءاً من الدعوة الشاملة للإعلام والتعليم، فبعث الوفود من القراء والفقهاء لتفسير الدين وشرح القرآن الكريم، كما يفعل خبراء الإعلام من المعلقين والكتاب وغيرهم في العصر الحديث.

ولقد نجحت وفادة مصعب بن عمير رضي الله عنه في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن الكريم وتفسيره، وتقوية الروابط الأخوية بين افراد القبائل المؤمنة من ناحية، وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه بمكة المكرمة، لايجاد القاعدة الأمينة لانطلاق الدعوة. وكذلك تأمين وتقوية العلاقات الانسانية بشكل عام في المجتمع الجديد، وعلى ذلك اذا كان الهدف الاول من العلاقات العامة في كل زمان ومكان هو ايجاد الـروابط الانسانية

السليمة في المجتمع بين طرفين: أحدهما يمثل مصدر الرسالة أو المرسل، والثاني يمثل المستقبل، نقول عندئذ لقد نجح مبعوث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أداء هذه المهمة أيضا كل نجاح. ولا نبالغ اذا قلنا أن الدعوة الاسلامية الشاملة للإعلام والتعليم والتوجيه هي التي وضعت النواة الأولى للعلاقات الانسانية السليمة.

وقد نزل مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه في يثرب على أسعد بن زرارة رضي الله عنه. ونشط الوفد واتسعت الدائرة الاعلامية ودخل خبر الاسلام في كل بيت من بيوت يثرب. ثم انتقلت الخطة الاعلامية الى الملأ من القوم في مجالسهم وأنديتهم، ومحاورتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، نعم انه الإعلام الصادق الذي لا يحيد عن الحق مهما كانت النتائج.

فها هو الصحابي أسعد بن زرارة يقول لمصعب بن عمير رضي الله تعالى عنهما عندما رأى أسيد بن حضير قبل اسلامه وحربته في يده: « هذا سيّد قومه قد جاءك، فاصْدق الله فيه..... »[1].

فالصدق قاعدة الإعلام الاسلامي الأولى بعيدة عن الكذب والنفاق والمداهنة التي نراها اليوم في إعلام دول العالم الاسلامي. وماذا حدث بعد ذلك: وقف متشتما فقال: « ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة »[2].

نعم الأمر خطير جدا ليس بعده الا الموت أو الجبن لمن استذله الشيطان وأخافته العواقب. ولكن الصحابي الداعية المخلص لدينه والمؤمن بربه قال:

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٥٢ لابن كثير
تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٥٨.

(٢) دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٧٨ للبيهقي ـ تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٥٨.

« أوتجلس فتسمع، فان رضيت أمرا قبلته، وان كرهته كف عنك ما تكره »[1].

فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه: « أنصفت »، ثم ركز حربته وجلس عليها، فكلمه مصعب رضي الله عنه بالاسلام، وقرأ عليه القرآن الكريم، فأشرق وجهه قبل أن يتكلّم ثم قال: (« ما أحسن هذا الكلام وأجمله ». ثم اغتسل وطهر ثوبيه وشهد بشهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: « ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه، وسأرسله اليكما الآن، انه سعد بن معاذ ».

ودارت مع سعد بن معاذ رضي الله عنه نفس المحاورة، فآمن كما آمن صاحبه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه، وقد ظهرت تباشير الايمان في وجهه، وسجد لله سبحانه وحده كما فعل أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه. ثم أقبل عامدا الى نادي قومه فلما وقف عليهم قال: « يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم »، قالوا: « سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة »)[2].

وهنا يأتي دور زعامة الخير، حيث ينتزع من الناس اعترافا بفضله وسداد رأيه، ونقاء سريرته، ونظافة طويته، فلا تحكمه أغراض مادية ولا شهوات شخصية. وبهذا الاعتراف ينتزع حق التوجيه، وقيادة الناس الى الخير، وهو ما حدث حين جاءهم بالإعلام عن الخير الذي حمله اليهم، ورأيه السديد ونقاء سريرته هما اللذان وراء ادراك خيرية ما جاء من خبر الاسلام وهدايته.

والزعيم الحقيق بالزعامة يجب أن يعمل على أن تتقبل الجماعة هذه

---

(١) البداية والنهاية جـ٣ ص ١٥٢ لابن كثير - دلائل النبوة جـ٢ ص ١٧٨ للبيهقي.

(٢) انظر تاريخ الطبري جـ٢ ص ٣٥٩ - انظر سيرة ابن هشام ص ٤٣٦، ٤٣٧ - - انظر البداية والنهاية جـ٣ ص١٥٣ لابن كثير.

الأهداف والقيم، خصوصاً اذا كان له خلفية من النجاح والشجاعة، والرأي الصائب، والتضحية، وروح التعاطف مع افراد جماعته.

واننا نرى هذا جليا في زعامة سعد بن معاذ رضي الله عنه في جميع أنواع الزعامات (١):

١ - الفكرية كقائد يسيطر على عالم الأفكار، والرؤية الواضحة الواسعة، وتخطيط المستقبل للجماعة.

٢ - الادارية المتميزة بالثبات والحكمة وفهم أحاسيس جماعته.

٣ - الرّمزية والتي تتمثل في صورته المحبوبة لدى الرأي العام واعترافهم بأنه سيدهم الأول.

٤ - زعامة الدعوة حيث يتبنى الزعيم احدى القضايا ويكون لديه القدرة الفائقة على الاستمالة والاقناع والدعاية المؤثرة.

وقد صدق هذا كله في سعد بن معاذ رضي الله عنه حيث قال فيه أصحابه وجماعته: «أنت سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة».

لذلك فانه كان محقا عندما قال لهم: («فان كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله» فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة الاّ مسلما) (٢).

---

(١) انظر الرأي العام ص ١٤٨، د. أحمد بدر، مكتبة غريب، القاهرة.

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٥٣ لابن كثير.
الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٦٨ لابن الأثير.
تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٥٩.
دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٧٩ للبيهقي.

نعم ها هي سمات الداعية المؤمن الصادق، والإعلامي المخلص لله سبحانه، ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم. والايمان بالله تعالى هو رباط الأخوة الحقيقي الأبدي بين الأجناس والأقوام والألوان..... فلا عنصريات ولا قوميات ولا جنسيات..... في ديار الإسلام وبين المسلمين.

فيا رجال الاعلام حاربوا هذه الشعارات الضالة، ويا أمة الاسلام دعوها فإنها منتنة، انها دعوة الشيطان الرجيم الأولى كما جاء في قوله تعالى: ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[1].

فالحب في الله سبحانه والبغض في الله عز وجل، لذلك جعل سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه كلام رجالهم ونسائهم حراماً عليه حتى يؤمنوا بالله تعالى وبرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم. وما أحوج أمة الاسلام لأمثال أسيد ابن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهما، ليقودوا خطواتها نحو الاسلام ونشر مبادئه فيحققوا آمال المسلمين.

(٣) وفد العقبة الثالثة وبيعة الحرب سنة ١٣ من البعثة:

قدم هذا الوفد من المدينة المنورة، فواعدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله سبحانه بهم ما أراد من الكرامة، والنصرة لرسوله ﷺ وإعزاز دينه وأهله، وإذلال الشرك وأهله. وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية الشريفة، أي قبيل الهجرة بثلاثة أشهر تقريبا.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢.
سورة ص آية ٧٦.

أعضاء الوفـد: [1]

كان عدد هذا الوفد ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وهم:

من الأوس أحد عشر رجلا:

- أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس ابن زيد بن عبدالأشهل.

٢ - أبو الهيثم مالك بن التيهان.

٣ - سلمة بن سلامه بن وقش بن عبدالأشهل.

٤ - ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة.

٥ - أبو برده هانىء بن دينار بن عمرو بن عبيد بن كلاب.

٦ - نهير بن الهيثم النابي.

٧ - سعد بن خيثمة بن الحارث.

٨ - رفاعة بن عبدالمنذر بن زنير بن زيد بن أمية بن عوف بن عمرو.

٩ - عبدالله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك (امرؤ القيس)

١٠ - معن بن عديّ بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ربيعة.

١١ - عويمر بن سعد.

والباقي من الخزرج:

١٢ - أبو أيوب وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبيد بن عوف بن غنم بن مالك النجار.

١٣ - معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار.

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٦٦ - ١٦٨ لابن كثير.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٥٤ - ٤٦٧.

١٤ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار.

١٥ ـ معوذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار.

١٦ ـ عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم ابن مالك بن النجار.

١٧ ـ أسعد بن زراره بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار.

١٨ ـ سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو.

١٩ ـ أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عديّ ابن عمر بن مالك بن النجار.

٢٠ ـ أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجار.

٢١ ـ قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن.

٢٢ ـ عمرو بن غزيّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن.

٢٣ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن كعب بن الخزرج بن الحارث.

٢٤ ـ خارجه بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث.

٢٥ ـ عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس (الأكبر) بن مالك (الأغر) بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث.

٢٦ - بشير بن سعد بن ثعلبه بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبه ابن كعب بـن الخزرج بن الحارث (ابو النعمان بن بشير).

٢٧ - عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدالله بن زيد مناة بن الحارث ابن الخزرج.

٢٨ - خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس ابن مالك (الأغر) بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج.

٢٩ - عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جداره بن عوف بن الحارث بن الخزرج وهو أبو مسعود.

٣٠ - زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنام بن عامر بن عديّ بن أمية بن بياضة.

٣١ - فروة بن عمرو بن وذفة.

٣٢ - خالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة.

٣٣ - رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق.

٣٤ - ذكوان بن قيس بن خلده بن مخلد بن عامر بن زريق.

٣٥ - عباد بن قيس بن عامر بن خلده بن مخلد بن عامر بن زريق.

٣٦ - الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق وهو أبو خالد.

٣٧ - البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ.

٣٨ - بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ.

٣٩ - سنان بن حيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد.

٤٠ - الطفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد.

٤١ - معقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد.

٤٢ ـ يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد.
٤٣ ـ مسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد.
٤٤ ـ الضحاك بن حارثه بن زيد بن ثعلبه بن عبيد.
٤٥ ـ يزيد بن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد.
٤٦ ـ جبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد.
٤٧ ـ الطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد.
٤٨ ـ كعب بن مالك بن أبيّ بن كعب.
٤٩ ـ سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم.
٥٠ ـ يزيد بن عامر بن حديده بن عمرو بن غنم.
٥١ ـ قطبه بن عامر بن حديده بن عمرو بن غنم.
٥٢ ـ أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم.
٥٣ ـ صيفي بن سواد بن عباد بن عمرو بن غنم.
٥٤ ـ ثعلبة بن غنمه بن عديّ بن نابي.
٥٥ ـ عمرو بن غنمه بن عديّ بن نابي.
٥٦ ـ عبس بن عامر بن عديّ بن نابي.
٥٧ ـ عبدالله بن أنيس.
٥٨ ـ خالد بن عمرو بن عدي بن نابي.
٥٩ ـ عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام.
٦٠ ـ جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام.
٦١ ـ عمرو بن الجموح بن يزيد بن حرام.
٦٢ ـ الجذع وهو ثعلبة بن زيد بن حارثة بن حرام.
٦٣ ـ الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام.
٦٤ ـ خديج بن سلامه بن أوس بن عمرو بن الفرافر.
٦٥ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائد بن كعب بن عمرو

ابن سعد بن علي بن أبيّ.

٦٦ - عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ابن سالم بن عوف.

٦٧ - أبو عبدالرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة.

٦٨ - العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن عجلان بن زيد بن غنم ابن سالم بن عوف.

٦٩ - عمرو بن الحارث بن لبده بن عمرو بن ثعلبة.

٧٠ - رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم ابن غنم.

٧١ - عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بـن عديّ بن جشم بن عوف بن بهته بن عبدالله بن غطفان بن سعد بـن قيس بن عيلان.

٧٢ - سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبه بن طريف بـن الخزرج بن ساعدة.

٧٣ - المنذر بن عمر بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بـن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة.

وكان في هذا الوفد امرأتان هما:

١ - نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن وهي (أم عمارة).

٢ - أم منيع وهي اسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي بن عمرو بن سواد بـن غنم بن كعب بن سلمة.

سبب حضور هذا الوفد:

رجع المجاهد مصعب بن عمير رضي الله عنه الى مكة ومعه من آمن من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين ليعلنوا الولاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في موسم الحج، ويفرح بلقائهم وقد ازداد عددهم، وأصبحوا قوة يمكن اللجوء اليها والهجرة عندها لنصرة دينه، بعد أن لقى من عرض نفسه على القبائل أقسى ألوان الاهانة والاعراض والكبرياء والتكذيب. وحتى يتمتع الصحابة برؤية رسولهم صلى الله تعالى عليه وسلم، وتجديد ايمانهم، واطمئنان أنفسهم مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

محادثات الوفد:

قال ابن اسحاق:[1] (فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان: نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي احدى نساء بني سلمة وهي أم منيع).

العباس يتوثق للنبي صلى الله عليه وسلم:

قال ابن اسحاق: (فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه، الاّ أنه أحب أن يحضر أمر ابنِ أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلّم

---

(١) تاريخ الطبري جـ ١ ص ٣٦١.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤١.
البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦٠ لابن كثير.

العباس بن عبدالمطلب فقال: «يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم، واللحوق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملّتم من ذلك، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم، فمن الآن فدعوه، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده» قال فقلنا له: «قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت»)[1].

عهد الرسول ﷺ على الأنصار:

عندئذ تكلّم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وقرأ عليهم القرآن، ودعا الى الله سبحانه، ورغّب في الاسلام، وذكرهم في الآخرة، وما أعده الله سبحانه لهم من نعيم مقيم، وللمشركين والجاحدين من عذاب عظيم.

ولا شك أن القرآن الكريم بما يحمل من أسرار الوحي التي تصل الى النفوس، فتعالج حاجتها، وترضى فطرتها، وتقنع قلبها، يضم من قواعد الإعلام وأساليبه، ما يؤكد امكانية تغيير النفوس، وجذب العقول الى الحق والصراط المستقيم، فتحل عندئذ قيم الاسلام محل قيم الجاهلية. ثم قال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: («أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: «نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[2]، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة[3] ورثناها كابرا عن

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤١، ٤٤٢ - تاريخ الطبري جـ ١ ص ٣٦٢ - الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٢٢ لابن سعد - دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٨٥ البيهقي.

(٢) أزرنا: نساءنا والمرأة يكنى عنها بالازار كما يكنى ايضا بالازار عن النفس.

(٣) الحلقة: السلاح.

كابر »)[1]. وسمح رسول الله ﷺ أن يوجزوا في القول فقد روى البيهقي قوله: « ليتكلّم متكلّمكم ولا يطل الخطبة فان عليكم من المشركين عينا، وان يعلموا بكم يفضحوكم »[2].

وقال أبو الهيثم بن التيهان رضي الله تعالى عنه: (« يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا - اليهود - انا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله سبحانه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ » فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم قال: « بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم »)[3]

وقال العباس بن عبادة: (« يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل» قالوا: « نعم » قال: « انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآن، فوالله ان فعلتم فخزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة». قال: « فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا » قال: « الجنة »)[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٤٤٢ - البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦٠ لابن كثير - تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٦٢.

(٢) دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٨٨ البيهقي - البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٦٣.

(٣) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٦٩ لابن الأثير
تاريخ الطبري جـ ١ ص ٣٦٣
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤٢
البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦١ لابن كثير.

(٤) البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦٢ لابن كثير.

أنها كلمة صدق وحق ذات قيمة اعلامية عظيمة التأثير في نفوس السامعين، تجعل منهم قوة ضاربة، لا تخشى الموت في سبيل الله سبحانه، وإعلاء كلمته بين الناس. فقالوا: «ابسط يدك» فبسط يده الكريمة عليه أعظم الصلاة والتسليم فبايعوه. وقيل ان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البراء بن معرور رضي الله تعالى عنه ثم بايع القوم من بعده.

وهكذا بايعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في العقبة الأخيرة، على حرب الأحمر والأسود من الناس، وأخذ لنفسه، واشترط لربه على القوم، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

النقباء:

بعد تمام البيعة قال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ثم قال للنقباء: («أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي»، قالوا: «نعم») [1].

وهذا يدل على براعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في استغلال (الظرف الاتصالي المباشر) [2] بجماعته، والاستفادة من (رجع الصدى الفوري) [3] بما يعرضه عليهم ليقرر ويخطط بعد ذلك المسيرة

= سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤٦.
تاريخ الطبري جـ ١ ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٦٢ لابن كثير - سيرة ابن هشام، القسم الأول ص ٤٤٦ - تاريخ الطبري جـ ١ ص ٣٦٣.

(٢) (٣) مصطلحات اعلامية انظر الأسس العلمية لنظريات الإعلام / د. جهان رشتي.

الصحيحة لنجاح الدعوة.

ولقد أكد الواقع أن الوحي وصناعة الله سبحانه لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عينه، كان وراء نجاح الإسلام في تكوين الجماعة الإسلامية المتحدة على قلب رجل واحد في الفكر والسلوك.

وهكذا نرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكد البيعة من جديد وكررها على النقباء زيادة في التوثيق والوفاء بما ينتظرهم من شدائد الدنيا ونعيم الآخرة.

والنقباء هم ما يلي: (١)

أولاً: من الخزرج:-

١ - أبو أمامة أسعد بن زرارة.
٢ - سعد بن الربيع.
٣ - عبدالله بن رواحة.
٤ - رافع بن مالك بن عجلان.
٥ - البراء بن معرور.
٦ - عبدالله بن عمرو بن حرام.
٧ - عبادة بن الصامت.
٨ - سعد بن عبادة.
٩ - المنذر بن عمرو.

ثانياً: من الأوس:-

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص٤٤٣، ٤٤٤ مكتبة مصطفى الحلبي القاهرة الطبعة الثانية ١٩٥٥ م.

١ ـ أسيد بن حضير.
٢ ـ سعد بن خيثمة.
٣ ـ رفاعة بن المنذر. وأهل العلم يعدون أبا الهيثم بن التيهان بدلاً منه حيث يقول كعب بن مالك.

أبـو هيثم أيضـاً وفيّ بمثلهـا . .وفاء بماء أعطى من العهد خانـع [1]

ثم قال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « تفرّقوا إلى رحالكم ».

فقال العباس بن عبادة بن نضلة: (« والله الذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا »، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم» قال: « فرجعنا إلى مضاجعنا ونمنا عليها حتى أصبحنا ») [2]

وهكذا التقى هذا الوفد برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزاده هذا اللقاء قوة ونشاطاً وإيماناً بالله سبحانه، وعقدوا العزم على نصرة الإسلام مهما كانت النتائج والأخطار على الأنفس والأموال، ورجعوا إلى يثرب وهم أكثر يقينا بنور الإسلام، وأكثر حباً لله ورسوله من متاع الدنيا الزائل، وعملوا على ازدياد ظهور الإسلام، فدخل خلق كثير في هذا الدين الحنيف، وبلغت أخبارهم الآفاق شعراً ونثراً مع الوافدين والخارجين. ولقد اتبعوا في ذلك المؤثرات والقوى الوسيطة الفعالة [3] في تدعيم الاتجاهات الإسلامية في

---

(١) البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦١، ١٦٢.
سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤٥.
(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤٨.
دلائل النبوة جـ٢ ص ١٨٦، ١٨٧ البيهقي.
(٣) انظر الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٥٤٨ ـ ٥٥١، د. جهان رشتي دار الفكر العربي سنة ١٩٧٥ م.

المجتمع المدني والتي يمكن اقتباسها من قول الباحث الإعلامي كلابر بتصرف ومنها :

١ ـ الجماعات التي ينتمي اليها الفرد :
فمما لا شك فيه أن كل فرد فينا يتأثر بالجماعات التي ينتمي اليها وعاش وسطها ، وارتبط احساسه بالأمن والطمأنينة معها .

٢ ـ نشر مضمون الرسالة بالاتصال المواجهي المباشر . هذه الوسيلة الاعلامية المؤثرة التي أخذوها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وقد التزم بهذه الوسيلة الخطيرة[١] منذ بدء الرسالة إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

٣ ـ ممارسة قيادة الجماعة :
وتتجلى هذه القيادة في النقباء الذين اختارهم على قومهم ليلة بيعة الحرب في العقبة الثالثة .

لأن قائد الجماعة يوفر الوقت ، ويلفت النظر للمسائل الهامة والتعريف بوجهات النظر الجديدة .

وبذلك أصبحت يثرب بفضل التحرك الاعلامي الواسع للأنصار ، قاعدة أمينة لانطلاق الدعوة الإسلامية ، واستقبال صاحبها صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه المهاجرة خلال أشهر قليلة من بيعة الحرب .

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص٧٨ ، د . عبداللطيف حمزة .

الفصل الرابع

الآثار الإعلامية للوفود الخارجية

قدرة الاعلام الإسلامي على تجاوز الأزمات:

عجزت أباطيل قريش من التعتيم على نور الإسلام بين جموع الناس في مكة، التي امتلأت أركانها بصوت الحق. فدخل الناس في دين الله تعالى سراً وعلانية، وانطلقت أخبار الدين خارج الحدود مع التجار والحجيج، واشرأبت الأعناق للوصول إلى حقيقة هذه الأخبار. فحزن الملأ من قريش، وقد خاب كيدهم، وعجز مكرهم، فوسوس لهم الشيطان الاستعانة بخبرة يهود يثرب وهم أهل مكر وشر ودهاء وخبث، وأهل كتاب ودراية وخبرة في معاندة الأنبياء وقتالهم، ظناً منهم أن ذلك يقضي على دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، ولكنهم يمكرون ويمكر الله تعالى والله تعالى خير الماكرين، فكان عملهم هذا اتساعاً لقاعدة الاتصال الجماهيري بالجزيرة العربية لهذا الدين، بل عبارة عن رسائل واقعية للمعلومات والأخبار التي تنشرها وسائل الاعلام في ذلك الزمان عن الأحداث المختلفة سواء أكانت هذه الأخبار صادقة أم كاذبة من جانب عدو الدين الجديد، على مجموعات كبيرة من الناس.

وهنا يمكن التساؤل ما هو هدف قريش واليهود من هذا الاتصال؟ وما هي النتيجة أو رجع الصدى من المستقبل إلى المرسل بعد بيان الحقيقة.

أرادت قريش ويهود من هذا الاتصال إحراج صاحب الدين الجديد ومحاولة تكذيبه أمام الناس، فجاءت يهود بأسئلة لا يعرفها العرب ولا يعلمها إلا نبي مرسل عن أصحاب الكهف والرجل الطواف وأمر الروح.

وشاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن تتأخر الإجابة، فانطلقت ألسنة الكفر والشرك بمختلف الأساليب الدعائية اللاأخلاقية كالكذب والتعريض وغيره، وبخبث الدعاية الهدامة لمهاجمة الدين الجديد والتنديد بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والقضاء على اعتباره، حتى كادت الأرض تضيق بما رحبت على المسلمين، حيث أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، حتى أحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلّم به المرجفون من قريش ويهود.

في هذه اللحظات الحرجة نزل القول الفصل، والاجابة الصادقة لما سألت عنه قريش أحبار يهود. فبهت القوم أمام الآيات البينات، وكان صداها رادعاً للنفوس الخبيثة الماكرة، وانفرجت دائرة الحق، وزلزلت عرش الكذب والضلال والمكر والدهاء.

وصدرت دعوة الحق للقرى والمدن وتناقلتها الألسن وحملتها القوافل، لكل مكان بالجزيرة العربية. فاتجهت الأنظار إلى مكة وتتابعت الوفود الداخلة والخارجة منها فيما يتعلق بهذا الدين الجديد.

استعانت قريش بأحبار يهود وبالكذب على قبائل العرب لتضييق الخناق على الدعوة الإسلامية ولكن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله. فكانت النتيجة خلاف خططهم وانتشرت أخبار الإسلام في أرجاء الجزيرة وخارجها، وقدم وفد نصارى نجران وهم أهل كتاب كأحبار يهود فآمنوا. وتهجم الملأ من قريش بالشتم والتحقير على وفد مسلمي نجران، فردوا عليهم رداً جميلاً.

الزمان والمكان المناسبان لهجرة الكلمة الإسلامية:

أراد رسول الله ﷺ أن تكون هجرة الحبشة أول اتصال اعلامي إسلامي خارج الجزيرة العربية ورغب اصحابه في ذلك لأسباب منها:

١ - المعاملة الطيبة لنصارى جزيرة العرب ولين قلوبهم وطيب أخلاقهم وعلاقتهم بنصارى الحبشة، حيث يجمعهم المذهب اليعقوبي [١]، وكان قسس نجران يردون أسواق العرب ويعظون ويبشرون بدينهم، ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار بكل حرية وأمن.

وهكذا كانت بعوث النصرانية في الجاهلية وسائل اتصال بين العرب والأمم والمدنيات المجاورة وتعتبر الحبشة مرجعهم الأعلى.

٢ - وهي أرض صدق كما وصفها الرسول ﷺ حيث أنهم أهل كتاب ورسالة سابقة تذكر أوصاف نبي آخر الزمان واسمه وبلده بين جبال فاران [٢] (مكة).

٣ - ملكها الذي لا يظلم عنده أحد.

٤ - قصة أصحاب الفيل وآثارها النفسية ليست ببعيدة عنهم والتي وقعت أحداثها حول بيت الله الحرام حيث ظهر الدين الإسلامي ورسوله محمد الذي ذكر عندهم.

٥ - صلات الأحباش التجارية والعسكرية بجزيرة العرب، ومعرفتهم لأخلاق العرب من تفرق وتناحر لأتفه الأسباب مما يترك أرضية صلبة أمام أي حكم منهم للنظر في أي خلاف أو نزاع بين العرب.

وبهذه الهجرة يكون الرسول ﷺ قد اختار الزمان والمكان لانطلاق

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص٢٣ د. عبداللطيف حمزة.

(٢) خاتم النبيين العهد المكي ص ٣٣٢ الشيخ أبو زهرة.

دعوة الإسلام، وإعلام الناس بها، بل لو دققنا النظر والفكر لوجدنا الفئة المهاجرة من كبار الصحابة وذوي السبق في الإسلام أمثال عثمان بن عفان والزبير بن العوام وأبو حذيفة ومصعب بن عمير وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم وغيرهم ممن امتلأوا بالايمان الى مشاشهم. انهم رجال صدق وحكمة وعلم، أنار الإسلام قلوبهم فعرفوا كيف الوصول إلى قلوب الآخرين.

ولم يترك المهاجرة دون تنظيم بل كان عليهم عثمان بن مظعون ثم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما. فالإمارة والأمير في هذه الاحوال ضرورة إعلامية في المجتمع للتخطيط والانطلاق والدفاع عن الدعوة بالأساليب الاعلامية المناسبة، القائمة على الخبر الصادق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاخلاص والصدق مع الله سبحانه وتعالى، والالتزام بعرض القرآن الكريم بالحكمة والموعظة الحسنة، والخلق الفاضل، والمجادلة الحسنة الهادفة.

الدعاية المضادة وأساليبها:

أساليب إعلام الضلال تركزت فيما يلي:ـ

١ ـ الاستعانة بمكر وخداع أحبار يهود يثرب.

٢ ـ الرشوة والكذب في مناظرة وفدها بالحبشة، وهو ما يعرف اليوم بالدعم والمصاريف المشجعة لرجال الإعلام ووسائله.

واتباع أخس أساليب الإعلام الكاذب للوصول إلى الهدف دون الاهتمام أو التأثر الخلقي بالنتائج المدمرة للخصم، كما قال عمرو بن العاص رحمه الله: «والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم»(١).

---

(١) خضراءهم: أي شجرتهم التي تفرعوا منها.

ومن الصور المشاهدة والمشابهة اليوم في عالمنا الإسلامي بل العالم أجمع في إعلام الضلال ما تذكره مجلة الدعوة: (ان الدول حالياً تدفع من خزائنها العامة ومن أموال الكادحين فيها كي تحرض المستأجرين من الاعلاميين على ايذاء الآخرين من المعارضين بالقول المطبوع والمسموع والمشاهد بل يذهب الأمر أحياناً إلى أبعد من القول حينما تحرض الحكومات بلا ضجة العالم على تصفية معارضيها بالرصاصات والقنابل والخناجر والسموم. حتى أضحى من الأمور المألوفة أن يستأجر الحكام وأصحاب الحول والطول بعض أصحاب الأقلام من الصحفيين المرتزقة وما أكثرهم بل يشترون دورهم الصحفية بكل محرريها لمدح المشتري وذم أعدائه، ويا لهوان الانسان حينما يتردى بقلمه ومواهبه إلى هذا الحضيض من أجل حفنة دنانير أو دولارات، ويا لهوان الحاكم حينما يبيع أعراض الناس ويشتري الصحف لنشر أخباره وتحركاته والدس والتشويش على الآخرين بماله وأموال المسلمين. عمر رضي الله عنه كان يشتري أعراض المسلمين من الحطيئة وحكام المسلمين يبيعون أعراض المسلمين ومعها أموال شعوبهم لشراء ذمم ومواهب ألف حطيئة وحطيئة وكل على شاكلته يعمل) (١).

٣ ـ الافتراء والتضليل والتخويف مع وفود العرب كما حدث مع الطفيل الدوسي.

٤ ـ التهجم والقذف والتحقير والتشهير أمام الناس كما حدث مع وفد نصارى نجران الذي أسلم. وذلك حتى يتلاعب بمشاعر الجموع الحاضرة ويبعث فيها الخوف والكراهية والكبرياء والاصرار على الباطل.

٥ ـ اتباع الاساليب الدعائية الغير أخلاقية (٢) والتي تعتمد على الكذب

(١) مجلة الدعوة السعودية العدد ٧٩٠، الاثنين ١٧ جمادي الأولي سنة ١٤٠١ هـ صفحة ٤٤.
(٢) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ٢٥٧ د. أحمد بدر.

المتعمد، والآراء الخادعة، والتجاهل المقصود لما عرفوه من صدق صاحب الدعوة وأمانته طوال حياته معهم، والوضوح الكامل في العداء للقضاء على الدعوة وأتباعها.

والملأ من قريش يروعهم انتصار الحق، وتدعيم خطاه، (فاتباعه لأسلوب السباب والسخرية القصد منه تطويع الرأي العام [1]، وتشتيت فكره وصرف اهتمامه عن الموضوعات الأصلية إلى جوانب تافهة فرعية وهي التركيز على تحقير الأشخاص والابتعاد عن القضايا الأساسية وجوهرها المنتصر) [1].

نتائج إعلام الضلال:

كانت نتائج إعلام الضلال فشلاً ذريعاً، وانكشافاً لزيفه وضلاله حتى أنه لم يكن ليستمر في أكذوبة إلاّ وفضحت بأسرع مما يتصورون وكذلك الأمر أمام كل خطة ماكرة أو دعاية مضادة حيث انكشفت بيقظة الإعلام الإسلامي، ودرايته بخطط أعدائه وقيامه على أسس توافق الفطرة والعقل والمنطق السليم.

أساليب الاعلام الإسلامي ونتائجه:

إذا نظرنا إلى آثار الوفود الخارجية لوجدناها صراعاً بين الحق والباطل، اتسع نطاقه عبر حدود الجزيرة العربية، وزادت قاعدة الاتصال الإعلامي للدين الجديد، وتكررت أخباره على مسامع الجماهير. وصاحبه يدعو الناس بخبرة، واخلاص، وصدق، وحكمة، وبساطة، وموعظة حسنة، وصبر وفعالية، مستشهداً بالمصدر الموثوق به وهو القرآن الكريم مع أهل الكتاب وغيرهم.

---

(١) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ١٨٥ د. أحمد بدر.

فامتلأت روح أصحابه بالايمان الصادق الصابر، والإحساس بالأمان والطمأنينة والثقة في كل ما يصدر عنه. فآثروا كلمة التوحيد على زينة الحياة الدنيا، ورفعوا رايتها عالية مدوية داخل الجزيرة وخارجها، حتى في أحلك الأحوال، وأخطر المواقف التي قد تقضي على خضرائهم. وصمدوا مع الحق وجاهدوا في سبيله، فكانوا المثل الواقعي المؤثر لإعلام إسلامي رشيد، كانت نتائجه في كل الأحوال انتصاراً متكرراً، واتساعاً، وذيوعاً، وانتشاراً للخبر الإسلامي.

الآثار الاعلامية لوفود يثرب:

تتابعت وفود يثرب على مكة في مواسم الحج والتجارة، والتقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، في كل مرة يعرض عليها الحق، ويقرأ القرآن الكريم، ويحبب إلى الإسلام ويرغب فيه.

وتتابع انتشار الايمان في قلوب الأنصار رضي الله تعالى عنهم وتمت المبايعة على نصرة الله سبحانه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وإذا أمعنا النظر فيما دار من محادثات بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الوفود، لوجدنا تأصيل إعلام إسلامي مميز، يجب على جميع الدعاة ورجال الإعلام اتباعه والالتزام به في السراء والضراء. ويقوم هذا الاعلام الإسلامي على أصول قوية متينة مستمدة من تعاليم الإسلام الخالدة وسيرة رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم وأهمها ما يلي:-

١ ـ الايمان الصادق بالدعوة، والعمل الدائب لنشرها، والابتعاد عن السلبية واختلاق الأسباب والحجج الواهية، لتبرير التقاعس عن الدعوة وحب الدنيا وشهواتها. كدعوى ضعف الحال وقلة المال، ورغبة السلطة، وغير ذلك من المفاهيم التي تجعل بضاعة الضلال رائجة على لسان معظم وسائل الإعلام في جاهلية القرن العشرين الميلادي.

ولكن الايمان الصادق بالدعوة هو القوة الدافعة إلى الأمام والتي لا تخشى في الله سبحانه لومة لائم حتى ينتشر الإسلام وتذيع أخباره في كل مكان حتى تصل إلى أندية الملأ من القوم، وخاصة التي تعج بالكبر والصلف والجبروت. ولنا في الصحابي الجليل أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه الذي حمل لواء الدعوة مع مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه في ربوع المدينة، أكبر دليل على صدق الايمان وخالص الفداء.

٢ ـ فنيّة الأسلوب الإعلامي:

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في نشر الخبر، أمر ضروري بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (١).

فتخير الأسلوب المناسب الذي يخاطب به رجل الإعلام الإسلامي المستمعين أو يكتب به اليهم مهم جداً، بحيث يتلاءم هذا الأسلوب مع طبيعة القراء والمخاطبين.

فها هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلاطف النفر الستة من الخزرج، بحوار اعلامي حقيقي، يدل على أنه يملك من الخبرة والعلم بمواقع الناس وأخبارهم وأحوالهم:

فقال لهم: « من أنتم »
قالوا: « نفر من الخزرج »
قال: « أمن موالي يهود »

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥.

قالوا: « نعم »
فقال لهم: « أفلا تجلسون أكلّمكم..... »
نعم هيأ النفوس لما يريد ثم استأذنها ليعرض عليها الحق.

٣ - الإخلاص في الدعوة والصدق مع الله سبحانه:

الإعلام الصادق مع الحق إعلام إسلامي، أما الإعلام الكاذب والذي يعتمد على أن الغاية تبرر الوسيلة، وعلى النفاق للزعماء والحكام فهو إعلام وضعي أرضي هابط بعيد عن الحق وأهله.

وأن طريق الجنة يا رجال الإعلام، ودعاة الحق، وعر وشاق لا يسير فيه إلا الشجعان في الحق واقامة العدل، وان سلعة الله سبحانه غالية لا ينالها إلا من يدفع الثمن كاملاً، ويسدد الحساب خوفاً من سؤال الله سبحانه.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا ان سلعة الله غالية، إلا ان سلعة الله الجنة »(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض »(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « ان الصدق يهدي الى البر، وان البر يهدي الى الجنة. وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا، وان الكذب يهدي الى الفجور، وان

---

(١) رواه الحاكم عن أبي بن كعب، وأخرجه الترمذي ح ٢٤٥٢ وقال حديث حسن.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

الفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[1].

وها نحن نرى الصدق الاعلامي في الدعوة الى الله سبحانه جلياً عندما حضر أسيد بن حضير الى مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين وهو آخذ بحربته، ومقبل عليهما، وعيناه يتطاير منهما الشرر والغضب. فلما رآه أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه قال لمصعب ـ قولة الداعي العارف بأهل زمانه ـ: « هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ».

نعم فالصدق لله سبحانه، والإخلاص له هو الأساس الاول للاعلام الاسلامي، ولنشر الدعوة بين الناس. بخلاف الاعلام البشري الأرضي الهابط، القائم على تبرير المصالح المشتركة وان كانت على الضلال.

الاعلام الاسلامي صادق لا يكذب أبدا، يميز بين الطيب والخبيث، ولا يمكن أن يصبح عنده الخبيث طيبا، والجبان بطلا، والظالم عادلا، وعدو الله سبحانه حبيباً وصديقا، والمنافق سياسياً محنكا.... بين عشية وضحاها.

الإعلام الإسلامي قائم على ميزان إلّهي عادل سامق، يضع كل فرد في مكانه بين الظلمات أو النور.

لذلك يجب على رجل الاعلام الاسلامي الصادق أن يجعل ميزانه الحساس للصلاح والفلاح بين أفراد الأمة الاسلامية حاكماً ومحكوما، غنياً وفقيرا، عربياً وأعجميا، هو مدى اخلاص العبودية لله سبحانه الواحد القهار. ومن هذا المبدأ يجب أن تنطلق جميع وسائل الاعلام باعلان الخبر الصادق الذي يضع كل فرد في موضعه الذي يستحقه من صرح الأمة الاسلامية الشامخ. حتى تنتشر الفضيلة، ويقضي على الرذيلة التي يشجعها أصحاب الهوى، وحزب الشيطان من الحكام والمحكومين.

---

(١) متفق عليه.

٤ ـ تحمل الأخطار في سبيل الاعلام بالدعوة:

الابتلاء لصاحب الدعوة لا بد منه، وقد يصل الأمر الى الموت والهلاك. قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب﴾ (١).

فالابتلاء مما قضت به سنة الله سبحانه في الحياة، وقد أوذي أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة المكرمة أشد الأذى، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمرهم بالصبر والتحمل والثبات: «صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة».

ولقد رأينا ذلك مع مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنهما، في مقابلة الجهل والسفه والتعرض للقتل بالحكمة والحلم والعلم وصدق القول في المناقشة المثيرة والمقابلة الاعلامية الناجحة مع كل من أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهما فانضم كلاهما الى الاسلام. والسر في هذا هو الاخلاص لله عز وجل وفطانة الداعية، وتحمله للايذاء، وعدم الغضب السريع، وعرضه للدعوة بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، هذا هو روح الاسلام الذي يخضع بعض المعاندين بالاخلاق السامقة، والصبر العظيم، والكلمة الصادقة، فينقلبون دعاة للحق المبين.

٥ ـ الجهاد في سبيل الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٤.

والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [1].

ويقول الواحدي في سبب نزول هذه الآية: [2] (قال محمد بن كعب القرظي: « لما بايعت الأنصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا [3]، قال عبدالله بن رواحه: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: « أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم »، قالوا: « فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا »، قال: « الجنة » قالوا: « ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل »).

وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: [4] « انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق لرسولي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنه أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة ».

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل، قال: « مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » [5].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

---

(١) سورة التوبة آية ١١١.

(٢) أسباب النزول ص ١٧١ لابي الحسن الواحديّ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ - لباب النقول في أسباب النزول ص ١٢٦ جلال الدين السيوطي.

(٣) الصحيح هم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٥٤ - ٤٦٧.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

قال: « الا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله »[1].

أنواع الجهاد:

١ - جهاد الكلمة الصادقة ببيان شرائع الله سبحانه وتعالى، ودحض الأباطيل المفتراة على الاسلام، وكلمة حق عند سلطان جائر في قمة الجهاد.

٢ - جهاد المال بإنفاقه في وجوه الخير وخاصة على الغزاة والمجاهدين في سبيل الله عز وجل بشراء العتاد والسلاح والطعام وغيره.

٣ - الجهاد بالنفس بمقاتلة أعداء الله سبحانه وتعالى، وهو أعلى درجات الجهاد حيث يجود الانسان بنفسه رخيصة في سبيل الله تبارك وتعالى ولتكون كلمته هي العليا في الأرض.

ومجاهدة أعداء الله سبحانه باللسان والبيان من الواجبات الرئيسية لرجل الإعلام الاسلامي، وبمختلف الوسائل الاعلامية المتقدمة، ولا يجوز السكوت عن إعلان الحق وإبلاغه لأي سبب من الأسباب التي يختلقها المنافقون والمخادعون من أبناء الاسلام، بحجة المصالح المشتركة، وخضوعاً لمقاييس الإنسان الهابطة، وتنظيماته الفاسدة التي دمرت رابطة الاخاء الاسلامي وهدمت الخلافة الاسلامية الواحدة التي تجمعهم تحت راية التوحيد والاخلاص.

وقد يردد قائل كما نسمع اليوم قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾[2]. الآية.

ويقصد من وراء ذلك تبرير الهوان والقعود والذل والنفاق مع أعداء الله

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٢) سورة البقرة آية ١٩٥.

سبحانه وتعالى في الداخل والخارج. ويتعامى عن المقصود الأساسي لهذه الآية ولم يأخذ بها جملة واحدة.

ويقول الواحدي في سبب نـزولها:[1] (عـن الشعبي قـال: « نـزلـت في الأنصار، أمسكوا عن النفقـة في سبيـل الله تعـالى فـأنـزل الله سبحـانـه: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾).

ويقول السيوطي:[2] (أخرج أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي أيوب الأنصاري قال: « نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله سبحانـه الاسلام، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا، ان أموالنا قد ضاعت، وان الله سبحانه قد أعز الاسلام، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها، فانزل الله سبحانه يرد علينا ما قلنا » ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكه، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو).

نعم، التهلكة هي الإقامة على الأموال وتأمين تدفقها من أي طريق بـل وعبادتها وترك الجهاد والابتعاد عن أوامر الله سبحانه واتباع الهوى الذي أهلك من سبقنا كما أثبت واقع التاريخ والناموس الالهي على مدار الزمان.

وجهاد الكلمة أمر وسط يقتدره عامة الناس وهو المرتبة الوسطى من الايمان حيث يقول عليه الصلاة والسلام: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[3].

---

(١) أسباب النزول ص ٣٤ لأبي الحسن الواحديّ.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص ٣٧ لجلال الدين السيوطي.

(٣) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ص ١٦ حديث ٣٤ تحقيق الشيخ محمد الألباني طبعة ثانية دار العربية بيروت ١٣٩٢ هـ.

واذا أمعنا النظر في محادثات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد الأنصار في بيعة العقبة الثالثة والتي تسمى بيعة الحرب لوجدنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتف معهم بجهاد اللسان فقط وهم ما زالوا في بداية عهدهم وقلة عددهم بين قوى الكفر العارمة، بل بايعهم على الجهاد بالنفس وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم بالأرواح والدماء في سبيل نشر الاسلام.

فما حجة غالبية رجال الإعلان الآن، وقد ملئت الارض فسقاً ونفاقاً وفسادا، وضاعت الأمة بين أغوار الأكاذيب، ودهاليز النفاق، وحبال الأوهام بين الشرق والغرب، وخداع السياسة وأضاليلها، فعميت القلوب، ونشطت الاهواء ودمرت الشهوات الأخضر واليابس من الأخلاق وضاعت الأمانة وأعطيت لغير أهلها وانقلبت القيم على رؤوسها وأصبح الحرام حلالاً والحلال حراما، باسم الحضارة، والمدنية، والمصالح المشتركة، والمفاهيم الجنسية والعنصرية، وعدم التدخل في الشئون الداخلية حتى لو أبيد الاسلام والمسلمين.

فيا أصحاب الجاه والسلطان... ويا رجال الإعلام وأصحاب الأقلام، لكم في مواقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه الكرام رضي الله عنهم مثلاً أعلى في مجاهدة الباطل بالفكر واللسان والقلم والنفس والنفيس ابتغاء مرضات الله سبحانه ورضوانه. لأن مجاهدة الباطل هي السمة الأساسية التي يتميز بها الإعلام الاسلامي عن الاعلام الأرضي الهابط الفاسد... اللهم اني قد بلغت اللهم فاشهد.

البَـابُ الثّـالِث

إعلام إسْلاميّ في ضَوء الوُفوُد

الفصل الأول: مصادر الاعلام الاسلامي.
الفصل الثاني: قواعد الاعلام الاسلامي ومميزاته.
الفصل الثالث: أساليب الإعلام الاسلامي.
الفصل الرابع: وسائل الاعلام الإسلامي.

الباب الثالث

إعلام إسلامي في ضوء الوفود

الإعلام الإسلامي هو توصيل الحق وبيانه، وتبشير المهتدين بهديه، وإنذار المعرضين عنه، قال تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين﴾ (١).

ومعنى التبشير في الإعلام تهيئة الأذهان لبيع النفس لله سبحانه بالجنة، وإنارة الطريق أمام التفكير الأرضي الهابط الى تفكير واعتقاد سماوي سامق. فالإعلام الإسلامي هو وسيلة للارتقاء بالمعتقدات، وتخليصها من الخرافات والأوهام والأباطيل، كما أنه وسيلة لتوسيع نطاق البلاغ المبين، وتنويع الفرص للصدع بالحق بين العالمين. والإعلام الإسلامي ليس انتقالاً جاهلاً من مرحلة الى أخرى، ولا انقلاباً بشرياً هابطاً بأهدافه المادية الشهوانية. ولكن الإعلام الإسلامي نهضة مبصرة، وتفكير خال من العبودية الا لله سبحانه، يتجه رأساً الى قلوب الناس ونفوسهم وأفكارهم، لأنه يخاطب الفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها، فيخرجها من ظلمات الشيطان الى نور الإيمان.

---

(١) سورة هود آية ٤٩.

قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [١].

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «انما يولد المرء على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه» [٢].

---

(١) سورة الروم آية ٣٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب ٢٣ باب ٨٠ ـ ٩٣.
صحيح مسلم كتاب ٤٦ حديث ٢٢.

الفصل الأول

مصادر الإعلام الإسلامي

ان مصادر الإعلام الإسلامي الأساسية هي الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى على رسوله الأمين محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم. وما يستنبط منه لتوجيه الأمة وتبصيرها لسبل الخير في الدنيا والآخرة، وما يرتبط بذلك من تجارب نافعة لتقويم الاعلام الى النهج السليم. ويمكن تحديد المصادر فيما يلي: -

القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وسيرة السلف الصالح، واجتهادات الأئمة والفقهاء، والتجارب العملية في ميدان الدعوة الاسلامية، وعلى ذلك يقوم الاعلام الاسلامي المنشود.

أولاً: القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تتعلق بالإعلام ووسائله وأساليبه، بل ان القرآن الكريم هو الخبر الصادق المرسل مع الروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام، على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليكون للناس بشيراً ونذيرا. والتبشير إعلام بالخير، والإنذار إعلام بالخطر. والقرآن الكريم هو المصدر الأول لثقافة المسلمين، والنور المبين للدخول الى قلوب الناس ومشاعرهم لأنه تناول مشاكل الناس وهمومهم، وخاطب العقل بما يحقق

الإيمان والتوحيد، وأمر المسلمين أن يبتغوا الى الله سبحانه الوسيلة. وان القرآن الكريم طلب من معارضي الدعوة أن يأتوا بما لديهم من أدلة على وجهة نظرهم قال تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾ (١) وذلك في جداله الحسن مع أهل الكتاب، وقد تكرر هذا الطلب في الحوار الطويل مع المشركين قال تعالى: ﴿أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾ (٢).

وان القرآن الكريم مليء بالأخبار والقصص والأنباء والتبشير والانذار بل هو في مجموعه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا.

قال تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ (٣) والانباء هو الاعلام بكلام الله عز وجل وهو من وظيفة الانبياء والرسل.

وقال تعالى: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (٤).

﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ (٥).

﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن

---

(١) سورة البقرة آية ١١١.
(٢) سورة النمل آية ٦٤.
(٣) سورة ص آية ٦٧، ٦٨.
(٤) سورة البقرة آية ٣٣.
(٥) سورة القمر آية ٢٨.

أمركم عليكم غمة ثم اقضوا اليّ ولا تنظرون﴾ (١).

ومن نماذج الإعلام للدعوة الاسلامية قوله تعالى: ﴿قل انما يوحى اليّ أنما إلهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ (٢). أي أعلمتكم بما عندي فأصبحنا جميعا أنا وأنتم سواء في معرفة الحق والعقيدة التي أنادي بها، فان انصرفتم بعد ذلك فعن تجاهل لا عن جهل، اذ أني أفرغت جهدي في البلاغ المبين وإعلان الحق.

وان القرآن الكريم يشتمل على آيات كثيرة أخرى يستفاد منها كقواعد وأساليب للاعلام الاسلامي ووسائله للصدع بالحق، والتي يجب على رجل الاعلام المسلم أن يفقهها كما يتفقه أمور الدين الأخرى لأن الله سبحانه وتعالى ما قصها علينا وأخبرنا بها الا لنستفيد منها، بما يفتح لنا أبواب الدعوة الى الله سبحانه، ونلتزم بنهجها الذي فيه الفلاح والصلاح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ (٣).

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله سبحانه حزبه المؤمنين وخذل اعداءه الكافرين كل هذا ما نثبت به فؤادك يا محمد عليه الصلاة والسلام أي قلبك ليكون لك بمن مضى من اخوانك المرسلين اسوة) (٤).

---

(١) سورة يونس آية ٧١.
(٢) سورة الانبياء آية ١٠٨، ١٠٩.
(٣) سورة هود آية ١٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٦٥.

والقرآن الكريم منتظم بالمواقف والحوادث والرسائل، وهذا كله مادة حية للاعلام الحق والبلاغ المبين. وينتظم في هذا المفهوم الإعلامي الإسلامي واجب أداء البلاغ المبين، لايقاظ البشرية وتخليصها من الشر في الدنيا ومن النار في الآخرة وتوجيهها الى طريق الخلاص قبل فوات الأوان.

قال تعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾ (١).

والانذار هو أول طريق الداعية، وهو إعلام بالخطر القريب المحدق الذي يترصد للغافلين السادرين في الضلال الذين يخوضون ويلعبون وهم لا يشعرون.

وربك فكبر: (٢) (إعلان بأن الله وحده الكبير والذي يستحق التكبير، وان كل أحد وكل شيء وكل قيمة، وكل حقيقة... صغير... والله سبحانه وحده هو الكبير المتعال على خلقه). وهذا التوجيه يقرر جانباً من التصور الايماني بمعنى الألوهية، ومعنى التوحيد الصادق الذي يجب أن يكون الصفة الأولى لرجل الإعلام الاسلامي، ليواجه نذارة البشرية وإعلامها بالبلاغ المبين، بهذا التصوير وبهذا الشعور، فيستصغر كل كيد وكل عقبة، وهو يستشعر أن ربه الذي دعاه ليقوم بهذه النذارة هو الكبير وحده... وان مشاق كلمة الحق، وأهوال الإعلام الحق الصادق في حاجة دائمة الى استحضار هذا التصور الايماني وهذا الشعور الرباني.

ويورد عبداللطيف حمزة (٣) تعليقاً للأستاذ عبدالوهاب حمودة على هذه

---

(١) سورة المدثر آية ١ ـ ٧.

(٢) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب.

(٣) انظر الاعلام في صدر الإسلام ص ١١٠ د. عبداللطيف حمزة دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٨ م.

الآيات يتلخص في أن نجاح أي دعوة من الدعوات انما يكون بالاتصال المباشر بشرط أن يتسلح الداعي بأسلحة ثلاثة:

١ ـ سلاح العقل الذي يهدي صاحبه إلى الدعوة الجديدة أو العقيدة الصحيحة وهي هنا في سورة المدثر عبادة الله سبحانه وحده ونبذ عبادة الأصنام المادية والمعنوية.

٢ ـ سلاح النفس أي تحريرها من الأخلاق السيئة والعادات الذميمة التي عليها العرب وغيرهم في جميع الجاهليات السابقة واللاحقة.

٣ ـ سلاح البدن وذلك بحمايته من الآثام التي تهلك الأجسام وتهدد كيانها، وتوهن من قوتها، فلا يستطيع صاحبها أن يقوم برسالة أو ينشر دعوة.

وأضاف اليها الدكتور عبداللطيف حمزة سلاحاً رابعاً له أهميته وخطره في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وهو سلاح الصبر لقوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾، وبدونه لا يستطيع نبي أن يؤدي رسالته ولا يقوى زعيم من الزعماء أو أي داعية من الدعاة أن ينفذ خطته بأمن وسلام.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم (أكبر مصادر الإعلام الإسلامي بما جاء فيه من قيم ومفاهيم جديدة تختلف كل الإختلاف عن قيم ومفاهيم كل جاهلية، بل كان من أنجح وسائل الإعلام في الإسلام على وجه الاطلاق)[1].

ولهذا رأينا وفود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجعلون القرآن الكريم وسيلتهم الأساسية في الدعوة والإعلام، منهجاً وأسلوباً لنشر

---

(١) انظر الاعلام في صدر الإسلام ص ٥٧ د. عبداللطيف حمزة.

الإسلام، كما فعل مصعب بن عمير رضي الله عنه في المدينة المنورة حيث كان يقرأ القرآن على مسمع كل من يدعوه للاسلام، فتشرق الوجوه وتنطق الألسنة: ما أحسن هذا الكلام وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟، كما حدث مع كل من أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهما.

ثانياً: السنة النبوية:

كل ما ورد عن رسول الله ﷺ بالرواية الصحيحة أخبار صادقة وبيان إعلامي شامل، للسلوك الأمثل، والعبادة الخالصة لله سبحانه، وعمارة الأرض تحت راية لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينطق عن الهوى انما هو وحي يوحى، وان السيرة النبوية المطهرة وما جرى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة والمدينة، وكيفية معالجته للأحداث والظروف والمواقف الحرجة التي واجهته، كل ذلك يعطي رجل الإعلام الإسلامي مادة غزيرة جداً في أساليب الدعوة إلى الله سبحانه واعلام الحق على الناس بصدق كامل، وإخلاص تام، لأن صوت الإسلام في ميدان الإعلام يجب أن يكون جهيراً، فإن لصاحب الحق مقالاً، وان التعريف بالله سبحانه والاخبار عن دينه الحق، قضية لا تعالج بفتور وضعف وذلة.

وإذا كان هناك من يعتبرون الالحاد والنفاق ذكاء وتقدماً، ويبذلون في سبيل نشره جهوداً مضنية مكثفة، فإن حملة الدعوة الإسلامية أجدر أن يكونوا أطول نفساً، وأشد غيرة، وأرسخ قدماً، وأعنف رداً على الباطل.

قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله، لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن

القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾[1].

ومن أجل هذا حملت (خطب[2] النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأحاديثه طابعين في وقت واحد وهما:

١ ـ طابع التعليم والإرشاد والهداية.

٢ ـ طابع التبشير والدعوة والدعاية.

وأكبر شاهد على الطابع الأخير أحاديثه ﷺ في موضوع الجهاد ومنها قوله: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[3].

وقوله ﷺ: «ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلاّ جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون دم والريح ريح مسك»[4].

وغير ذلك من الأحاديث التي لها أثر عميق في نفوس الأمة الإسلامية أكثر مما تركه أية وسيلة أخرى من وسائل الاعلام).

وما من حالة يكون فيها رجل الاعلام الاسلامي، أو أحداث تواجهه، ومواقف تعترضه، إلاّ ويوجد نفسها أو مثلها أو شبهها، أو قريب منها، في سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فيستفيد منها الأسلوب الصحيح والموقف السليم الذي يجب أن يقفه، إذا ما فقه معاني السيرة النبوية.

وقد يكون من حكمة الله سبحانه ولطفه أن جعل رسوله الكريم صلى الله

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٥.

(٢) انظر الاعلام الإسلامي في صدر الإسلام ص ٥٨ ـ ٦٤ د. عبداللطيف حمزة.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

تعالى عليه وسلم يمر بما مر به من ظروف، وأحوال، وأحداث، حتى يعرف رجال الإعلام المسلمون كيف يتصرفون، وكيف يسلكون في أمور الدعوة إلى الله سبحانه، وإعلان الحق، وإعلام الناس كافة به، لا يخشون في سبيل الله سبحانه لومة لائم، اقتداء بسيرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لأنها التطبيقات العملية لما أمر الله سبحانه به رسوله عليه الصلاة والسلام في أمور الدعوة والبلاغ المبين.

وقد كانت السنة النبوية نبراساً يهتدي به وفود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تصرفاتهم ودعوتهم وإبلاغهم للحق، وحوارهم مع المتلقين كما حدث مع جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الحبشة، في الموقف الحرج الذي وضعه فيه عمرو بن العاص أمام النجاشي بقوله: «أيها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، انهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد»[1].

فاجتمع وفد المسلمين ثم قال بعضهم لبعض: «ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه»، قالوا: «نقول والله ما قال الله سبحانه فيه وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن»[2].

فلما دخلوا عليه قال جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

ثالثاً: سيرة السلف الصالح:

في سيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان رضي

---

(١) (٢) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص٣٣٧ مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة، طبعة ثانية سنة ١٧٧٥ هـ.

الله تعالى عنهم أجمعين، محيط زاخر بسوابق مهمة، ومواقف اعلامية سامقة في أمور الدعوة إلى الله سبحانه، لأن السلف الصالح كانوا أعلم الناس بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله سبحانه.

وما أشد ما يحزن قلبي اليوم، من ضياع الأمانة، وتولية الأمور لغير أصحابها، من حكام ظالمين في ديار الإسلام، دمروا الأمة المسلمة، وفرقوا الجماعة بالاعلام الفاسد المنافق الذي يسبّح بضلالهم ليلاً ونهارا.

وأن سير السلف الصالح خضم عظيم للبلاغ المبين الصادق، تعجز أمامه الأفهام الأرضية الهابطة، فعلى رجال الاعلام والدعوة الاقتداء بهم، ومتابعة أخلاقهم وسلوكهم وأساليبهم في نشر كلمة الحق والتوحيد، لتكون كلمة الله سبحانه هي العليا بين العالمين.

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت العيون» فقلنا: «يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا» قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» (1).

وعن أبي بردة عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال: ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «النجوم أمنة (2) السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (3).

---

(1) أخرجه أبو داود حديث ٤٦٠٧، واخرجه الترمذي حديث ٢٦٧٨ واسناده صحيح.

(2) أمنة: جمع أمين وهو الحافظ.

(3) مختصر صحيح مسلم ص٤٦٤ حديث ١٧٤١ تحقيق الشيخ محمد الالباني المكتب الإسلامي، دمشق، طبعة ثانية سنة ١٣٩٢ هـ.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «ان خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (قال عمران فلا أدري كررها مرتين أو ثلاثا) ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «من كان منكم متأسياً فليتأسى بأصحاب محمد صلّى الله تعالى عليه وسلم، فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فانهم كانوا على الهدى المستقيم»[2].

فأين نحن الآن من البيان الاعلامي لابن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى عماله وأمرائه يتعهدهم بالنصح والإرشاد، وعلى رؤوس الأشهاد حيث يقول:

(اني لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم، وقال للناس: أيها الناس والله ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أعشاركم، ولكن أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك، فليرفعه اليّ، فوالذي نفس عمر بيده لأقضين له منه)[3].

نعم أقوال وأفعال قادت السلف الصالح رضوان الله عليهم الى مدارج العلياء والسيادة والقيادة في الدنيا والآخرة. لذلك من أهم واجبات رجال

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٤٦٤، ٤٦٥ حديث ١٧٤٣ تحقيق الشيخ محمد الالباني.

(٢) جامع العلم ج ٢ ص ٩٧ لابن عبد البر.

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٢ د. محمد الشعفي الطبعه الثانية سنة ١٣٩٩ هـ.

الاعلام الاطلاع على سجلات الفخر والنور لسلفنا الصالح، والتي ملئت بالأقوال والأعمال الصادقة والمثل العليا التي يجب غرسها في روح الأمة الاسلامية حتى تبعث من جديد من الوهن الذي تعيش فيه.

ورجال الاعلام يجب أن يكونوا هم حملة الرأي الصائب لهذه الأمة، حتى تستيقظ من غفلتها، وتغير اتجاهاتها الفاسدة التي تسير عليها الآن، وتعود الى أمجادها باتباع سيرة سلفنا الصالح في الحياة.

لهذا نرى ضرورة النظر الى سيرة السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم باعتبارها تأسياً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا ريب أن هؤلاء السلف قد تركوا لنا في سيرتهم ما يؤكد أنهم قد استفادوا من أسلوب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مع الوفود.

فكانوا حسب مواقعهم ومراكز مسؤلياتهم وفوداً للاسلام أو موفدين عنهم من يبلغ رسالة الاسلام، وينشرها في الآفاق. مما يجعل دراسة سيرتهم إثراء لثقافة الداعية ورجل الاعلام لأنها يمثلان الوفود الاسلامية حيث وجدا.

ويا لها من عبرة عظيمة وأسوة رائدة، نراها في أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنفسهم، حيث يوصون بضرورة التأسي والاتباع لمن سبقهم، فها هو الصحابي حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يقول: «اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، والذي نفسي بيده لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سبقا بعيدا، ولأن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا» (١).

لذلك فالأجدر بنا وقد بعدت الشقة بيننا وبين الحق أن نعود اليه، وأن

(١) جامع العلم ج ٢ ص ٩٧ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي.

نتأسى ونقتدي بالسلف الصالـح الذيـن نشروا الإسلام في مشـارق الأرض ومغاربها .

رابعاً : استنباط الفقهاء :

العلماء والفقهاء هم ورثة الأنبياء لذلك تقع عليهم مهمة استنباط الأحكام الفقهية وفهمها من أدلتها الشرعية ، لتنير الطريق أمام الصدع بالحق ، وإعلان التوحيد ، وإعلام الناس وهدايتهم فيما يتعلق بأمور الدعوة الى الله سبحانه وتعالى ، كأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد والحسبة ، ورفع الظلم وإقامة العدل بين الناس . وقد أفردوا لهذه الأحكام أبواباً كثيرة خاصة في كتبهم الفقهية ، يجب على رجال الاعلام الرجوع اليها لتصحيح مسيرة الاعلام ، وعدم تضليل الأمه بأهواء الحكام والمنافقين الذين استحبوا متاع الدنيا الزائل على نعيم الآخرة المقيم .

ولا شك أن استنباط الفقهاء قد وصل الى مهمة الوفود ، فاتخذ منها الأدلة على الكثير من قضايا البعوث والرسائل والوفدات في عصورهم ، فأباحوا ما استباحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم لوفوده من الاتباع والاجتهاد ، وحرموا ما حرمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على وفوده من الابتداع أو اتباع الهوى ، بإحلال حرام أو تحريم حلال بالشبهـة البـاطلـة ، والتـأويلات الفاسدة كما حدث مع عامله على الصدقات :

قال أبو حميد الساعدي رضي الله عنه : « استعمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم رجلا من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبيه فلما جاء حاسبه قال : هذا مالكم وهذا هدية . فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا »[١] .

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٣٣٠ حديث ١٢١٥

خامساً: التجارب:

الاحتكاك والتجربة خير معلم للانسان لا سيما لمن يعمل مع الناس، ويتفاعل معهم ويبحث أحوالهم ومشاكلهم. ولرجل الاعلام الاسلامي تجارب كثيرة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه تستمد قوتها من الإيمان بالله العلي الكبير الذي يؤمن به ويتوكل عليه، ويعتقد أنه معه حيث كان، وأنه ناصر المؤمنين، وخاذل المبطلين المنافقين. قال تعالى: ﴿اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ (١).

وهذه التجارب تستمد نموها وتكاملها من منهل التوحيد الخالص الذي يعتنقه، ويجاهد من أجله. فهولا يعمل لشهوة عارضة، ولا لنزوة طارئة، ولا لمنفعة شخصية، ولا لعصبية جنسية جاهلية ولا للبغي على أحد من البشرية. ولكن رجل الاعلام الاسلامي يعمل ويجاهد للحق الذي قامت عليه السموات والأرض، والحق أحق أن ينتصر، والباطل أولى أن يزهق ويندثر، قال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (٣).

دخل ربعي بن عامر رضي الله عنه رسول سعد بن أبي وقاص في حرب القادسية، على رستم قائد جيوش كسرى، وحوله الأتباع والجنود، والفيلة الضخام، والحديد، والفضة والذهب، فلم يبال بشيء منها، دخل عليه بقلب يملؤه الحق، وجسد تغطيه ثياب خشنة، وبيديه ترس غليظ، ورمح يخرق به الأرض وما عليها من فاخر السجاد.

---

(١) سورة الانفال آيه ٤٩

(٢) سوره الانبياء آيه ١٨

(٣) سورة الاسراء آيه ٨١

فقال رستم: « من أنت.... وما أنتم ».

فقال له في بيان اعلامي تاريخي فاصل: (نحن قوم ابتعثنا الله سبحانه لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله عز وجل وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الإسلام) [1].

قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم. الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور. والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [2].

ولا شك أن العالم الاسلامي لا تنقصه الموارد المالية، ولا سمو المبادىء وأصالتها، حيث أنها الوحي المنزّل من الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد بن عبد الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم. ولكن يلاحظ في نفس الوقت وللأسف الشديد ان رجل الاعلام الاسلامي الصادق في ميدان الدعوة الى الله سبحانه يمثل نسبة ضئيلة جداً ومحدودة بين رجال الاعلام العاملين في مختلف الوسائل الاعلامية. واننا في حاجة ماسة الى دراسة مقارنة لجميع التجارب والمواجهات التاريخية، وأساليب الأطراف المعادية للاسلام من الشرق والغرب حتى نستطيع وقف هذه الأبواق ودحض دعواتها الهدامة، المضللة للبشرية.

وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، فعلى رجل الاعلام الاسلامي أن يستفيد من تجاربه الخاصة، ومن تجارب الآخرين في مجال العمل الاعلامي.

---

(١) انظر الايمان والحياة ص٢٦٩ د. يوسف القرضاوي. الرسالة بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ.

(٢) سورة البقرة آيه ٢٥٧، ٢٥٨

وتطويعها لخدمة المبادىء الاسلامية. فإن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنّى وجدها، ولا يبالي من أي وعاء خرجت، ما دامت تسير في موكب الاسلام لرفع راية التوحيد على رأس البشرية في كل مكان.

الفَصْلُ الثَّاني

قَوَاعِدُ الإعْلامِ الإسْلامِي وَمُمَيّزاته

الكلمة الطيبة كالنسمة العليلة في صدر الانسان، تبعث فيه الابتهاج والسرور والحياة، كالطعام الحلال الذي ينبت الجسد المبارك للجنة الفيحاء. وإن للاعلام الإسلامي أسساً وقواعد هامة لا بد لرجل الإعلام الإسلامي أن يتربى عليها، ويترعرع فيها، ويمتزج بها دمه وقلبه وعقله، حتى تنجو الأمة الاسلامية من الهلاك والدمار والخراب الفكري والخلقي الذي بنتظرها، بل الذل والعبودية لحزب الشيطان في مشارق الأرض ومغاربها. كما نرى ونسمع ونقرأ اليوم في وسائل الإعلام المعاصر التي تعج بالمضمون الإعلامي الفاسد.

وهذه القواعد هي كما يلي:ـ

(١) الفقه في الدين:

العلم قبل العمل هو الأساس الأول للدعوة الإسلامية، وانطلاق الاعلام الاسلامي. قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلّبكم ومثواكم﴾ (١).

فالعلم ضرورة لكل عامل صادق، حتى يعرف طريقه، ويعلم ما يقصده

---

(١) سورة محمد آية ١٩.

حتى يصل اليه. ويجب على رجل الاعلام الإسلامي أن يكون على بصيرة وعلم بما يدعو اليه، وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم بدينه أصبح جاهلاً بما يريده، ووقع في الخبط والخلط، والقول على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كذباً وبهتانا، عندئذ تقع الطامة الكبرى على الأمة فتضل وتهلك.

وإذا نظرنا إلى أول سور القرآن الكريم، لوجدنا أنه في اللحظة الأولى من اتصال جبريل الأمين عليه الصلاة والسلام، وفي بداية طريق الدعوة إلى الله سبحانه، حمل التوجيه الرباني لخاتم النبيين أن يقرأ باسم الله عز وجل حيث قال: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ (١).

(بدأ باسم الرب الخالق (الذي خلق) ثم خصص خلق الإنسان ومبدأه: خلق الانسان من علق.. من تلك النقطة الدموية الجامدة الحقيرة العالقة بالرحم، حتى يعرف الانسان ضعفه، ويعلم بذله وهوانه، فأكرمه الله سبحانه برفعه من هذا العلق المهين إلى درجة الانسان القويم، الذي يعلّم فتعلّم ما لم يعلم بقدرة الله سبحانه: ﴿إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم،علّم الإنسان ما لم يعلم﴾. وهنا تبرز حقيقة التعليم الرباني بالقلم لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم في حياة البشرية. والله سبحانه يعلم قيمة القلم فأشار اليه في أول لحظات الرسالة الخاتمة، مع أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلّم لم يكن كاتباً بالقلم، وهذا دلالة على صدق الرسالة وأنها الوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، وإلا ما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى الحاسمة.

---

(١) سورة العلق من آية ١ ـ ٥.

ثم تبرز هذه الآيات مصدر التعليم... ان مصدره هو الله سبحانه وتعالى، منه يستمد الانسان كل علم وكل ما يفتح عليه من أسرار هذا الوجود والحياة بل أسرار نفسه. وبهذه الآيات وضعت قاعدة التصور الايماني الأولى التي يجب أن يفهمها رجال الاعلام:

كل أمر، وكل حركة، وكل عمل، وكل كلمة، يجب أن تبدأ باسم الله سبحانه، باسم الله سبحانه تسير وإليه تتجه) [1].

ولأهل العلم فضل ودرجة نطق بها القرآن الكريم، وأكدتها السنة النبوية.

قال تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [2].

وقال سبحانه: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [3].

بل إن الله سبحانه وتعالى استشهد بأهل العلم على توحيده وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة، وهذا فخر عظيم سامق، وتكريم للعلم والعلماء، لا تحده العقول. قال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [4].

ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» [5].

---

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب.
(٢) سورة الزمر آية ٩.
(٣) سورة المجادلة آية ١١.
(٤) سورة آل عمران آية ١٨.
(٥) الترمذي في كتاب ٩ باب ١٩ حديث حسن.

وقال: «ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»[1].

نعم فالعلم في الدين، يجعل من رجل الاعلام نوراً يشع بالخير في كل مكان، زاده التقوى، يشعر بغربته في الدنيا وقرب رحيله عنها إلى سفر بعيد لا يرجع بعده إلى دنياه ولا ينفع فيه إلا زاد التقوى.

قال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾[2].

وهذا الفهم لزاد التقوى، فقهه الصحابة الكرام، وأشربت به عقولهم وقلوبهم، فنشطت جوارحهم في العبادة والجهاد في سبيل الله سبحانه، ويقوم الفهم الدقيق للدين على تدبر معاني القرآن، واطالة النظر فيها، والتغلغل في مراميها ومقاصدها، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه ليتلوه الناس بفهم وتدبر وتذكر قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[4].

فإن تلاوة القرآن الكريم بتدبر وإمعان توحي بمعرفة نافذة ضرورية لرجل الاعلام الإسلامي في طريق إعلام الأمة وتربيتها لما يعود عليها بالفلاح والصلاح، وتجعله كأنه في الآخرة، وإن كان هو بالدنيا، وتريه الحق حقاً

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٤٩١ حديث ١٨٥٨ تحقيق الشيخ محمد الالباني، المكتب الإسلامي، دار العربية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ.
(٢) سورة البقرة آية ١٩٧.
(٣) سورة ص آية ٢٩.
(٤) سورة محمد آية ٢٤.

والباطل باطلا، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرْق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، وتمنحه قوة في قلبه لحب الآخرة، والعزوف عن الدنيا، فيقول الحق ولا يخشى في الله سبحانه لومة لائم. لأنه فهم كتاب الله عز وجل فهماً دقيقاً، فعرف غايته في الحياة، ومركزه بين الناس، وأعظم واجباته، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ (٢).

وهذا الفهم يؤدي إلى التجافي عن دار الغرور، والتعلق بالآخرة، والعمل المخلص لها.

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾ (٤).

فاذا تخلّص رجل الإعلام من جيفة الدنيا، وأفرغ ما في قلبه من سمومها، وأقبل على الآخرة ممتثلاً لقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» (٥).

لا يعيقه عندئذ تعب ولا نصب، ولا ألم، ولا سهر، ولا بذل، ولا

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.
(٢) سورة الحج آية ٧٧.
(٣) سورة فاطر آية ٥.
(٤) سورة النساء آية ٧٧.
(٥) رواه الحاكم في مستدركه، صحيح على شرط مسلم.

تضحية، عند مقارعة الباطل، بل يشعر بلذة وراحة، وعين قريرة في حب الله سبحانه، والجهاد في سبيله، ونشر كلمته في كل مكان.

وقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلّم يختار وفوده لإبلاغ رسالة ربه من أكثر الصحابة فقهاً في دين الله سبحانه، وفهماً لتعاليمه، وقدرة على توصيله وإبلاغه وتطبيقه.

أخرج الحاكم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم فقالوا: («ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن»، فأخذ بيد أبي عبيدة عامر بن الجرّاح رضي الله تعالى عنه فأرسله معهم وقال: «هذا أمين هذه الأمة») (١).

وأخرج أبو نعيم (عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعث معاذاً وأبا موسى رضي الله تعالى عنهما إلى اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن) (٢).

وكذلك الخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم كانوا يختارون أحسن الصحابة في بعوثهم ووفودهم. أخرج ابن سعد عن حارثة بن المضرب قال: (قرأت كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أهل الكوفة: «أما بعد فاني بعثت اليكم عماراً أميراً وعبدالله معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب الرسول ﷺ فاسمعوا لهما واقتدوا بهما واني قد آثرتكم بعبدالله على نفسي») (٣).

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك جـ ٣ ص ٢٦٧.
(٢) الحلية جـ ١ ص ٢٥٦ لأبي نعيم.
(٣) طبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٦.

(٢) الايمان العميق:

ما أشد حاجة الانسان إلى قوة تسند ظهره، وتشد أزره، وتأخذ بيده، وتذلل له العقبات، وتقهر أمامه الصعاب، وتنير له الطريق، وتجعله لا يرهب الموت، ولا يخاف الباطل، بل يقول كلمة الحق ولا يخشى في الله سبحانه لومة لائم.

ولن توجد هذه القوة المنشودة إلا في ظلال العقيدة الإسلامية ورحاب الايمان العميق بالله سبحانه وتعالى:[١] (فالايمان بالله سبحانه هو الذي يمدنا بروح القوة، وقوة الروح، فالمؤمن لا يرجو إلا فضل الله سبحانه، ولا يخشى إلا عذابه، ولا يبالي بشيء في جنب الله عز وجل، إنه قوي وإن لم يكن في يديه سلاح، غني وإن كانت خزائنه فارغة من الذهب والفضة، عزيز وان لم يكن وراءه عشيرة وأتباع، إنه راسخ الايمان وان ماجت سفينة الحياة بالموج الثائر من كل مكان).

وهكذا يجب على رجل الإعلام الإسلامي أن يتربى على الإيمان الراسخ الذي لا تزعزعه الأهواء والشهوات والمتاع الهزيل الفاني، بل يكون بإيمانه العميق بالله سبحانه أقوى من البحار والأمواج والعواصف البشرية الماكرة. وهذه القوة الفردية في إعلان الحق، مصدر القوة في المجتمع كله، وما أسعد المجتمع بالأقوياء الراسخين من أبنائه في عقيدتهم، وما أشقاه بالضعفاء المنافقين المهللين مع صوت الشيطان، الذين لا يخيفون عدواً، ولا ينصرون أخاً في الله سبحانه، ولا تقوم بهم نهضة صادقة، بل مثلهم كما قال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسنده يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [٢].

---

(١) الايمان والحياة ص ٢٦٧ د. يوسف قرضاوي.

(٢) سورة المنافقون آية ٤.

فرجل الإعلام الإسلامي يعلم يقينا بأن الإسلام الذي هداه الله سبحانه اليه، وأمره بالدعوة اليه، حق خالص لأنه هدى الله سبحانه، وما عداه باطل مارق، قال تعالى:

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون﴾ (٢).

وقال الله عز وجل: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٣).

نعم فإيمانه عميق ثابت لا يتزعزع مهما صادفته المحن والشدائد ومهما كان حاله من ضعف وذلة وقلة، ومهما كان حال الطغاة والظالمين والمنافقين والكفرة من قوة ومنعة، حتى لو بقي وحيداً في الميدان، لن يتزعزع ايمانه، ولن تتسرب إلى قلبه ذرة من الشك في كونه على الكلمة الطيبة، والحق المبين.

ثمرات الايمان:

ولهذا الإيمان ثمرات كثيرة كريمة نراها في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ، فما أحرى رجل الاعلام الاسلامي أن يتلو الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ويقف عند كل صفة طيبة وردت فيها ويتمعن في معناها ثم يرجع إلى نفسه، ويتفحص مقدار ما فيها من تلك الصفة فإن وجدها فيه فليحمد

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.
(٢) سورة يونس آية ٣٢.
(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

الله سبحانه وإن لم يجدها فليتدارك إيمانه ويقويه بالغذاء الإيماني الخالص، ويرويه من نبع التوحيد العذب الصافي حتى يتحرر من عبودية الدنيا والعباد.

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، وان يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[1].

فلمحبة الله سبحانه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والأخوة في الله عز وجل أسس قوية في صرح الإيمان الراسخ، والتي يجب على رجل الاعلام الاسلامي أن يتذوق حلاوتها، ليبثها أريجاً طيباً في نفوس المسلمين لبناء الأمة المسلمة الصامدة في وجه الكفر والإلحاد.

ولهذه المحبة الربانية مقومات نراها في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ان القوة لله جميعاً وان الله شديد العذاب﴾[4].

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ١٤ حديث ٢٢ تحقيق الشيخ محمد الالباني.
(٢) سورة المائدة آية ٥٤.
(٣) سورة آل عمران آية ٣١.
(٤) سورة البقرة آية ١٦٥.

فمحبة الله سبحانه فضل رباني عظيم يؤتيه من يشاء من عباده، وله شواهد حية في سلوك الأمة المسلمة عامة ورجال اعلامها خاصة إن كانوا من حماة الإسلام ودعاته المخلصين وهي:

أ - تعميق العقيدة الاسلامية:

لا ريب ان العمل على تثبيت العقيدة الإسلامية ضروري للقضاء على مفاسد المجتمع الخطيرة. ومن الحكمة لرجل الإعلام الإسلامي أن يحدد منذ البداية أصل الداء في البشرية وأصل دوائها:[1] (فالمرض الفتاك بالناس جميعاً في القديم والحديث جهلهم بربهم وكفرهم به والعياذ بالله، ورفضهم الدخول في العبودية الكاملة الصحيحة له، والسير على النهج الذي جاء به محمد ابن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلّم خاتم الأنبياء والمرسلين. أما أصل الدواء والشفاء فهو الإيمان بالله سبحانه رباً وإلهاً واحداً لا إله غيره، والكفر بكل أنواع الطواغيت ومظاهرها المادية المعاصرة) قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[2].

فعلى رجل الاعلام الإسلامي أن يؤكد على معاني التوحيد، فهو الدواء لأصل كل داء أصاب المسلمين بعد أن أغفلوا حق شهادة لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله.

فالعقيدة الإسلامية وتجلية معانيها وأصولها هي الأساس في رسالة رجل الاعلام الإسلامي، وما عداها فروع تابعة، فإذا استقام هذا الأصل واستجاب له الناس سهل عليه إقناعهم بمعاني الإسلام وأصوله وفروعه.

---

(١) انظر أصول الدعوة ص ٤٠٥ د. عبدالكريم زيدان الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ.
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(وهذا هو النهج الصحيح الذي دل عليه القرآن الكريم، وصار عليه رسولنا ﷺ، حيث أن القرآن الكريم ظل يتنزل في العهد المكي بالسور والآيات في بيان أصول العقيدة ومعانيها مثل الإيمان بالله سبحانه وحده، والإيمان بيوم الحساب، ومآل الناس إلى الجنة والنار، وضرورة الإيمان بالرسول ﷺ والقيام بالأعمال الصالحة) (١).

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور﴾ (٢).

(بل ان هذا الاسلوب في الدعوة إلى الله سبحانه ظل مستمراً في العهد المدني حيث كانت الآيات تنزل ببيانها، أو تختم آيات المعاملات بأصول العقيدة كالإيمان بالله سبحانه واليوم الآخر وما فيه من شقاء أو نعيم) (٣).

وأود أن أشير هنا إلى أنه مع التأكيد على معاني العقيدة والتوحيد وجعلها في المقام الاول، لا بد من ربطها بازالة المفاسد الخطيرة المتفشية في المجتمع، والتي أصابته من جراء تمرده على الخالق سبحانه وتعالى، فجعلته عبداً للشهوات، وعابداً للعباد من دون الله عز وجل. وهذا الأسلوب قرآني كريم، سلكه الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم قال تعالى:

(١) انظر أصول الدعوة ص ٤٠٦ د. عبدالكريم زيدان.

(٢) سورة الحج من آية ٥ ـ ٧.

(٣) انظر أصول الدعوة ص ٤٠٧ د. عبدالكريم زيدان.

﴿كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري إلا على رب العالمين. أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ (١).

ب ـ التواضع والاخاء:

فرجل الاعلام الإسلامي يجب أن يكون رحيما بأخيه المسلم متواضعاً يخفض له جناح الذل من الرحمة، لأن أخوة الإسلام شعار الفخار ووسام المجد، والعزة الربانية، يقول تعالى: ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (٢).

فالذلة للمؤمنين، والرحمة بهم، أساس متين للاعلام الإسلامي فهذه الصفة خصها الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلّم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم بقوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما﴾ (٣).

بهذه الآية يثبت الله سبحانه في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة... صحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصورة وضيئة

---

(١) سورة الشعراء آية ١٦٠ ـ ١٦٦.
(٢) سورة الحجرات آية ١٠.
(٣) سورة الفتح آية ٢٩.

تتناول بناء أمة الإسلام على التناصر والنجدة والتراحم، والعبادة الخالصة والمودة فيما بينهم.

ومن أخص أوصاف المؤمن مع اخوانه أنه يتميز بقلب حي مرهف لين رحيم، يتجاوب به للاحداث والاشخاص، فيرق للضعيف ويألم للحزين، ويحنو على المسكين، ويمد يده الى المستغيث، وبهذا القلب يصبح مصدر خير وبر وسلام وهداية لما يحيط به من العالمين.

ج- الاعتزاز بالله سبحانه على أعدائه:

المؤمن لا يهين ولا يستكين، ولا يشعر بصغار أمام اعداء الله سبحانه وتعالى، ولا في غيبتهم، ولا في ظاهره ولا في باطنه، لأنه يعلم أن النصر من عند الله سبحانه، فلا يتقرب لأعداء الله عز وجل عن ذلة وهوان كما هو حال المنافقين في كل زمان ومكان. بل انه قوي عليهم بقدر ما هو لين على المؤمنين، لأنه على يقين بأن العزة لله سبحانه جميعا.

قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ (٣)

---

(١) سورة النساء آيه ١٣٨، ١٣٩

(٢) سورة فاطر آية ١٠.

(٣) سورة المنافقون آية ٨

ويقول الواحدي أن هذه الآية نزلت: (في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين عندما قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»[1].

وان العزة التي تغرسها العقيدة في قلب المؤمن تشعره بمبادىء خالدة، وعزة شامخة، يسمو بها ايمانه الى سماء عالية، لا يسعى اليها على قدم ولا يطار على جناح.

وتتجلى هذه العزة الالهية في النموذج الرفيع للمسلم المتجرد من أرجاس الجاهلية وعصبيتها العفنة، حيث يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسير الآية السابقة: (وأخيرا نقف أمام المشهد الرائع..... مشهد الرجل المؤمن عبدالله بن عبد الله بن أبي بن سلول، وهو يأخذ بسيفه مدخل المدينة على أبيه فلا يدعه يدخل، تصديقا لمقاله هو: «ليخرجن الأعز منها الأذل»، ليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعز وأنه هو الأذل، ويظل يوقفه حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن له. ويتقرر بالتجربة الواقعة من هو الأعز ومن هو الأذل في نفس الواقعة، وفي ذات الأوان.

وهذا هو أجمل وأصدق ما في هذه العقيدة حين يدركها الناس على حقيقتها، وحين يصبحون هم حقيقتها التي تدب على الأرض في صورة أناسيّ تأكل الطعام وتمشي في الاسواق)[2].

والمؤمن بوصفه عضواً في أمة الايمان يشعر بالكرامة الكبرى والعزة

---

(١) انظر أسباب النزول ص ٢٨٧ للواحدي
انظر لباب النقول في أسباب النزول ص ٢١٤ للسيوطي
انظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٦٠ مقبل الوادعي مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٠ هـ.

(٢) في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب.

الشامخة لانتمائه لأمة الخير التي أخرجها الله سبحانه وتعالى للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وأخلصت العبودية لله الواحد القهار سراً وعلانية، فاستحقت العزة والقيادة والفلاح.

قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (١)

وقال عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (٣).

نعم انها الأمة الوسط التي تشهد على الأمم جميعا، فتقيم بينهم الحق والعدل والقسط، وتضع لهم القيم والموازين والشعارات الحقيقية. حتى تكون لها الحاكمية في الارض، فتزن قيمهم وشعاراتهم وتقاليدهم بميزان الله سبحانه، فتقول هذا حق وهذا باطل، لأن هذه الأمة تستمد عزتها وكرامتها من كامل عبوديتها لله سبحانه الواحد القهار.

د ـ الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله سبحانه يعني جهاد النفس الدائم حتى تستقيم وتستمر على طاعة الله سبحانه وجهاد العدو بالنفس والنفيس حتى يخنس وينكف ضرره وتكون الحاكمية لله سبحانه على الارض. وجهاد الدعوة الى الله عز

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣

وجل بكل الوسائل والطرق حتى يتم التبليغ والتبيين لتسهيل سبل هداية الناس. وصدق الله العظيم: ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (١).

هـ ـ لايخافون لومة لائم:

الحرص والخوف يضعفان النفوس، ويذلان الأعناق. واذا انعدم الحرص والخوف عندئذ لا سبيل الى الضعف بحال، والمؤمن اذا هانت عليه الدنيا ولم يبال بالموت... هان عليه جبابرة الأرض وملوكها، ونظر إلى الذهب كما ينظر الى الحجارة، وضرب القرآن الكريم مثلا بسحرة فرعون حين آمنوا بالله سبحانه، فاستهانوا بفرعون وبالدنيا، ولم يجزعوا من الموت، يقولون لفرعون مصر وهم في ثبات الجبال بقوله عز وجل: ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ (٢).

نعم انهم لا يحرصون على شيء عند جبار هالك، ولا يخافونه على شيء عندهم من متاع زائل. فلماذا الذل والهوان؟، فانقلبوا من أتباع وعبيد له الى دعاة حق ورسل خير يبشرون وينذرون بما جاءهم من البيّنات قال تعالى: ﴿انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ (٣).

لذلك نرى أن من مظاهر رجل الاعلام الاسلامي وضوح الخطة واستقامة

---

(١) سورة التوبة آية ٢٤

(٢) سورة طه آية ٧٢

(٣) سورة طه آية ٧٣

الطريق. فلا يغريه وعد ولا يثنيه وعيد ولا يتسلط عليه هوى جائر أو شهوة طاغية فهو دائما داع الى الخير ثائر على الشر، آمر بالمعروف ناه عن المنكر، هاد الى الحق والعدل، ومقاوم للباطل والظلم، يغيّر المنكر بيده فان لم يستطع ذلك فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.

و ـ متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلّم في هديه:

فعلى رجل الاعلام الاسلامي إتباع النبي عليه الصلاة والسلام في جميع أحواله وطاعة أمره والابتعاد عن نهيه، قال تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾(١)

فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو القدوة المباركة أمام رجل الاعلام يقتدي في سيرته بالدعوة إلى الله سبحانه خطوة خطوة، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾(٢). منذ أن بعثه الله تعالى الى أن اختاره الى جواره الكريم.

ووجه هذا النفع لرجل الإعلام أن سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هي ترجمة عملية للدعوة والإعلام بالمنهج الرباني الذي جاءت به آيات القرآن الكريم، لإخراج الناس من الظلمات الى النور، وإنقاذهم من عبودية العباد الى عبودية الله الواحد القهار.

وقد تمثلت هذه القواعد والأسس والشواهد بثمراتها ونتائجها وعوائدها في صور الوفود التي حملت لواء الدعوة الى الاسلام، كما رأينا في تلك

(١) سورة الحشر آية ٧.

(٢) سورة الاحزاب آية ٢١

الصور الفريدة والبطولات العظيمة التي صنعها الايمان العميق، وربّاها الالتزام بمنهج الاسلام الشامل.

ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مع عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي، عندما عرض عليه نصف ماله حتى لا يتمكن وفد قريش من تغريره بالعودة الى مكة. بل انه عندما أبى عليه الا أن يخرج معه، لم يطاوعه إيمانه بتركه بل قال له: «أما اذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها» [1].

(٣) التوكل الحكيم:

التوكل أساس وثيق للاعلام الاسلامي، حيث يتربى الناس على أن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير والنفع والضرر والمنع والعطاء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:
﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [2]
﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [3].
﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ [4].
﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [5].

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٧٥.
(٢) سورة هود آية ٨٨.
(٣) سورة الرعد آية ٣٠.
(٤) سورة الأنفال آية ٤٩.
(٥) سورة آل عمران آية ١٥٩.

﴿وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ (١).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل على أن الله سبحانه يكفي من يتوكل عليه ويفوض أموره اليه، لأنه يسير بمعونة الله سبحانه، وينظر بنور الله عز وجل، لا يستعبده منطق المادة، ولا لغة الأرقام، ولذا يقدم من ألوان التضحيات، وضروب البذل والفداء، ما يعتبره عبيد الدرهم والدينار تهوراً وجنوناً وهوسا، بعد أن عميت أبصارهم وبصائرهم عن ذكر الله سبحانه، وارتكست أفهامهم بالموازين الأرضية الهابطة والمقاييس البشرية الشيطانية الفاسدة التي تذل رقاب الناس، وتخضع القلوب للشهوات. ولكن التوكل على الله سبحانه ينير الطريق ويكشف الهموم، ويزيل العقبات، ويهون البلاء. ويشعر الداعية المؤمن ورجل الاعلام الاسلامي بنعمة الله سبحانه في السراء والضراء والاحساس بالرضا بعد كل قدر من أقدار الله عز وجل. يخشع قلبه مع ذكر الله سبحانه ويزداد إيماناً مع آياته ويقيناً بنصره. قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (٣).

والتوكل على الله سبحانه يجعل رجلا الاعلام الإسلامي موقنا تمام اليقين أن تدبير الله سبحانه له أفضل من تدبيره لنفسه ورحمته تعالى أعظم من رحمة أبويه، ينظر في الأنفس والآفاق في آثار بره تعالى ورحمته فيناجي ربه

(١) سورة يونس آية ٨٤.
(٢) سورة الأنفال آية ٢.
(٣) سورة آل عمران آية ١٧٣.

وحده: ﴿بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾.

وانه يوقن تمام اليقين بأن النصر من عند الله سبحانه دون تحديد زمان ومكان أو كيفية لهذا النصر المبين، قال تعالى: ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [١] ـ. وقوله سبحانه: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [٢].

إن هذا التوكل على الله جل جلاله ضروري أشد الضرورة لكل رجل إعلام إسلامي، حيث تهون عليه الصعاب، وتنتزع من قلبه الخشية من الطغاة الظالمين. قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [٣].

إن التوكل على الله سبحانه يجعله يحس بعزة الايمان على جميع منابر الاعلام فلا يعظم في عينيه باطل ولا ظالم، لأن الباطل وأهله تافه حقير في أعين المؤمنين. قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [٤].

(٤) إدراك الهدف الاعلامي الاسلامي:

للاعلام الاسلامي أهداف كثيرة تنطلق كلها من الهدف الأسمى والأول بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون﴾ [٥]. ويمكننا أن نلخص مضمون الأهداف فيما يلي:ـ

---

(١) سورة غافر آية ٥١.
(٢) سورة الحج آية ٤٠.
(٣) سورة آل عمران آية ١٧٣.
(٤) سورة المنافقون آية ٨.
(٥) سورة الذاريات آية ٥٦.

أ - إيجاد وعي إسلامي مستنير في نطاق الفرد والمجتمع والدولة حتى يحس الكل بذاته ويدافع عن وجوده.

ب - إيجاد أمثل الطرق لعرض الإسلام الصحيح عقيدة وفكراً ونظام حياة.... الإسلام الصحيح الخالص من شوائب الجاهلية والوثنية والكفر والنفاق الذي تسلل اليه في غيبة الوعي الإسلامي، وفي فترات تقصير معظم علماء الاسلام عن أداء الرسالة الحقة والبلاغ المبين.

جـ - العمل على تكوين اتجاه إسلامي عالمي يكون له وزنه الدولي وتأثيره الفعّال في القضايا الإسلامية خاصة والإنسانية عامة .وهذا يفرض علينا الإيمان الكامل الشامل العميق لجميع أبعاد قضايا الإسلام والمسلمين الفكرية والاجتماعية والسياسية، وقضايا الإنسانية العادلة حتى يتحرر فكرها من سيطرة جميع أنواع الطواغيت البشرية المارقة.

د - ضرورة تحرير الجامعات ومراكز البحث العلمي، ومناهج التعليم من رواسب التبعية، والايديولوجية (الخطط والاتجاهات وجميع أشكال الغزو الفكري حتى تبرز الشخصية الإسلامية في ميادين التعليم والعلاقات والاتصال والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها لأنه منذ هجوم الغرب الاستعماري الشرس على العالم الإسلامي فإنه قد تمكن من فرض أوساخه الثقافية والحضارية في هذا الميدان، وربى في هذه الجامعات أجيالاً فاسدة من قيادات الشعوب المسلمة المستغربة المنبهرة بمتاعه المخلصة لمبادئه، تمكنت من خدمة مصالح أعداء الله سبحانه، ببث أهدافهم المعادية للإسلام والمسلمين.

لذا فإن تحرير التعليم عامة والجامعي خاصة من هذه التبعية واعداده الإعداد الإسلامي، بغرس الولاء الإسلامي والوعي الإيماني لدى الدارسين، حتى يتمكنوا من آداء دورهم القيادي المبدع في خدمة الإسلام والمسلمين، أمر لا يعدله أمر آخر في سلّم أولويات العمل الإسلامي المعاصر من خلال

مختلف وسائل الاعلام وطرق الاتصال الفردية والجماعية والجماهيرية.

هـ ـ الإعلام الخارجي:

ويقصد به نشر البلاغ الحق في العالمين، وتعريف الحيارى والسادرين التائهين في بيداء الحياة بأن الدين الإسلامي هو واحة السلامة والأمان لهم جميعاً. قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾ (٢).

وإن دعوة الإسلام هي المنقذ من هذا الضلال الذي هم فيه يعمهون من نظريات وأباطيل وافتراءات قلبت الموازين الأخلاقية، ونواميس الحياة التي أرادها الله سبحانه خيراً ورحمة، فإذا بدعاة الكفر والإلحاد والنفاق يحولونها خبثاً وفساداً رهيباً بمختلف وسائل الإعلام المعاصرة.

لذلك فان أبرز أهداف الإعلام الخارجي (الرسالة الاسلامية)، التصدي للمحاولات الإجرامية التي يتعرض لها الإسلام تزييفاً وتزويراً وباطلاً، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل الذي له يخططون، إن الباطل كان زهوقا.

مميزات الإعلام الإسلامي

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ (٣).

للإعلام الإسلامي خصائص يتميز بها عن سائر التصورات الجاهلية

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧.
(٢) سورة البقرة آية ١٣٨.
(٣) سورة البقرة آية ١١٩.

البشرية. إنه تصور رباني، جاء من عند الله سبحانه وتعالى رحمة ونعمة للإنسان، لتقويم حياته نحو الفلاح والصلاح، لا ليزيد عليه من عنده شيئاً ولا لينقص كذلك منه شيئاً، ولكن ليتكيف به ويطبقه في حياته. إنه من صنعة الله عز وجل، فلا يتناسق معه لتأدية ثماره ما تصنعه الجاهلية بتصوراتها الفاسدة. وإنه لمن الخطأ المنهجي الأصيل استعارة مناهج التفكير الإعلامية الضالة في عالم البشر للتعامل بها مع تصورات الإعلام الإسلامي المستقل الأصيل.

وللإعلام الإسلامي مميزات خاصة واضحة يتفرد بها لإنقاذ البشرية من الهلاك والضياع والدمار هي ما يلي:ـ

(١) وحي من عند الله سبحانه وتعالى:

الإعلام الإسلامي وحي منزل من عند الله عز وجل في كتابه العزيز القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ (١)

:﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ (٢).

:﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ (٣).

:﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى علّمه شديد القوى﴾ (٤).

---

(١) سورة الحجر آية ٨٧.

(٢) سورة الزمر آية ٢.

(٣) سورة الأنعام آية ١٦١.

(٤) سورة النجم آية ١ ـ ٥.

فالربانية أولى مميزات الإعلام الإسلامي ومصدره الذي يستمد منه تصوراته في هداية البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور ومن الظلم إلى العدل، ومن العذاب إلى النعيم في الدنيا والآخرة.

فالإعلام الإسلامي منهج إلهي، وليس مخاض عقل بشري شأن الإعلام الوضعي القائم على المنفعة الشريرة والإغراء الفاحش، والتصورات الفاسدة..

إنه هبة الله سبحانه للإنسان، ورحمة له من عنده أرسلها مع جميع الأنبياء من لدن آدم عليه السلام حتى خاتم النبيين صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين. وإن وظيفة الرسل هي مجرد النقل الدقيق، والتبليغ الأمين، وعدم خلط الوحي بأي تفكير بشري، بل توصيل الخير الإلهي مبرّأ من النقص والزيادة والجهل والهوى.

ولقد أثبت التاريخ أن تدخل الفكر البشري بالإضافة والتأويل والتحريف، ألحق بالعقيدة السماوية الإنحراف عن حقيقتها، وظهور النزعات المعادية للدين من (عقلية مثالية) إلى (وصفية حسية) إلى (جدلية مادية) شيوعية، وهذا بلاء عظيم لا يعدله بلاء آخر في تاريخ البشرية الطويل.

وربانية الإعلام الإسلامي تؤكد قابليته للحياة وقدرته على استيعاب مشاكلها المتجددة والمتطورة أبداً، انسجاماً مع القدرة التي صدر عنها، والتي لا يعزب عنها مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء. لذلك فهو غني عن منهج الإعلام البشري الوضعي، وجراثيمه الفتاكة التي ملأت جميع وسائل الإعلام في الوقت الحاضر.

(٢) الشمول:

الإعلام الإسلامي يمتاز بشموله، واستيعابه لكافة شئون الحياة وسلوك الإنسان، ويرجع ذلك لأنه ناشيء من طبيعة الخاصية الأولى: خاصية أنه وحي

من عند الله سبحانه، لا من صنع الإنسان المحدود الإمكانية والقدرة. فإن الشمول هو طابع الصنعة الإلهية الأصيل الصالح لكل زمان ومكان بالإمكانية الكاملة والقدرة التامة.

قال تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (٢).
: ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (٣).

والإنسان بضعفه وشهوته وقصوره وجهله، عاجز على أن يقيم بنفسه المنهج السليم لإعلام الهدى والحق والنور ما لم يلتزم بالإسلام ديناً ومنهجاً وسلوكاً ونظاماً للحياة، وإلاّ فهو الكفر والجاهلية والهوى والظلام والباطل والضلال.

قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (٤).

وقال عز وجل: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (٥).

---

(١) سورة النساء آية ١٢٦.
(٢) سورة الأنعام آية ٣٨.
(٣) سورة النحل آية ٨٩.
(٤) سورة آل عمران آية ٨٥.
(٥) سورة الأنعام آية ١٥٣.

: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ (١).

: ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ (٢).

ويقول سيد قطب رحمه الله سبحانه: (فالإنسان محدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان والعلم والتجربة والإدراك، محكوم بضعفه وميله ورغبته... الإنسان وهذه ظروفه حينما يفكر في إنشاء تصور اعتقادي من ذات نفسه، أو في إنشاء منهج للحياة الواقعية من ذات نفسه كذلك، يجيء تفكيره محكوماً بهذه السمة التي تحكم كينونته كلها... يجيء تفكيره جزئياً يصلح لزمان ولا يصلح لآخر، ويصلح لمكان ولا يصلح لآخر، ويصلح لحال ولا يصلح لآخر، ويصلح لمستوى ولا يصلح لآخر... فوق أنه لا يتناول الأمر الواحد من جميع زواياه وأطرافه وجميع ملابساته وأطواره وجميع مقوماته وأسبابه... لأن هذه كلها ممتدة في الزمان والمكان، وممتدة في الأسباب والعلل، وذلك كله فوق ما يعتور هذا التفكير من عوامل الضعف والهوى، وهما سمتان إنسانيتان أصيلتان.

وكذلك لا يمكن أن يجيء منهج من صنع البشرية يتمثل فيه الشمول أبداً... إنما هو تفكير جزئي وتفكير وقتي ناقص) (٣).

الإعلام الإسلامي يقوم ابتداء على تعريف الناس بربهم تعريفاً كاملاً شاملاً، حتى يصبح معه الوجود الإلهي في النفس البشرية وجوداً أكيداً مؤثراً

(١) سورة الجاثية آية ١٨.

(٢) سورة يونس آية ٣٢.

(٣) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص١٠٩، ١١٠، الشهيد سيد قطب، دار الشروق، بيروت.

يأخذ النفس بالهدى والتقوى، بحيث لا تملك الانفلات منه أو نسيانه وإغفاله، بل تلتزم بأوامره وتنتهي عن محارمه.

والإعلام الإسلامي في شموله يرد الإنسان إلى مصدر واحد في جميع مفاهيمه وقيمه وشعاراته وموازينه وقوانينه. هذا المصدر يجد عنده إجابة على كل سؤال يجيش في صدره، لأن هو الوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، ويحتوي كل زمان ومكان في قدرته، لذلك يجب أن يأخذ به رجل الإعلام المسلم، حتى يحقق إسلامه، ويحقق غاية وجوده الإنساني، لتكون العبودية والأمر والسلطان لله وحده عز وجل.

(٣) الثبات:

ومن مميزات الإعلام الإسلامي قابليته وقدرته وصلاحيته للحياة وقيادتها نحو الخير في أية مرحلة من مراحلها وفي أي زمان ومكان.

وقد يستطيع الإعلام الوضعي أن ينجح لفترة معينة من الزمن، ويسحر الأنظار إليه، إلا أنه لا يلبث أن يخفق ويفلس وتظهر عيوبه، بما ينتجه من مفاسد للمجتمع وهدم للقيم وتدمير للأخلاق.

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى: [١] (من خاصية الربانية في التصور الإسلامي تنشأ خاصية أخرى... هي خاصية «الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت».

هناك ثبات في مقومات هذا التصور وقيمه الذاتية، فهي لا تتغير ولا تتطور حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية... فهذا التغيير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم

(١) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص ٨٥ سيد قطب. دار الشروق، بيروت.

الثابتة لهذا التصور... ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة، ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت).

الإعلام الإسلامي ثابت القيم والأفكار والتصورات، يظل دائماً في الدائرة المأمونة، لا يشرد إلى تيه العقل البشري وتصوراته القاصرة، ذلك العقل الذي لا دليل معه من المنطق السليم، ولا من الأسس الهادية الصادقة في الطريق الطويل لابتعاده عن منهج الله سبحانه. مما جعل البشرية اليوم منكودة الطالع تتخبط في تصوراتها وأنظمتها وشعاراتها تخبطاً منكرا، وحول هذه البشرية المنكودة زمر من المنتفعين والمرابين، وتجار الشهوات، ورجال إعلام... يهتفون بالتطور والانطلاق والتجديد... بلا ضوابط ولا حدود، انطلاق حيواني للشهوات وتدمير للقيم، وانحطاط وانحدار بالأخلاق إلى مستنقع عفن واتباع للهوى وارتكاس إلى جاهلية عمياء.

ومما لا شك فيه أن المجتمع الذي يجري وراء إعلام الضلال المتقلب التصورات، الذي لا يستند إلى أصل ثابت، بل ينبع من الفكر البشري الظني المعرفة القاصر الفهم. هذا المجتمع لا بد أن يتعرض إلى هزات عنيفة تنشىء في عقله الحيرة وفي حياته الضلال، وفي معاملاته الأنانية والمادية، وفي كيانه الفساد على أوسع نطاق.

إن الثبات في قيم وتصورات الإعلام الإسلامي، هو الذي يضمن للفكر الإسلامي وللحياة الإسلامية مزية التوافق مع النظام الكوني العام، ويقيه شر الفساد الذي يصيب الكون لو اتبع أهواء البشر. وهو الذي يبث الطمأنينة في نفوس المسلمين ويجعل رابطة التجمع الإنساني هي العقيدة وحدها، لا القوم ولا الجنس، ولا الأرض، ولا اللون، ولا الطبقة، ولا المصالح الاقتصادية أو السياسية، ولا أي اعتبار آخر من التصورات الأرضية البشرية الهابطة. إنما

المفاضلة بينهم جميعاً بالتقوى والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (١).

إن الثبات في قيم وتصورات ومبادىء وشعارات الإعلام الإسلامي مستمد من كونه رباني المصدر، أي من الوحي الذي أنزله الله سبحانه على نبيه محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم. لذلك فإنه يضمن للمسلم في المجتمع الإسلامي مبادىء ثابتة، يتحاكم بها مع خصومه مهما كانت مراكزهم ومناصبهم، فلا يطلق هؤلاء أيديهم في مقوماته الأساسية وحقوقه في مقابل أن يطلقوا هم حرية الشهوات والنزوات الحيوانية وأجهزة الضلال للجماهير المسلسلة في قماقم الظلم والاستبداد والطاغوت.

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

الفصل الثالث

أساليب الإعلام الإسلامي

ولكي يكون الإعلام الإسلامي إيجابياً يخاطب العقول والقلوب معاً، ويمضي في مسيرته من نجاح إلى نجاح، فلا بد أن يكون الإعلاميون الإسلاميون مدركين لعظم رسالتهم واعين وعياً عميقاً لطبيعة مهمتهم الإعلامية لنشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، بتخطيط وتنظيم لمختلف الأساليب الإعلامية لإيصال التوحيد الخالص للناس كافة بأسلوب العقل والمنطق والتصدي للتحديات العصرية الفاسدة ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة، ويمكننا أن نأخذ هذه الأساليب من مصدر الإسلام الأول القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (١).

وقوله عز وجل: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (٢).

وفيما يلي نتناول هذه الأساليب:

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨.

(١) استعمال الحكمة في نشر الخبر :

الحكمة نعمة أصيلة في منهج الإعلام الإسلامي ، يمنحها الله سبحانه لمن يشاء من عباده قال تعالى : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ (١) .

فالحكمة تقتضي أن يخاطب الناس من حيث يصغون ويسمعون ، وتأتيهم من حيث يحسون ويشعرون ، تلامس جروحاتهم وتتحسس أمراضهم ، وتحلّ مشاكلهم .

إن الإنسان مخلوق معجز ، ومن الصعب تغيير نفسه أو قلبه أو فكره بين عشية أو ضحاها . وإن بناء المصانع وناطحات السحاب وامتلاك الصواريخ أمر سهل ومقدور عليه ، ولكن الأمر الشاق حقاً هو بناء الانسان الصالح القادر على نفسه ، المتحكم في شهواته ، الذي يعرف الحق ويؤمن به ويجاهد عنه بنفسه وماله ، والنفوس البشرية جبلت على حب من أحسن إليها في القول ، وأجمل في العمل ، لأن الشدة والقسوة تدفع إلى المكابرة والنفور والإصرار على الباطل والعزة بالإثم . ولكن يجب الاّ يتبادر للذهن أن القصد من اللين والحكمة في القول أن نصل إلى المداهنة والرياء والنفاق ، وإنما نقصد بذلك النصح والصدع بالحق وانتقاء الكلمة الطيبة التي تفتح اقفال القلوب وتشرح الصدور ، وتثير التذكرة ، وتبعث بالخشية في النفوس القاسية . يقول تعالى في معرض التوجيه الرباني لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لإيصال البيان الإلهي إلى الطاغية فرعون: ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه وتعالى في آخر سورة النحل آمراً نبيه صلى الله تعالى عليه

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

(٢) سورة طه آية ٤٣ ، ٤٤ .

وسلم بالتزام الحكمة في دعوة الناس للحق: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (١).

بالحكمة والموعظة الحسنة يكثر الأنصار وينتشر المؤيدون، وتلين القلوب، وتميل إلى صاحب الدعوة، قال تعالى في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (٢).

نعم فهي رحمة الله سبحانه التي نالته ونالتهم، فجعلت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحيماً بأصحابه وهو يعلمهم ويخبرهم بالحق، ليناً معهم في دعوته، ولو كان فظاً غليظ القلب ما اجتمعت عليه القلوب. لأن الناس في حاجة إلى رعاية وبشاشة وحلم وحسن خلق لا يضيق بجهلهم وضعفهم ومخالفتهم. لذلك يجب على رجل الإعلام الإسلامي أن يتحلى بالحكمة والقلب الرحيم فتنبعث منه الكلمة الطيبة ينشرها حيث كان، حتى تفتح القلوب أقفالها وتنشرح الصدور لدين الله سبحانه.

وفي السيرة النبوية نماذج عملية رائعة في معالجة الأخطاء والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بجميع ألوان العفو والصفح.

فقد روى أبو أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال: «يا نبي الله أتأذن لي في الزنا» فصاح الناس به... فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «ادن مني» فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

تعالى عليه وسلم: « أتحبه لأمك » قال: « لا ، جعلني الله فداك » قال: « كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم » « أتحبه لابنتك؟ » قال: « لا ، جعلني الله فـداك » قال: « كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم »... وهكذا أخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يذكر الخالة والعمة، وهو يقول في كـل مـرة: « لا ، جعلني الله فداك ». فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده على صدره وقال: « اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه منه بعد ذلك)[1].

فهذا درس عملي في استعمال أسلوب الحكمة واللين والحلم في الدعوة إلى الله سبحانه نأخذه عن رسول الله ﷺ ، وينبغي على رجل الإعلام الاقتداء به في دعوته إلى الإسلام، بإخلاص ونشاط حتى يتفاعل مع الناس، قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[1].

ويحق لنا أن نتساءل عن مستوى الإعلام الوضعي اليوم، ويكفينا أن نقرأ أو نشاهد أو نستمع لوسائل الإعلام في العالم الإسلامي، فيتبين لنا المستوى الدنيّ الذي وصلت إليه أغلبها ، والمستنقع العفن الذي تغوص فيه من السباب والشتائم والكذب والخديعة وإثارة الشهوات والدجل والنفاق، وحب الذات، والتغنيّ برباط الأرض وإحياء العنصرية والمحاربة لكتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

إن الحكمة المتأصلة في الإعلام الإسلامي الحقيقي قمة شامخة لا يرتقيها إلا العاملون الصادقون الصابرون قال تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا

(١) مسند الامام أحمد جـ ٥ صفحة ٢٥٦.

(٢) سورة فصلت آية ٣٤.

وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (١).

وما أحوج رجل الإعلام الإسلامي وهو يدعو ويعلم الناس ويصحح أفكارهم أن تكون الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة الطيبة هي وسيلته في الإعلام والتبليغ، بعد أن تحالفت قوى الشر في الأرض ضد الإسلام والمسلمين. لقد تملّك الأقلام شطط جامح، واستولى على العقول هوس الحضارة، فلا يصدر عنها إلا القبيح المخالف للفضائل ويدعو إلى الرذائل. واصطناع العيوب وقذف الأبرياء واتهام الأطهار وتشويه الحق بلا حجة ولا منطق أو خوف من الله سبحانه.

ومن مظاهر الحكمة التي يجب أن تتوافر وتتبع في وسائل الإعلام في الدول الإسلامية ما يأتي:-

أ - التصدي لحملات التشكيك والباطل والشبهات:

إثارة الشك والارتياب في صدق الداعي إلى الله سبحانه وأحقية ما يدعو إليه هو أسلوب أهل الباطل من الملأ ومن والاهم من المنافقين الذين يحاربون الله سبحانه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سرّا وعلانية. فهم الذين يثيرون الشبهات، ويزينونها للناس، ويشيعونها بينهم، ويكررونها على مسامعهم حتى تألفها نفوس البسطاء من عامة الناس، ويأخذوا في ترديدها ثم تصديقها واعتناقها، وعند ذلك يندفعون للدفاع عنها، ومقاتلة الحق وأهله في كل زمان ومكان، وبكل ما أوتي الباطل من وسائل الإعلام الخبيثة المدمرة باسم الحق الكاذب والباطل الصادق كما يزعمون. ولنا في ذلك تجارب كثيرة منذ ظهر الإسلام حتى يومنا الحاضر في خصومة الكفر والشرك من اليهودية والصليبية وما أفرختاه من نحل وأشكال وتنظيمات وأفكار واتجاهات،

---

(١) سورة فصلت آية ٣٥.

اختلفت المسميات، وتباينت الصور، ولكنها اتحدت في عدائها للإسلام والمسلمين. والكفر ملّة واحدة، سواء كانت صهيونية أو شيوعية أو ماسونية أو وجودية أو بهائية وغيرها من صور الباطل، فإنها تخطط لتزوير الحق المنزل من عند الله سبحانه، وتزييف الأخبار المتصلة بالإسلام وبرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

إن هذه المحاولات التي لم تنقطع في يوم من الأيام، ولن تنقطع ما دام هناك شر يتربص بالخير ويحترب معه، تفرض على رجل الإعلام الإسلامي أن يعد الخطط، ويرسم المناهج، لمجابهة مستمرة لا تتوقف بين الحق والباطل، السلاح فيها الحق والبلاغ المبين، والعدة الإيمان العميق القوي الذي لا يتزعزع بإذن الله سبحانه. وأسلوب الإعلام والدعوة اتباع الحكمة التي تقوم على الحجج والمقايسة والمقارنة، بين الواقع المعاصر الأليم وبين شريعتنا السمحاء. حتى نصل الى ما نريد من إعلان حقيقة الإسلام بأنه الدين القويم الصالح لإنقاذ البشرية من الظلمات إلى النور.

فعلى رجال الإعلام أن يجاهدوا في سبيل دين الله سبحانه جهاداً حقا متصلاً غير متوان ولا متواكل، ولا يثنيهم عن ذلك الطعن في أشخاصهم وسيرتهم وسلوكهم وإلصاق التهم بهم، ورميهم بالسفه والجهل والضلال والتأخر والتزمت والجنون وغير ذلك من الأوصاف الكاذبة التي قيلت من قبل في حق الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ (١). وقال مشركو العرب في سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما جاء في قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٢، ٥٣

الكافرون هذا ساحر كذاب﴾[١].

وعلى رجل الإعلام الإسلامي أن يتصدى لجميع الشبهات، التي يثيرها أهل الباطل، في حربهم مع كلمة الحق والبلاغ المبين، ويفندها ويظهر زيفها وبطلانها، لأنها موانع تمنع من رؤية الحق لدى ضعاف البصر والبصيرة، كما تمنع الإحساس بالداء والحاجة الماسة للدواء.

ولا بد من الحجة والبرهان والصراحة والوضوح، وحسن البيان مع أدب في القول ورفق في الخطاب في مواجهة الباطل وكشف إعلام الضلال. ويمثل رجل الإعلام الإسلامي الصالح في مقارعة الباطل وإزالة الشبهات حول الإسلام، كمثل الطبيب العالم الناصح المخلص، لا تستفزه صيحات المرضى ولا تنفره قذارة جروحهم، بل يستمر في معالجتهم ويتحمل مشاق الإشراف عليهم حتى يتم شفاءهم وإنقاذهم من الأخطار.

ولرجل الإعلام الإسلامي في رسل الله سبحانه أسوة وقدوة، حيث كانوا يردون على كل شبهة وافتراء وضلال بأسلوب عال رفيع مؤثر، قال تعالى في هود عليه الصلاة والسلام: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون، قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ....﴾[٢].

والدنيا كلها تعيش اليوم مرحلة ضياع وحيرة وانكفاء إلى جاهلية وإلحاد وعبادة أفكار أو أشخاص لا تختلف عن عبادة الأوثان والأصنام في الجاهلية

---

(١) سورة ص آية ٤

(٢) سورة الأعراف آية ٦٥ ـ ٦٩

الأولى. فالعمل الإعلامي الإسلامي ضروري في أيامنا الحاضرة أشد الضرورة لاضاءة القلوب الضالة وتنوير العقول التي غشيتها الجهالة وأعمتها مادية حسية مثيرة للغرائز والشهوات، مطلقة للنزوات والاندفاعات الحيوانية الشيطانية. وهذا العمل هو جهاد بعينه وسيجزي الله سبحانه القائمين به الصابرين على البلاء والفتن أجر المجاهدين والصدّيقين.

ب- منع التيارات المعاكسة للإسلام في مختلف وسائل الإعلام:

لا بد من إيجاد الجماعات (الكوادر) الإعلامية الإسلامية التي تضيق الخناق على جميع التيارات المعاكسة للإسلام في مختلف وسائل الإعلام وخاصة الإذاعة والتلفزيون، وهما من إبداع العقل البشري الذي علّمه الله سبحانه ما لم يعلم، وهذه العقول المبدعة تخترع كل حين اختراعات جديدة تسخرها لخدمة الإنسان. وهذه المخترعات وسائل محايدة تصلح للخير وتصلح للشر، فإذا سيطر عليها الشرّيرون فإن إنتاجها يكون شرّيراً لا لأنها في ذاتها أداة شر، ولكن الذين يوجهونها هم من أهل الشر وحزب الشيطان. أما إذا أشرف عليها الخيّرون وحزب الله سبحانه وتعالى فإنها تعطي ولا شك إنتاجاً خيّرا. هذه الوسائل لا تتوجه إلى الخير أو الشر من ذات نفسها، إنما تتجه إلى الخير أو الشر بتوجيه الموجهين لها. وهي لو استخدمت استخداماً صحيحاً بروح إسلامية، لأدت خدمات جبارة للفكر الإسلامي وتربية المسلمين بما يحبه الله سبحانه ويرضاه. فالتلفزيون يدخل كل بيت بثوب قشيب فاتن يجذب الأبصار ويلفت القلوب، ويفتن العقول، فكيف إذن لو استخدمناه في إعلام إسلامي صادق رشيد بإظهار بديع خلق الله سبحانه، وعظيم قدرته، وبالغ حكمته في الكون، في كل شيء ليس فيه روح..... إنه إذن يربي الأمة في داخل بيوتها بأسلوب لا نستطيع أن نصل إليه في المدرسة ولا بالصحيفة ولا بالكتاب، نعم إنها أداة ساحرة طيّعة لكل ما

توجه إليه، لذلك لا بد من توفير الجماعات (الكوادر) الإسلامية المؤمنة المخلصة الملتزمة بتنفيذ العمل الإسلامي، ورعاية وتوجيه الناس للفكر الإسلامي السليم، للإفادة به على نطاق واسع، والخلاص مما تعيث به فساداً وانحطاطاً في مختلف بلاد العالم الإسلامي في أيامنا الحاضرة.

ج- حشد الطاقات الاسلامية:

إن الذئب يأكل من الغنم القاصية، وما أكثر ذئاب اليوم من أعداء الإسلام، التي تتربص بالمسلمين فردا فردا وجماعة جماعة، ودولة دولة، يريدون أن يطفئوا نور الله سبحانه، والله تعالى متمّ نوره ولو كره الكافرون والمنافقون.

لذلك لا بد من تجميع الطاقات الإسلامية فكراً وثقافة وعلماً واقتصاداً وسياسة، وقوى بشرية أخرى، وحشدها في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ولمجابهة الأخطار التي يتعرضون لها، قال تعالى في المؤمنين: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٢).

لذلك لابد للإعلام الإسلامي أن يجابه المخاطر التي تحل بالمسلمين. ويقف بالمرصاد للأعداء الذين يكيدون لهم. قال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيدا فمهّل الكافرين أملهم رويدا﴾ (٣).

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩

(٢) مختصر صحيح مسلم ص ٤٧٢ حديث ١٧٧٤ تحقيق الشيخ محمد الألباني الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ

(٣) سورة الطارق آية ١٥ ـ ١٧

ولا ينبغي أن نترك خصومنا ينفردون بنا أفراداً أو جماعات أو دولاً ليذهبوا بريحنا ويطفئوا نورالله سبحانه كما فعلوا في عهد ملوك الطوائف بالأندلس الإسلامي الضائع. لذلك يجب على الإعلام الإسلامي تبصير الأمة الاسلامية عن رصيد الإسلام الضخم الهائل من الفلاح والصلاح لقيام حصن الخلافة الراشدة من جديد، التي تخرج الناس من ظلمات الجهل وفلسفات المادية العمياء، وموازين الأرض العفنة، إلى نور الإسلام وعدالته، حتى لا تعمى الأبصار ولا البصائر، بل نور على نور يهدي الله سبحانه لنوره من يشاء من عباده.

وفي كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي سير الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وأسلافنا الأبرار الأخيار من الوقائع والأحداث ما يقدم الأدلة الدامغة، على أن الاسلام ليس كما يرجف المرجفون من الصهيونية والصليبية والشيوعية وأفراخهم من الكذب والتضليل والافتراء عليه، بل هو النهج السماوي القويم الذي أراده الخالق عزّ وجلّ للناس صلاحاً وخيراً وفلاحاً دون ضغط أو إكراه قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم. الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (١).

وإن التآخي الإسلامي والتعاون الصادق بين المسلمين أفراداً وشعوباً ودولاً لقيام الكيان الواحد وحشد طاقاته في جميع المجالات، ليعتبر من أبدع وأقوى الأساليب الإعلامية حتى يستعيد الإسلام مكانته على الأرض وتكون الحاكمية لله وحده سبحانه وتعالى، فتغيظ قلوب أعداء الله عز وجل من

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦، ٢٥٧

الكفار والمنافقين ويعضون على أصابعهم من شدة الغيظ وما كيد الكافرين إلا في ضلال وخسران ووبال عليهم.

د ـ القدوة الحسنة:

إن الأسوة الصالحة طريق عظيم من طرق الإعلام والإرشاد ومن الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله سبحانه، وجذب الناس إلى الإسلام. السيرة الطيبة لرجل الإعلام الإسلامي، وأفعاله الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الزاكية، تكون كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام السامية، فيقبلون عليها وينجذبون إليها. لأن التأثر بالأفعال والسلوك، أبلغ وأعظم من التأثر بالأقوال دون عمل. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (١).

ولقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المثل الأعلى للكمال الخلقي في صفته وهيئته ومأكله ومشربه وقيامه وقعوده، وسعيه وعمله، ومعاشرته لأهل بيته وأصحابه، كان قائماً في المسجد يؤم الناس ويعظهم، وفي الميدان يقود المجاهدين وينظم صفوفهم، ومع اليتيم والضعيف والخادم في البيت والطريق يقضي حاجتهم. كان صلى الله تعالى عليه وسلم أول من يأخذ نفسه الشريفة بما يدعو الناس إليه، إن أمرهم بالخشوع عند سماع القرآن الكريم تحدرت أدمعه إذا تلي عليه. وإن أمرهم بعدم الحرص على الدنيا كان أول من يأكل خبز الشعير وتمضي الأشهر ولا توقد في بيته نار. وإن طالبهم بالجهاد كان أول خارج إليه في القيظ ولفح الهجير وشدة الزمهرير.

ومن مظاهر القدوة الحسنة لرجل الإعلام الإسلامي، الإخلاص في القول والعمل والنية لوجه الله سبحانه، فتراه يعمل الخير، ويحارب الشر، وإن لم

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢١

يكن له فيه نفع مادي، ولا هوى شخصي، ولا يهمه الشهرة ولا المحمدة، ولا رضى الناس. تراه دائما واضح الطريق، لا يغريه وعد ولا يخيفه وعيد ولا ينحرف به طمع متسلط أو هوى جامح. فهو دائما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، هاد للحق والعدل، مقاوم للباطل والظلم.

ليحذر الإعلام الإسلامي الكلمة النابية، والعبارة الجارحة، والتزين الداعر والمواقف الخليعة، والدعاية المتهافتة، والعرض السخيف، والرقصات العاهرة، والمقالات الماجنة، والأفلام الخبيثة.

وليحذر رجل الإعلام الإسلامي من مخالفة أفعاله لأقواله، فان النفس مجبولة على عدم الانتفاع بالأقوال الكاذبة، وبكلام من لا يعمل بعلمه، ولا يوافق فعله قوله. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (١).

وهذا شعيب عليه الصلاة والسلام يخبرنا الله سبحانه عنه كمثل صادق في نقل الخبر والعمل بما يعلم بقوله: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (٢).

ومن مظاهر القدوة الحسنة كذلك حسن الخلق، فالأخلاق ملاك الفرد الفاضل، وقوام المجتمع الراقي يبقى ويستقر ما بقيت، ويذهب ويتلاشى إن ذهبت، ويقول الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم . فأقم عليهم مأتماً وعويلا

---

(١) سورة الصف آية ٢، ٣

(٢) سورة هود آية ٨٨

وللأخلاق في نظر الإسلام مكانة رفيعة، ودرجة عظيمة، فالله سبحانه وتعالى أثنى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » (٢).

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن » (٣).

فالأخلاق في الدين الإسلامي ركن ركين، وأساس متين، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وينال رجل الإعلام الإسلامي بصدقه وصبره وسماحته، وعفوه، وتواضعه، وإخلاصه لربه، وإعراضه عن الجاهلين، ما لا يناله بدون هذه الصفات. بل أقول لابد أن تحمل هذه الصفات العالية والأخلاق الفاضلة، المتلقين إلى قبول الحق ولو بعد حين، إلا من سبق عليه الكتاب، لا حول ولا قوة إلا بالله، ولنا في قوله سبحانه وتعالى الطريق الأمثل للدعوة إلى سبيله والوصول بأمان إلى شاطىء الإيمان والسلامة: ﴿يا بنيّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (٤) وفي قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾ (٥).

---

(١) سورة القلم آية ٤

(٢) متفق عليه

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٤) سورة لقمان آية ١٧

(٥) سورة المدثر آية ١ ـ ٧

والقدوة الحسنة مبنية على غريزة من غرائز الإنسان [1]: (هي غريزة التقليد والمحاكاة ولهذه الغريزة الإنسانية تأثير فعّال في ميدان الإعلام، وميدان الإعلان، وميدان التربية والتعليم على السواء، لذلك يعتمد عليها رجال هذه الميادين كلها بدون استثناء.

فرجال الإعلام ينظرون إلى القدوة الحسنة على أنها وسيلة من وسائل الإعلام، تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون إليها أو عقيدة أو سياسة جديدة ينشرون لها ونحو ذلك).

ويقول عبد اللطيف حمزة [2]: (إن القدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل للاتصال بالناس، ومن ثم وجب على كل زعيم أو حاكم أو قائد أن يكون قدوة طيبة لغيره متى أراد لنفسه النجاح في الفكرة أو العمل الذي يدعو له).

(٢) الموعظة الحسنة:

الموعظة الحسنة تدخل إلى القلوب برفق ولين، وكثيراً ما تهديها إلى سواء السبيل بالأسلوب المحبب والوجه البشوش. ومن أظهر أساليب الموعظة الحسنة الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، والبشارة والنذارة. ونقصد بالترغيب كل ما يشوق الناس الى الاستجابة للدين الحق والثبات عليه، أما الترهيب فهو كل ما يخيف ويرعب ويحذر الناس من عدم الاستجابة للدين الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويلاحظ أن القرآن الكريم مملوء بآيات الترغيب والترهيب، وهذا دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الإعلام

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص ٦٥ د. عبد اللطيف حمزة. دار الفكر العربي، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ م.

(٢) الإعلام في صدر الإسلام ص ٧٤ د. عبد اللطيف حمزة.

الإسلامي لإيصال الحق إلى الناس كافة في كل زمان ومكان.

وهذا هو نهج رسل الله سبحانه عليهم الصلاة والسلام، لترغيب الناس في نيل رضى الله سبحانه ورحمته، وجزيل ثوابه، وتخويفهم من غضبه وعقابه في الآخرة، يوم الثواب والعقاب. قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم. قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾(١).

وقال تعالى عن رسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾(٢).

ولكن الأصل في أساليب الترغيب والترهيب أن تشمل الدنيا والآخرة، لذلك فالإسلام دين ودولة، مصحف وسيف، لتكون الحاكمية لله عز وجل. ولتكون العزة لله سبحانه ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾(٣).

ومن الصالحات أمام الإعلام الإسلامي تذكير الناس بما هم عليه من نعم

---

(١) سورة نوح آية ١ - ٣

(٢) سورة التغابن آية ٨ - ١٠

(٣) سورة النور آية ٥٥

وخير ومتاع وراحة، نتيجة للتقدم العلمي الذي لم يسبق له مثيل، والذي هو منة وفضل من الله سبحانه: ﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾. وإن من شأن ذلك أن يدعوهم إلى طاعة الله سبحانه الذي أنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ويقتضي ذلك أيضاً اتباع أسلوب التحذير بزوال النعم ووقوع النقم إذا استمروا في محاربة الله سبحانه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال تعالى: ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (١).

وقال تعالى في قريش: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (٢).

فلا بد إذن من التحذير عن إيثار الدنيا وشهواتها، وعبادة متاعها الزائل المهين، ولا بد من تذكير كل مسلم أنه محاسب يوم القيامة عن عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فما يقدم من عمل لم يذهب بذهاب أيامه، بل يكتبه قلم التسجيل الإلهي الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها.

قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ (٤).

---

(١) سورة الشعراء آية ١٣١ - ١٣٥

(٢) سورة قريش.

(٣) سورة ق آية ١٦ - ١٨.

(٤) سورة الانفطار آية ١٠ - ١٢.

وقال عز وجل: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ (١).

نعم هذه السجلات الوافية الضابطة الحافظة العادلة، لن يضيّعها الإهمال أو يمحوها مرور الزمان. إنها ستحفظ عند الله تعالى حتى يتلقاها صاحبها يوم الجزاء. قال سبحانه: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ (٢).

فليحذر الناس، وينتبهوا من نومهم فما الحياة الدنيا إلا لعب وزينة وتفاخر في الاموال والأولاد وحب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وكل ذلك في النهاية حطام. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (٣).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » (٤).

وما أكثر البيانات الإعلامية في الكتاب والسنة بالبشارة والنذارة

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٠.

(٢) سورة الإسراء آية ١٣، ١٤.

(٣) سورة الحديد آية ٢٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ١، ص ٣٩١.
سنن ابن ماجه حديث ٤١٠٩ رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

والترغيب والترهيب لإخلاص العبودية لله سبحانه الواحد القهار.

ولنا في مواقف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفود الأنصار رضوان الله تعالى عليهم، لذكرى وعبرة حيث كان يتودد إليهم بالقول الطيب والوجه المبتسم البشوش: من أنتم... أمن موالي يهود... أفلا تجلسون أكلّكم... لكم الجنة... أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم... ويقرأ عليهم القرآن الكريم ترغيباً لهم في نصرة الإسلام وترهيباً من خذلانه، وترك دينه. فبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وفقد الأموال وقتل الأنفس والأشراف، قائلين: « فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر »(٢).

(٣) المجادلة بالتي هي أحسن:

نحن المكلّفين أن نبسط وجهة نظرنا في كل شيء، ونعرض الإسلام بالأدلة المقنعة والحجج الدامغة التي توضح موقفنا، وتحدد من نحن؟ وما هو هدفنا؟. ويقتضي ذلك أن نعرف ما لدى غيرنا بكل دقة وإنصاف، وبلا تحامل أو استهتار، أو غضب، أو تقبيح على المخالف، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن هدفه ليس هو الغلبة أو الانتصار في الجدل والمحاورة، بل هدفه الإقناع والوصول إلى الحق. ونترك بعد ذلك للعقل الإنساني العادي أن يقارن ويحكم فيما يسمع ويرى.

وإن القرآن الكريم مليء بأسلوب المجادلة الحسنة، المدعم بالحجة والبرهان على صحة وصدق الخبر الإسلامي من الواقع الإنساني للمعارضين والمعاندين.

قال تعالى فيمن يجادل في كتابه العزيز: ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على

---

(٢) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٤٤٢.

عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلاّ هو فهل أنتم مسلمون﴾ (٢).

ويحسم الجدل معهم أخيراً ببرهان قاطع دامغ في حوار مفتوح يثبت عجز البشرية والجن معها حتى تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (٣).

وجاء في جداله الحسن مع أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلىٰ من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٤).

وقد تكرر مثل هذا الجدل الحسن مع المشركين في حوار طويل بقوله عز وجل: ﴿أمّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣، ٢٤.
(٢) سورة هود آية ١٣، ١٤.
(٣) سورة الاسراء آية ٨٨.
(٤) سورة البقرة آية ١١١، ١١٢.
(٥) سورة النمل آية ٦٤.

فالدعوة الإسلامية دعوة العقل وهداية القلب، وصوتها لا يحتاج إلى التواء ولا يركن إلى زيف وتضليل، ولا يميل إلى الإكراه والخداع، بل يعتمد على الحجة والبرهان الصادق. وهذا ما يميزها عن سائر الدعوات الوضعية الأرضية، كما يتميز الانسان بفطرته عن سائر فطر الكائنات الحية الأخرى.

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى[1]: (والنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلاّ بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء اليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر. ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله سبحانه هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدي، فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله تبارك وتعالى).

وها هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفتح صدره وقلبه في مجادلة حسنة مع وفد نصارى نجران الذين أسلموا، حيث رحب بهم في بيت الله الحرام، فجلسوا اليه وجادلوه بما عندهم بكل حرية، وسألوه عما في نفوسهم وهو يستمع اليهم حتى فرغوا من مسألته عما أرادوا. عندئذ دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم بيان القرآن الكريم، ففاضت أعينهم من الدمع، وآمنوا بالله سبحانه وحده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

---

(١) في ظلال القرآن مجلد ٥، ص٢٩٢، سيد قطب رحمه الله.

ولنا كذلك في مقالة المهاجرين في عيسى عليه الصلاة والسلام عند النجاشي العبرة والموعظة والأسوة والقدوة في أسلوب من الجدل الصادق الذي لا يحيد عن الحق، ولا يلتوي مع الباطل، بل يثبت على الحق كائناً في ذلك ما هو كائن.

قال لهم النجاشي:[1] (« ماذا تقولون في عيسى بن مريم » فقال جعفر رضي الله عنه: « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » فما كان من النجاشي إلا أن انصاع مع البرهان الصادق، فأخذ عوداً من الأرض وقال: « ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود » فآمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم).

(٤) الاستقامة ووضوح الهدف:

قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[2].

لكل دعوة هدف تقوم عليه، وتدعو الناس اليه، بتحبيب النفوس وفتح القلوب وتذكير العقول. ودعوة الإسلام واحدة مستقيمة لا عوج فيها ولا لبس أو شك أو غموض: « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ». فهي دعوة واضحة مستنيرة مبصرة للمرسل والمتلقي على السواء فدعاة الإسلام على هدى من الله سبحانه وعلى نور وبصيرة لما يحملون من الحق. الطريق أمامهم مستقيم واضح والسير فيه مأمون ومعروف دون التواء انه الطريق إلى الله عز وجل واخلاص العبودية له وحده: ﴿وما خلقت الجن

---

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٣٣٧.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨.

والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ (١).
وقال عز وجل: ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.

انه طريق المفاصلة بين الحق والباطل وطريق الاستقامة ووضوح الهدف، وطريق الخلاص من الشرك ظاهره وخافيه. فمن شاء فليؤمن ومن لم يشأ فليبق على كفره وضلاله، وأنا سائر في الطريق المستقيم المستنير الذي أراده الله عز وجل لعباده وما على الرسول إلا البلاغ والتذكير، قال سبحانه: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ (٢).

فرجال الاعلام الإسلامي لا بد لهم من هذا التمييز، ولا بد لهم أن يعلنوا أنهم أمة، وحدهم يفترقون عن أمم الغواية والضلال، لا يعترفون لهم بقيادة، ولا سبيل عليهم. فإعلام الضلال لا يجتمع مع إعلام الإيمان والتوحيد، ولا يكفي أن يدعوا اصحاب الدين الإسلامي لدينهم وهم ذائبون ومتميعون في المجتمع الجاهلي باسم الحضارة والحرية والواقع والمصالح المشتركة.

إن الإعلام الإسلامي، إعلام متميز بعيد عن الهوى والنفس، يعمل لهدف رفيع، ويدعو لرسالة سماوية خالدة، ويحيا في ظل مثل عليا يعيش لها ويموت عليها. يقف عند حدود الله سبحانه، وينتهي عما نهاه، وينأى عن ارتكاب الموبقات، والانغماس في أوحال المحرمات، وإرسال العنان للشهوات، ويأبى أن يقضي الأيام والسهرات في أفلام رخيصة أو عرض خبيث عابث، تفوح رائحته بأقداح خمر تفور، وحب ماجن وفجور، وفتنة أجساد تمور تثير الغرائز فتعمى القلوب التي في الصدور. وذلك احتساباً لله سبحانه وإيثاراً لما عنده، وابتغاء مرضاته، وإيماناً بحسن الثواب وخوفاً من شدة العقاب.

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦، ٥٧.
(٢) سورة الغاشية آية ٢١، ٢٢.

إنه إعلام ذو مبادىء أخلاقية واضحة، ومعايير وأسس ثابتة يرجع اليها في كل عمل، وأحكام سلوكية، وقواعد، وضوابط لا يحيد عنها، وحسبه كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم هادياً ومرشدا. قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (١).

هو إعلام واضح صريح، عفيف الأسلوب، نظيف الوسيلة، شريف القصد، عنوانه الصدق في القول والعمل مستمد من الكتاب والسنة ومن أصدق من الله سبحانه قيلا. وسلاحه الحق وغايته تخليص العباد من عبادة العبيد إلى عبادة الله الواحد القهار. وشعاره الاستخفاف بالقوى المادية والجبابرة والطغاة.

إن الإعلام الإسلامي لا يضل ولا يضلل، بل يهدي للتي هي أقوم، لا يعلن إلا ما يبطن، ظاهره وباطنه سواء على الحق المبين. ولا يخوض في الباطل من أجل الوصول إلى الحق، ويرفض اتباع أساليب الالتواء والخداع والتغرير والشهوات ومختلف الطرق الميكيافيلية القائلة بأن: (الغاية تبرر الوسيلة).

فالإعلام الإسلامي لا يمزج الحق بالباطل أبداً للوصول إلى حل وسط، وشكل مقبول من السكوت على الباطل، حتى يضيع الحق في نهاية المطاف. فهذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعلن في بيانه الإعلامي الحسم الفاصل بين الحق والباطل، وفي أحرج اللحظات: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله سبحانه أو أهلك دونه».

---

(١) سورة المائدة: آية ١٥، ١٦.

وكذلك أبلغ الله سبحانه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بردّه على المشركين عندما طالبوه بتبادل العبادة كحل وسط بقوله: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾ (١).

فأسلوب الإعلام الإسلامي في البيان والاعلان أن الرائد لا يكذب أهله. وقوله تعالى: ﴿وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ (٢).

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى في بيان هذه الآية ما يثير كوامن النفس ويذوب بالدمع لما نسمع ونرى من تخطيط وزارات الإعلام في العالم الإسلامي في أيامنا الحاضرة: (هذه الآية دعاء يعلّمه الله سبحانه لنبيه ﷺ ليدعوه به ولتتعلم أمته كيف تدعو الله سبحانه وفيم تتجه اليه. دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج كناية عن صدق الرحلة كلها بدئها وختامها أولها وآخرها وما بين الأول والآخر. وللصدق هنا قيمته، بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنة عما أنزل الله عز وجل عليه ليفترى على الله سبحانه غيره. وللصدق كذلك ظلاله: ظلال الثبات والاطمئنان والنظافة والإخلاص، «واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً» قوة وهيبة أستعلي بها على سلطان الأرض وقوة المشركين، وكلمة «من لدنك» تصور القرب والإتصال بالله سبحانه والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه. وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله سبحانه، ولا يمكن أن يهاب إلا بسلطان الله عز وجل، لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذي جاه فينصره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله تعالى. والدعوة قد تغزو قلوب ذوي السلطان والجاه

(١) سورة الكافرون.

(٢) سورة الاسراء آية ٨٠.

فيصبحون لها جنداً وخدماً فيفلحون، ولكنها هي لا تفلح ان كانت من جند السلطان وخدمه، فهي من أمر الله العظيم القاهر وهي أعلى من ذوي السلطان والجاه والجبروت) [1].

(١) انظر في ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٣٥٤، الشهيد سيد قطب.

الفصل الرابع

وسائل الإعلام الإسلامي

تمهيد

استعمل الإسلام جميع الوسائل ذات التأثير المتاحة في عصره، فيما عدا بعض المظاهر التي حرمها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالنص عليها أو توقف عن استعمالها: (كما حدث مع الأشعث بن قيس في وفد كندة حينما دخلوا على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجده، وقد رجّلوا جمعهم وتكحلوا وعليهم جبب الحيرة وقد كففوها بالحرير (زيادة في الأبهة والتفاخر كما نرى في وفود المسلمين اليوم) فقال: «ألم تسلموا؟» قالوا: «بلى» قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم» قال: فشقوه منها فألقوه)[1].

ومن الوسائل التي أتيحت لهم الاتصال المباشر، والوفود، والرسائل. كما استحدث الإسلام وسائل أخرى جديدة كالمنبر والخطبة والقصيدة الشعرية والعلاقات الودية والغزوات وغير ذلك.

ويهمنا في هذا المقام أن نتعرض للوسائل المرتبطة بموضوعنا من قريب أو بعيد وهي: الاتصال الشخصي والوفود، وما يستنبط من دراستهم من قواعد، لإباحة استخدام ما يستجد من وسائل، وشروط هذا الاستخدام بالأسلوب

---

(١) انظر سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٥٨٥.

الشرعي، في الصحافة، والراديو، والأشرطة، والكتاب، والسفارات..... وغيرها.

وقد حان الوقت لحكومات البلاد الإسلامية البدء في اتخاذ الخطوات اللازمة لنشر الوعي الإسلامي الحقيقي، وضرورة الموازنة بين المطالب المادية والروحية، وتغيير أسلوب حياة المسلمين وتفكيرهم، وتوجيههم نحو المثل الإسلامي الأعلى بإخلاص العبودية لله سبحانه الواحد القهار في كل حركة وسكون ومكان وزمان قال تعالى: ﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين﴾ (١).

وأعتقد أن وسائل الإعلام قادرة على أن تقوم بهذا الدور الجسيم لما لها من قوة وتأثير في الجماهير، فهي بقوتها في الاقناع وتأثيرها وقدرتها على القيام بمهمة الإعلام بشكل فعّال، يمكن استخدامها أيضاً في التعليم لهداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور، واثارة اهتماماتهم وتوجيهها في اتجاه واحد لاستيعاب شريعة الله سبحانه من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمحافظة عليها وإبلاغها.

وبوسائل الإعلام المختلفة يمكننا أن نثبت أن الحياة التي ترتكز على شريعة الله سبحانه هي البديل الأفضل للتخلي عن القيم المادية الغربية والشرقية التي تعتمد على الرفاهية الدنيوية والمتاع الزائل، والتي لم تخطط لحياة مطمئنة راضية بعد الموت.

وأين هذا من قيم الإسلام السامقة، التي تجمع سعادة الدارين، الدنيا

---

(١) سورة القصص آية ٧٧.

والآخرة، قال تعالى: ﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا.....﴾.

وقال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب. قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ (١).

لذلك فإنه من الضروري أن تقوم الحكومات الإسلامية بوضع خطط (استراتيجيات) مستمدة من الكتاب والسنة، طويلة المدى لمواجهة الغزو المادي المدمر. وان ملكيتنا لوسائل الإعلام يقتضي خضوعها لمبادئنا وقيمنا، وضرورة قيامها بخدمتها، حتى تساعدنا للقضاء على الأساليب الفاسدة في الحياة الحاضرة. وهذا شأن كل شيء مملوك أن يكون في خدمة صاحبه.

وان أول واجب من واجبات وسائل الإعلام أن توجد وعياً واهتماماً بالحاجة إلى التغيير نحو المثل الإسلامي الأعلى لإخلاص العبودية لله سبحانه وحده. وان الرسالة سهلة وواضحة، تبدأ بأن الوقت قد حان لاحداث تصحيح القيم الاجتماعية في كل مجتمع بالدول الإسلامية بالعودة إلى نبع الإسلام الصافي حتى يرضى الله سبحانه وتعالى عن قيمنا المادية والروحية. فعلى وسائل الإعلام محاربة جميع المحرمات والمخالفات الشرعية المنتشرة في المجتمع لإنقاذ الموقف قبل فوات الأوان، ووقوع المصائب يوم لا ينفع ندم ولا دعاء.

والخطوة التالية هي تعريف الجماهير بنوعية التغيير الذي نريد الوصول إليه

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤، ١٥.

ونحتاجه لقيام الأمة المجاهدة لإعلاء كلمة الله سبحانه وإبلاغ دعوته لكافة الناس في مشارق الأرض ومغاربها كما فعل السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ويقصد بوسائل الإعلام الإسلامية كل وسيلة يمكنها أن تعمل على هداية الناس ودعوتهم إلى الخير، واخراجهم من الظلمات إلى النور. وتشمل كل ما عرفه واستخدمه الانسان في الماضي والحاضر من وسائل إعلامية تطورت مع أساليب حياته من عصر إلى عصر حتى أيامنا الحاضرة.

وأهم هذه الوسائل الإعلامية التي استخدمت في نشر الإسلام ورسالته الخالدة هي ما يأتي:ـ

(١) الإتصال الشخصي المواجهي المباشر:

الاتصال الشخصي هو ذلك الشكل من المواجهة التي تتم بين طرفين بهدف تأثير أحدهما في الآخر عن طريق إخباره بشيء أو تعريفه به. ويمكن أن يتم الاتصال الشخصي المباشر بين فردين أو بين فرد وجماعة أو بين جماعة وجماعة بهدف التأثير أو التغيير. والمواجهة التي تقبل الأخذ والرد بين المرسل والمستقبل هي الصورة المميزة للاتصال الشخصي المباشر، الذي يعتبر وسيلة الإنسان الأولى والأساسية في الدعوة والإعلام للهدى أو الضلال. وسيبقى كذلك على الرغم من جميع وسائل الإتصال الحديثة.

والقول المباشر هو الأصل في تبليغ دعوة الله سبحانه، فالقرآن الكريم هو كلام رب العالمين سبحانه نزل به الروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام باتصال مباشر على سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكون بشيراً ونذيراً للناس أجمعين بالحق المبين. قال تعالى: ﴿وانه لتنزيل رب

العالمين. نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (١).

قال سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ (٣).

وكذلك يرتبط تاريخ الدعوة إلى الله سبحانه منذ بداية الحياة الانسانية حتى الرسالة الخاتمة بالاتصال الشخصي المباشر حيث اعتمد جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام على هذه الوسيلة لدعوة الناس إلى الحق والطريق المستقيم، وقد جمع القرآن الكريم سلسلة من الاتصال الشخصي بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وأقوامهم، كوسيلة أساسية في الدعوة والإعلام وكانت الرسالة الخاتمة شاملة لجميع وسائل الإعلام التي ثبت صلاحها وفعاليتها وبالذات وسيلة الاتصال الشخصي.

قال تعالى:

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (٤).

﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان أنتم إلا مفترون﴾ (٥).

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٢ ـ ١٩٥.
(٢) سورة سبأ آية ٢٨.
(٣) سورة التوبة آية ٦.
(٤) سورة الاعراف آية ٥٩.
(٥) سورة هود آية ٥٠.

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ (١).

﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾ (٢).

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (٣).

وقال عز وجل في خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم:

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (٤).

وهكذا نرى أن جميع رسل الله تعالى إلى الناس اتبعوا في دعوتهم إلى أقوامهم وسيلة الاتصال الشخصي لعبادة الله سبحانه وحده. فالاتصال الشخصي له الأثر الفعال والطيب في النفوس، وهو الوسيلة الأصيلة في إيصال الحق للناس أجمعين. وتتيح للدعاة التعرف على العناصر المراد جذبها إلى الدعوة، وإبلاغهم الرسالة الحقة بالمواجهة المباشرة. كما يمكنهم الاتصال الشخصي من الوقوف على أوضاع هؤلاء ومشاكلهم، ويسهل عليهم بالتالي

---

(١) سورة الاعراف آية ٧٣.
(٢) سورة الاعراف آية ٨٥.
(٣) سورة النحل آية ٣٦.
(٤) سورة يوسف آية ١٠٨.

عمليات التشخيص والتوجيه السليم. بينما لا يتحقق في مجالات الاتصال الجماهيري فوائد التأثير المباشر الذي يلامس العلة ذاتها ويعالج الداء نفسه. وبهذا يكون الاتصال الشخصي الوسيلة المثمرة المنتجة التي تؤتي أكلها من غير ضجيج أو ضوضاء، وتبلغ بالحركة الإسلامية الغاية المنشودة منها، بأيسر التكاليف وأقصر الأوقات. لأن الإسلام يجعل من كل مسلم أداة اتصال فعالة مؤثرة بعلمه وسلوكه، بحيث يصبح المسلم الصادق ولو كان صامتاً، أداة مضمونة التأثير فيمن حوله عند الالتزام بنظام الإسلام في سلوكه، كما حدث في نشر الإسلام في أكبر دولة إسلامية وهي أندونيسيا.

ويجب على رجل الإعلام الإسلامي بهذه الوسيلة الابتعاد عن أسلوب الكبرياء والاستعلاء على المدعو أو احتقاره وتحديه، وإظهار فضله عليه. بل ينبغي أن يكلمه بروح الناصح الشفيق المخلص، وأن يتلطف معه بالقول، حتى يزيل من نفسه نوازع الجهل والنفور. والتلطف في القول لا يعني المداهنة والنفاق، ولا إخفاء الحق، أو تحسين الباطل أو الرضا به، وانما هو التشويق للمدعو على قبول الرسالة.

ورجل الإعلام الإسلامي كالطبيب الذي يعرف الداء ـ ثم يقرر الدواء لعلاج مريضه، وهذا أسلوب مستمد من القرآن الكريم، عمل به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى عن النبي صالح عليه الصلاة والسلام وهو يعالج قومه من أمراضهم الفتاكة: ﴿فاتقوا الله وأطيعون. ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ (١).

---

(١) سورة الشعراء آية ١٥٠ ـ ١٥٢.

أهمية الاتصال الشخصي المباشر:

تقول جهان رشتي:[1] (قد أظهرت التجارب المعملية والميدانية أن الاتصال المواجهي الشخصي أكثر مقدرة على الاقناع من الراديو وان الراديو أكثر فاعلية من المطبوع.

وانه كلما ازداد الطابع الشخصي للوسيلة زادت قدرتها على الاقناع، فقد يغلق الفرد جهاز الراديو أو التليفزيون وفقا لمشيئته أو يقرأ العناوين فقط من الجريدة....، ولكن آداب الاتصال الشخصي تمنعه من ذلك.

ولقد نجح الباحث الامريكي لزرزفيلد وزملاؤه سنة ١٩٤٨ م في أبحاثهم الميدانية التي أجروها في ظروف التعرض الطبيعية الى الوصول لنتائج تدعم الحقائق التي تم التوصل اليها بأساليب تجريبية، حيث وجدوا في دراستهم لحملة الانتخابات سنة ١٩٤٠ م في منطقة ايرى بولاية أوهايو ان التأثير الشخصي الطبيعي أو التلقائي ـ وليس عن طريق المحاضرة كما يحدث في التجارب المعملية ـ أكثر فاعلية من الراديو وأن الراديو أكثر فاعلية من المطبوع. وقد قدم الباحثون تفسيرات مختلفة لهذه الظاهرة ركزت غالبيتها على درجة مساهمة الجمهور شخصياً في الظرف الاتصالي. ويقول الباحثون أن المساهمة تصل الى أقصى مداها في حالة الاتصال الشخصي، وتقل قليلا في حالة الراديو، وتقل أكثر في حالة القراءة، وأن التلفزيون أكثر فاعلية من الراديو وأقل فاعلية من التأثير الشخصي.

وقد ذكر الباحث الأمريكي ستوفر سنة ١٩٤٠ م سببا آخر ردده بعده

---

(١) انظر الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٣٣٧ ـ ٣٤٥، د. جيهان رشتى، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥ م.
المصدر السابق، الطبعة الثانية ص ٣٦١ ـ ٣٦٩، سنة ١٩٧٨ م.

آخرون أبرز فيه التفوق الظاهر للراديو على المطبوع في الاقناع فقال ستوفر: «ان المطبوع يصل الى جمهور مستوى تعليمه أعلى من مستوى جمهور الراديو بشكل عام. وان الفرد الذي حصل على قدر ضئيل من التعليم أقل انتقاء وأكثر استعداد لتقبل الإيحاء بشكل عام، وحينما يلعب التأثير الشخصي دورا فإنه أكثر فاعلية من أي وسيلة إعلامية في الإقناع بالرغم من أن درجة تفوقه قد تختلف من موضوع الى آخر».

ونتائج الأبحاث تقدم لنا من المبررات ما يجعلنا نستنتج أنه:

١ ـ اذا تساوت ظروف الاتصال كما هو الحال في التجارب المعملية فالاتصال الشخصي المباشر أكثر قدرة على الاقناع من الراديو وهو بدوره أكثر قدرة على الاقناع من المطبوع، ويمكن أن نضع التلفزيون والفيلم بين الاتصال المباشر والراديو.

٢ ـ المقدرة النسبية لمختلف الوسائل في ظروف الحياة الواقعية تختلف من موضوع الى آخر، ويبدو أن التأثير الشخصي المباشر بشكل عام أكثر قدرة على الاقناع من أي وسيلة من وسائل الإعلام. ويعتقد كبار رجال الدعاية وعلماء الاجتماع أن استخدام عدة وسائل علاوة على الاتصال الشخصي العادي والرسمي له فاعلية أكبر في الاقناع. لذلك قد عمل النازيون الى تكملة حملاتهم الدعائية في وسائل الإعلام بالمناقشات الشخصية المباشرة داخل الجماعات الصغيرة والفردية. وما زالت الحكومات الشيوعية تستخدم أيضا نفس هذا الأسلوب بفاعلية كبيرة.

٣ ـ يتميز الاتصال الشخصي المواجهي على الاتصال بواسطة وسائل الإعلام ببعض المزايا السيكولوجية (النفسية). فالاتصال المواجهي يتم بشكل عفوي، وغير مقصود، كما أنه أكثر مرونة حينما يواجه مقاومة من جانب المتلقي، لأن التأثير المرتد فيه كبير، ويمكن أن يتم الاتصال المواجهي المباشر

على أسس شخصية أكثر من الاتصال الذي يتم بواسطة وسائل الإعلام الأخرى). أ هـ.

ويقول كلٌّ من عبداللطيف حمزة وابراهيم إمام:[1] (ان الذي لا شك فيه أن الاتصال الشخصي في ذاته أساس العمليات الاعلامية. ومن بينها العملية الاعلامية التي تعرف (بالعلاقات العامة)، والعملية التي تعرف (بالإعلان)، ولكن الاتصال الشخصي أكثر ما يؤثر في الحقيقة في ميدانين خطيرين هما: ميدان الدعوة، وميدان الدعاية، والقدرة على ممارسة الاتصال الذي من هذا النوع شرط في نجاح العمليات الإعلامية التي أشرنا اليها، ذلك أنه يلعب دورا خطيراً في الإعلام على جميع المستويات، ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات البحوث الحديثة تؤكد أهمية الاتصال الشخصي وتنسب اليه مقدرة عظيمة على التأثير في الجماهير أكثر بكثير من بقية وسائل الإعلام العامة).

ويعلل الباحثون من أمثال (لازرسفيلد وكارتز وغيرهما[1] سر تفوق الاتصال الشخصي في التأثير بأنه اذا كان من السهل أن ينصرف الناس عن المواد الإعلامية التي لا تتفق مع آرائهم وميولهم فانه ليس من السهل أن يتجنبوا الحديث مع زميل أو قريب أو صديق لهم وخاصة اذا كان موضوع الحديث غير معروف لديهم سلفا، كما يتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في عرض وجهات النظر والتأثير في الناس).

---

(١) الإعلام في صدر الاسلام ص ٧٥ د. عبداللطيف حمزة، دار الفكر العربي، طبعة ثانية سنة ١٩٧٨ م.
انظر الاعلام والاتصال بالجماهير ص ١٠ د. ابراهيم امام، مكتبة الانجلو المصرية، طبعة ثانية سنة ١٩٧٥ م.

(٢) الاعلام والاتصال بالجماهير ص ١٢ د. ابراهيم امام.
الاعلام في صدر الاسلام ص ٧٥ د. عبداللطيف حمزة.

ويقول الدكتور عبداللطيف حمزة:[1] (ومهما يكن من شيء فإن أكثر ما اعتمد الرسول عليه الصلاة والسلام على وسيلة الاتصال الشخصي كان في المراحل الأولى من الدعوة، وبنوع خاص في العهد المكي، ومعنى ذلك باختصار شديد أن وسيلة الاتصال الشخصي كانت أولى الوسائل التي مارسها الرسول عليه الصلاة والسلام في نشر الدعوة).

ويتضح هذا جلياً في عرض رسالة الاسلام من تحركات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، واتصالاته الشخصية المباشرة، مع الوفود والأفراد والجماعات داخل مكة وخارجها في العهد المكي، كما حدث مع أهل مكة ونصارى نجران وقبائل العرب الوافدة على مكة في مواسم الحج والتجارة. وخرج بنفسه الى الطائف مع أهلها في اتصال شخصي مباشر ونفخ الشيطان في أنوفهم وأخذتهم العزة بالإثم كباقي القبائل.

وأخيراً كان لاتصالاته الشخصية المباشرة مع وفود يثرب الأثر الفعّال في نجاح دعوته وقبولهم لها وفتح ديارهم لحمايتها ونشرها في كل مكان.

ويقول عبداللطيف حمزه:[2] (وهذه الوسيلة من وسائل الاعلام المعروفة في كل زمان ومكان وهي الاتصال الشخصي أو المباشر، عليها تعتمد الدعاية في كل شكل من أشكالها، والسبب في ذلك أن الناس يتأثرون عادة بطريق الاتصال الشخصي أكثر مما يتأثرون بطريق الصحف أو الإذاعة أو التلفزيون، ذلك أنهم مع الصحف والإذاعة لا يعيرون انتباههم الا إلى الأشياء التي تهمهم، ولكنهم مع الاتصال الشخصي مضطرون الى الاستماع لمن يحدثهم في موضوعات غير معلومة ولا محدودة لهم من قبل، ثم أنهم في حالة الاتصال

(١) الاعلام في صدر الاسلام ص ٧٧ د. عبداللطيف حمزة.

(٢) الاعلام والدعاية ص ١١٠ د. عبداللطيف حمزة، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ م.

الشخصي المباشر يسهل على المتحدث أن يقدر رد الفعل المباشر على من يحدثهم، كما يسهل عليه أيضاً أن يكيف نفسه وحديثه تبعاً لذلك. هذا ما لا يتيسر بالطبع للصحيفة أو الراديو، ويضاف الى ذلك انه من اليسير علينا دائماً أن نقتنع بوجهة نظر أناس بيننا وبينهم صلات، في حين انه ليس من السهل أن نقتنع بوجهة نظر الكتّاب والمذيعين الذين قلّ أن نعرفهم كما نعرف الأصدقاء).

وأستطيع أن أقول مما سبق ذكره أن الاتصال الشخصي المباشر هو الروح الحقيقية لكل اتصال اعلامي في الماضي والحاضر. الأمر الذي يؤدي الى الحكم المؤكد بأهمية وسيلة الاتصال الشخصي، وأهمية الاعتماد عليها أولاً وقبل كل شيء لدى رجال الدعوة والاعلام المسلمين. ومهما كانت وسائل الإعلام والإتصال متقدمة فالاتصال الشخصي ضروري للوصول الى الهدف بنجاح أكبر، لذلك فاننا نرى مثلا أن الأخطبوط الاعلامي الصهيوني العالمي لا يكتفي (بالإعلام المكتوب[1] وغيره لبيان وجهة نظر اليهود في فلسطين المحتلة، ولكنه يهتم كذلك بالاتصال المواجهي لما له من أهمية بالغة في التأثير في الرأي العام حسب البحوث التي أجريت في هذا المجال وبالتالي ما يسمى بدويلة اسرائيل تستعين بالأقليات اليهودية في جميع أنحاء العالم بغرض تحقيق الأهداف المطلوبة من الاتصال المواجهي المباشر).

وهكذا نرى أن الاتصال الشخصي المباشر الذي كان الوسيلة الأولى والأصيلة في الدعوة الاسلامية منذ عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يمتاز عن بقية وسائل الاعلام والاتصال الجماهيرية بأمور كثيرة أهمها ما يلي:

١ - إمكانيّة الحوار والمناقشة والأخذ والرد بين الطرفين المرسل والمتلقي.

(١) انظر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ٣٠٥ د. أحمد بدر دار القلم بالكويت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤ هـ.

٢ ـ توفير الحرية للطرفين في السؤال والجواب والعرض والاستماع والجلوس والانصراف، كما حدث لوفد الأنصار مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: «أفلا تجلسون أكلمكم». وكما حصل مع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنهما في إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله تعالى عنهما، حيث قال كل منهما: «اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة» فقال مصعب رضي الله تعالى عنه: «أوتجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره».

وأين هذا من تحكم أكثر من جهة في أسلوب وشكل المضمون الإعلامي عبر وسائل الاتصال الجماهيري في الوقت الحاضر.

٣ ـ إمكانية الاقناع وتحقيق هدف الاتصال بنسبة أكبر من إمكانيات الوسائل الاخرى.

٤ ـ عفوية الاتصال الشخصي ومرونته وفعاليته.

٥ ـ تقدير ومراعاة حاجة المتلقي ونوع معرفته ونوع المعلومات التي يحتاجها.

لذلك يجب على رجال الاعلام الاسلامي الاهتمام بوسيلة الاتصال الشخصي كنموذج إسلامي ناجح للدعوة الى الله سبحانه، وعدم الانبهار بوسائل الاتصال الجماهيرية التي تعتبر الآن من عوامل انحسار الاسلام في ديار المسلمين أنفسهم للأسف الشديد، لأنها تعتمد في مضمونها على تقليد أعداء الإسلام، بمحاربة مبادئه وتقديس أصحاب السلطان وأهل الفن الشيطاني في الغناء والرقص والتمثيل والكرة والموسيقى وغير ذلك. وحرمان رجال الإعلام الاسلامي الحقيقي من توجيهها بحق وصدق، حتى لا يتمكن أهل الفضل والفضيلة من الوقوف أمام أهل الشر والرذيلة.

(٢) الوفـود:

الوفود وسيلة هامة لتبليغ الناس وإخبارهم عن دعوة الاسلام، ومنهجه الرباني الكامل الشامل لسعادة البشرية في الدنيا والآخرة، وحل مشاكلها وانقاذها من الانحدار السحيق الذي تهوى اليه. قال تعالى: ﴿ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (١).

ولقد كان للوفود في العهد النبوي الأثر الفعّال في إظهار الحق داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، لأنها كانت تحمل كلمة الحق، وراية التوحيد، لإخراج الناس من عبودية العباد الى عبادة الله سبحانه الواحد القهار، وكانت الوفود الإسلامية المثل الأعلى في الجرأة والقوة والأخلاق الحميدة، والقـدوة الحسنة للحياة الطاهرة العفيفة المتفانية في خير وصلاح الآخرين، لإنقاذهم من سعير جهنم الى جنات النعيم.

لهذا تعتبر الوفود (٢) (من أهم الوسائل الإعلامية التي اتبعها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في نشر الدعوة، وتهيئة الظروف الاتصالية والعلاقات الإنسانية العامة، حيث أرسل القراء والفقهاء والبعوث لشرح تعاليم الدين الجديد. واذا كان الهدف من العلاقات العامة في كل زمان ومكان هو إيجاد الروابط الانسانية السليمة في المجتمع وضمان التفاهم الصحيح بين طرفين: الأول الذي يمثل مصدر الرسالة أو المرسل، والثاني يمثل المستقبل، نستطيع القول اذا كان هذا هو الهدف الأول والأخير من العلاقات العامة، فقد نجح مبعوثو الرسـول عليـه الصلاة والسلام في اداء هـذه المهمـة كـل النجـاح.

---

(١) سورة يوسف آية ١١١.

(٢) انظر الإعلام في صدر الاسلام ص ٩٨ ـ ٩٩ د. عبداللطيف حمزة طبعة ثانية، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٨ م.

وجاهدوا في سبيل هذه الغاية حق الجهاد وقد وطنوا أنفسهم على التعرض لكل الأخطار في سبيل ذلك).

وسبق أن تعرضنا لوفود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الرسالة حيث كانت لا تنطق الاّ بالحق والصدق في أحلك المواقف وأحرج اللحظات بين الحياة والموت، تسترخص كل تضحية مهما عظمت في سبيل حمل لواء الاسلام وإعلاء كلمة التوحيد في كل مكان. أدّبهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأحسن أدبهم، وعرفوا قصر الدنيا وخلود الآخرة فلم يطمعوا أن تكون دنياهم جنة، وعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم أشد الناس بلاء في الحياة الدنيا، فلم يطمعوا أن يكونوا خيرا منه، بل سعدت نفوسهم أن كان لهم أسوة وقدوة حسنة.

سئل صلى الله تعالى عليه وسلم أي الناس أشد بلاء؟ فقال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلاه الله حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»[1].

ها هي وفود الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أخلصت لربها وتحملت الصعاب والبلاء في نشر دينه، على الرغم من قلتها، وهوانها على الناس. كانت تشعر أنها في حماية الله عز وجل وانه ناصرها وحافظ دينه، وراد عنها كيد المعتدين.

قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[2].

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) سورة الروم آية ٤٧.

وأين ذلك الإخلاص من وفود المسلمين اليوم الموجودة في سفارات العالم الاسلامي بجميع أنحاء العالم، لا تنطق الاّ بالضلال، ولا تلتزم الاّ بالمصالح المشتركة وان كانت على الباطل، الاّ من رحم الله سبحانه وتعالى بفضله وتوفيقه.

(٣) طهارة وسائل الاعلام:

رأينا في ضوء الوفود في العهد المكي التي تعتبر احدى الوسائل الاعلامية الهامة، بل أهمها على الاطلاق لأنها تعتمد ايضا على الاتصال الشخصي المباشر. كيف قامت على طهارة القاعدة والمضمون والهدف فخلت من أدناس الرذائل المتعددة في الحياة الانسانية الخالية من شرع الله سبحانه، مثل الكذب والخداع والتضليل والمداهنة والمساومة والنفاق وتملق الغرائز.... .

وتعتبر وسائل الإعلام قديماً وحديثا، من أخطر المؤثرات في تغيير حياة الشعوب وتبديل أخلاقهم، ويرجع ذلك لما لها من سحر البيان، ومن إمكانية الحجج القاطعة ما يفيض على كل جانب، ومن قوة التدخل في حياة الأفراد ومشاركتهم حتى في منازلهم، وأماكن راحتهم وخلدهم، وفي كل لحظة من لحظات معاشهم.

لهذا وجب علينا أن نراعي أهمية طهارتها من الرذائل التي سبق ذكرها والتي حرص الاسلام على تطهير وسائله الاعلامية منها. واذا كان واقع وسائل الاعلام بجميع أنواعها يتجه اليوم الى تبني رذائل الكذب والتضليل والنفاق والابتعاد عن العبودية لله سبحانه، الى عبادة المادة والاشخاص والهوى، والسير في طريق إثارة نعرات الجاهلية العصبية والجنسية والقومية والدعوة الى التمتع الشهواني الشيطاني بكل متاع زائل هزيل خبيث. وجب علينا أن نعلنها حرباً لا هوادة فيها على هذه الرذائل وعلى الذين يتبنونها ويدعمونها في وسائل الإعلام.

واذا كانت الحجة هي ندرة المتخصصين في العمل الاعلامي الاسلامي فإن علينا أن ندرك خبث هذه الفكرة وتفاهتها لأن الاعلام الاسلامي لا يحتاج الآ الى قرار ونيّة. أما القرار فهو ضرورة استخدام هذه الوسائل من أجل الفضيلة بإحلال رجال الدعوة المتخصصين محل رجال الإعلام الرافضين لتنفيذ القرار، فلا فرق بين الرجلين الآ ان أحدهما تخصص في جامعة الإسلام والآخر تخصص في جامعة الشيطان، والجامع بين الاثنين كلمة وهي إما كلمة طيبة واما كلمة خبيثة.

وأما النية فهي العزم على ضرورة صناعة هذه الأجهزة وإدارتها وتوجيهها بأيد إسلامية نظيفة مئة في المئة، حتى يكون المدير والموجه والمخطط والمخرج والمنفذ والعامل وغيرهم مسلمين جميعا. ولنبدأ منذ اللحظة بتدريب شبابنا المسلم على إدارة وتوجيه الأجهزة الإعلامية فيما يرضي الله سبحانه ويخدم الدعوة الاسلامية.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [1].

فعلى حكام المسلمين وعلماء الإسلام ورجال الدعوة والإعلام وأصحاب الجاه والسلطان أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في أنفسهم فلا يظلموها.... وفي أمة الإسلام فلا يهلكوها.... من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة.... والكافرون بما أنزل الله سبحانه هم الظالمون.

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

الخاتمة

الأمم العظيمة ما هي الا جهود متواصلة لنفر من الرجال المخلصين العاملين بصدق وصبر، فهم كالمطر في الأرض الموات، والدرع في ساحة اللقاء والقمر في الليلة الظلماء.

لقد كانت وفود العهد المكي النبوي صابرة على حمل الدعوة الإسلامية وإعلامها للناس دون خوف أو وجل، وإبلاغها بكل شجاعة في مواطن البأس وثبات في مواطن الشدة، لا تزلزل لهم قدم ولا تزعزع لهم ركن، وانسدت جميع أبواب الخوف في نفوسهم، الا خوف ذنبهم وسخط ربهم.

والمرء اذا هانت عليه الدنيا، ولم يبال بالموت... هان عليه جبابرة الأرض، وفراعين الناس، ونظر للذهب كما ينظر الى الحجر، والى السيف كما ينظر الى خيط أو عصا جوفاء متكسرة.

هذه الأوصاف وغيرها قطرة من بحر رسول الله ﷺ والتي بثها في نفوس أصحابه بالبذل والتضحية لإبلاغ رسالة الإسلام وإخلاص العبودية لله عز وجل وحده. وصدق حيث يقول: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله سبحانه أو أهلك دونه».

هذه الوفود ذكرى لكل مؤمن حيث يمثلون الاعلام الاسلامي أداة ومضموناً ومصدراً وهدفا. فكانوا أداة الاتصال الشخصي، وكانوا مضمون القدوة الحسنة الصالحة، وكانوا مصدر الخير والفلاح لكل من يتأسى بهم في العمل الاعلامي والدعوة. وجعلوا هدفهم إخلاص العبودية لله سبحانه في كل حركة وسكون، وإنقاذ البشرية من عبودية العباد الى عبادة الله العظيم الواحد القهار.

هذا هو الدور الكبير الرائد الذي قام به المسلمون الأوائل لنشر الإسلام في ربوع العالم، حيث تحملوا الصعاب، واستعذبوا الآلام في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه. فكانوا هم الجسر القوي الذي عبر عليه الإسلام إلينا لنبثه في العالم. فهم القدوة أمامنا مما يضاعف المسئولية علينا كي نكون أحسن خلف لخير سلف، لتبليغ حقائق الإسلام ومزاياه، وحمل رايته الى جميع أنحاء العالم في جهاد متواصل حتى تكون الحاكمية لله سبحانه رب العالمين.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾ (٢).

ويقول السيوطي في سبب نزول آية «ان الله اشترى من المؤمنين......»: (اخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: عبدالله بن رواحة لرسول

---

(١) سورة التوبة آية ١١١.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٧.

الله ﷺ - يعني ليلة العقبة -: « اشترط لربك ولنفسك ما شئت » قال: « أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا. وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: « فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ » قال: « الجنة »، قالوا: « ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ». فنزلت « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم... ») [1].

انها البشرى والفوز والبيعة لمن أراد أن يسير في طريق الدعوة الإسلامية ويحمل لواء التوحيد، وإخلاص العبودية لله سبحانه، ويبث نور الإسلام ليبدد ظلمات الجاهلية في كل زمان.

هذه البيعة للصفوة من البشر الذين آمنوا بربهم وباعوا أنفسهم في سبيله رخيصة.... وكان الله سبحانه هو المشتري، وهو الذي وعد بالثمن غالياً وعداً قديماً في جميع كتبه.... بأن لهم الجنة.

ان الله سبحانه استخلص لنفسه أنفس المؤمنين حقا، لتقرير ألوهيته في الأرض وطرد الطواغيت المنازعة لسلطانه في حياة العباد، حتى تكون الحاكمية له عز جلاله في كل مكان.

فنعم البيع ونعم الشراء،..... أرواح مؤمنة تبذل بسخاء لتكون كلمة الله عز وجل هي العليا، فجعل لها سبحانه جنة الفردوس منّة وفضلا، ورضواناً منه أكبر يوم لقائه: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [2].

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ص ١٢٦ لجلال الدين السيوطي. دار احياء العلوم، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ.

(٢) سورة الحديد آية ٢١.

تم البحث بحمد الله سبحانه وتوفيقه

وآخر دعوانا

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [1]

★ ★ ★ ★ ★ ★

(١) سورة آل عمران آية ٨.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري.
صحيح البخاري، دار الفكر.

٣ - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
فتح الباري لشرح البخاري، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٩٨٠ م.

٤ - أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري.
صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢ هـ.

٥ - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
سنن أبو داود، مطبعة السعادة، مصر، طبعة ثانية سنة ١٣٦٩ هـ.

٦ - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي.
أ - الجامع الصحيح لسنن الترمذي، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، طبعة أولى سنة ١٣٥٦ هـ.
ب - الشمائل المحمدية، مطبعة الحلبي وأولاده، طبعة أولى، القاهرة سنة ١٣٧٥ هـ.

٧ - أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه.

سنن ابن ماجه، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي وشركاه، سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م.
٨ - أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي.
سنن النسائي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٩ - أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري.
السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
١٠ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
أ - تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٤ هـ.
ب - تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧ م.
١١ - أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.
أ - تفسر القرآن العظيم، دار الفكر.
ب - تاريخ البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت طبعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
١٢ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري.
أ - الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
ب - أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة الشعب، القاهرة سنة ١٣٩١ هـ.
١٣ - أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري.
الطبقات الكبرى لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

١٤ ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي.
أ ـ السيرة النبوية، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، لبنان صيدا، سنة ١٣٩٩ هـ.
ب ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، سنة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.
١٥ ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي.
جامع بيان العلم وفضله.
١٦ ـ أحمد محمد العساف.
خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر، دار احياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
١٧ ـ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.
شرح السنة، المكتب الاسلامي.
١٨ ـ ابراهيم امام.
أ ـ الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الانجلو المصرية، طبعة ثانية سنة ١٩٧٥ م.
ب ـ دراسات في الفن الصحفي. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة سنة ١٩٧٢ م.
١٩ ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري.
المستدرك، مطابع النصر الحديثة بالرياض.
٢٠ ـ أحمد بدر.
أ ـ الإعلام الدولي، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، مكتبة غريب القاهرة سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.
ب ـ الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، دار القلم بالكويت الطبعة

الأولى سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
جـ - الرأي العام طبيعته وتكوينه، مكتبة غريب القاهرة.
٢١ - أحمد شلبي.
التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية. السيرة النبوية العطرة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، طبعة خامسة سنة ١٩٧٠ م.
٢٢ - أبو الأعلى المودودي.
أ - الحكومة الاسلامية، دار المختار الاسلامي، القاهرة سنة ١٩٧٧ م.
ب - الحجاب - دار الفكر.
جـ - تذكرة دعاة الاسلام، مطبوعات الجماعة الاسلامية بباكستان.
٢٣ - أبو زكريا يحي بن شرف النووي.
منهل الواردين في شرح رياض الصالحين. دار العلم للملايين بيروت، طبعة سابعة، سنة ١٩٧٨ م.
٢٤ - أبو السعود محمد العمادي الحنفي.
تفسير ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم.
٢٥ - أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي.
المخصص، دار الفكر، بيروت.
٢٦ - أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري.
الصحاح للجوهري.
٢٧ - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري.
لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٨ - أحمد بن محمد بن حنبل.
المسند، دار المعارف بمصر ١٣٧٧ هـ.

٢٩ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
دلائل النبوة، تحقيق عبدالرحمن عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ.
٣٠ ـ جهان أحمد رشتي.
أ ـ الأسس العلمية لنظريات الاعلام، دار الفكر العربي، طبعة أولى سنة ١٩٧٥ م.
ب ـ نظم الاتصال، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٢ م.
٣١ ـ جلال الدين السيوطي.
لباب النقول في أسباب النزول، دار احياء العلوم، بيروت، سنة ١٤٠٠ هـ.
٣٢ ـ حسن ابراهيم حسن.
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، طبعة سابعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م.
٣٣ ـ خليل صابات.
أ ـ وسائل الإعلام نشأتها وتطورها، مطبعة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٦ م.
ب ـ الصحافة رسالة وفن وعلم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م.
٣٤ ـ سيد قطب.
أ ـ في ظلال القرآن.
ب ـ خصائص التصور الاسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت.
جـ ـ التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت.

د - العدالة الاجتماعية في الاسلام. دار احياء الكتب، عيسى الحلبي، طبعة خامسة، القاهرة.
٣٥ - سيد أمير علي.
روح الاسلام ترجمة عمر الديراوي، طبعة أولى، بيروت سنة ١٩٦١.
٣٦ - عبداللطيف حمزة.
أ - الإعلام في صدر الاسلام، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ م.
ب - الإعلام والدعاية الدولية، دار المعارف، بغداد الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م.
جـ - الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، طبعة أولى سنة ١٩٦٥ م.
د - الصحافة والمجتمع، دار الفكر العربي.
٣٧ - عبدالكريم زيدان.
أصول الدعوة، جمعية الأماني، بغداد الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ.
٣٨ - علي محفوظ.
هداية المرشدين الى طريق سيد المرسلين، القاهرة، طبعة سادسة سنة ١٣٧٧ هـ.
٣٩ - عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري.
الترغيب والترهيب، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ.
٤٠ - عماره نجيب محمد.
أ - الإعلام في ضوء الاسلام، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ.

ب ـ الإعلام ووظائفه محاضرات في المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالرياض.

٤١ ـ عبدالستار سعيد.
الغزو الفكري، مكتبة المعارف بالرياض.

٤٢ ـ عبدالبديع صقر.
كيف ندعو الناس، مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة سادسة.

٤٣ ـ عبدالرحمن عزام.
الرسالة الخالدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤٦ م.

٤٤ ـ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.
أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ.

٤٥ ـ فتحي يكن.
أ ـ كيف ندعو الى الاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧ م.
ب ـ مشكلات الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ثالثة سنة ١٩٧٤ م.

٤٦ ـ فونس اتيين دينيه.
محمد رسول الله، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٩ م.

٥٥ ـ محمد عبدالسميع جاد.
الوفود في العهد النبوي، القاهرة سنة ١٣٩٤ هـ.

٥٦ ـ منظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي.
أ ـ قضايا الفكر الاسلامي المعاصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ.

ب ـ الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية، النظرية والتطبيق
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ.

٥٧ ـ محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري.
أخلاق العلماء، رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والارشاد بالسعودية سنة ١٣٩٨ هـ.

٥٨ ـ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي.
مختار الصحاح، طبعة دار المعارف بمصر.

٥٩ ـ وحيد الدين خان.
الإسلام يتحدى (مدخل علمي الى الايمان)، دار البحوث العلمية، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣ هـ.

٦٠ ـ يوسف القرضاوي.
أ ـ الايمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ.
ب ـ الحلال والحرام في الاسلام، المكتب الاسلامي، بيروت
طبعة سادسة سنة ١٣٩٢ هـ.

٦١ ـ مجلة الدعوة السعودية.

٦٢ ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني.
المذاهب اللدنية في المنح المحمدية.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

توزيع

مكتبة المنار - الزرقاء
شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
ت ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سورية - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣١٩٠٣٩ - ٢٩٥٥٠١ - ص.ب ٧٤٦٠ - برقياً : بيوشران